

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

جامعة محمد خيضر - بسكرة-

قسم العلوم الاجتماعية



الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

إشكالية التنمية الشاملة في الدول العربية  
دراسة في الفكر التنموي عند مالك بن نبي  
-الجزائر أنموذجا-

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم اجتماع التنمية

إشراف :

أ.د بلقاسم سلاطينية

إعداد :

نور الدين رواينية

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
الأستاذ	عبد العالي دبله	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
الأستاذ	سلاطينية بلقاسم	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
الأستاذ	نور الدين زمام	أستاذ	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
الأستاذ	شنافي ليندة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا
الأستاذ	زرارة لخضر	أستاذ	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
الأستاذ	نويصر بلقاسم	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سطيف 02	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1435/1436هـ

2014م / 2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

(الرعد: ١١)

(الرعد: ١١)

# الإهداء

الى جيل النصر المنشود

الى جيل التغيير الهادف البناء

الى كل طامح لفجر جديد لأمته

الى كل المؤمنين بكوامن القوة في هذه الأمة، والعاملين على بعثها من جديد

الى الفاعلين... لا الى الخاملين

الى المتفائلين... لا الى المتشائمين

الى روح الاستاذ العلامة: "مالك بن نبي".

أهدي في تواضع روح هذا العمل.

# شكر وتقدير

الحمد لله الموفق لصالح الاعمال، من أرسل لبني الانسان محمدا خيرا الأنام، ليأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، فأوضح بالقرآن لهم سبل السلام، فتحققت على يديه حضارة سعدت في ظلها الانسانية ردحا من الزمان.

ومن باب مقابلة الاحسان بالإحسان ورد الفضل لذويه، أتقدم بالشكر الجزيل لصاحب الفضل العميم للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور: "بلقاسم سلاطية"، على قبوله بداية الاشراف على هذا الموضوع البحثي، ثم توجيهه الوجهة الحسنة ورده الى جادة الطريق، وله جزيل الشكر أيضا على دماثة أخلاقه وتواضعه في معاملتي وحسن ضيافتي، ففي حضرته عناية وفي غيبته وصاية.

والشكر والامتنان لكل أساتذتي الذين لم ييخلوا علي بتوجيهاتهم القيمة مساءلة مني أو ابتداءا وتفضلا منهم، وفي مقدمتهم الاستاذ الدكتور: "موسى لحرش".

والشكر موصول لكل الزملاء والأصدقاء على مساندتهم المباشرة والخادمة للبحث أو مؤازرتهم تحفيزا وتشجيعا.

ولا يفوتني أخيرا تقديم الشكر لكل الأهل والاقارب مع تقديم الاعتذار لهم على ثقلتي طيلة رحلة البحث وتقصيري في واجباتي نحوهم.

## الفهرس

رقم الصفحة	فهرس الموضوعات
	الاهداء
	الشكر والتقدير
	الفهرس
أ-ت	المقدمة
	<b>الفصل الأول: الاطار التصوري للدراسة</b>
6	أولاً: مشكلة البحث
6	أ-تحديدها وصياغتها
10	ب-مبررات اختيار الموضوع
12	ج-أهمية الدراسة
13	د-أهداف الدراسة
14	ثانياً: تحديد المفاهيم
40	ثالثاً: المقاربات النظرية
65	رابعاً: الدراسات السابقة
	<b>الفصل الثاني: التنمية الشاملة مرتكزاتها وأهدافها</b>
82	-تمهيد
82	أولاً: تطور مفهوم التنمية
88	ثانياً: لماذا التنمية الشاملة؟
91	ثالثاً: أهداف التنمية الشاملة
92	رابعاً: أبعاد التنمية الشاملة
103	خامساً: ركائز التنمية الشاملة ومقوماتها
106	سادساً: التنمية بالمشاركة
108	سابعاً: مؤشرات التنمية

112	- خلاصة
	<b>الفصل الثالث: واقع التنمية في الدول العربية بين التحديات والآفاق</b>
115	-تمهيد
116	أولاً: الواقع التنموي العربي
120	ثانياً: تحديات ومعوقات التنمية في الوطن العربي
128	ثالثاً: السياسات التنموية العربية والاستراتيجيات
135	رابعاً: مقومات التنمية العربية وآفاقها
140	خامساً: التجارب التنموية في العالم الغربي والإسلامي
155	خلاصة
	<b>الفصل الرابع: السياسات التنموية في الجزائر ومراحلها</b>
159	-تمهيد
160	-المرحلة الأولى: الخيار الاشتراكي ( الجزائر الاشتراكية)
162	-مرحلة التسيير الذاتي للمؤسسات
164	-مرحلة الاقتصاد المخطط
169	-مرحلة الإصلاحات الاقتصادية وإعادة هيكلة المؤسسات
170	-تقويم
172	-المرحلة الثانية: التوجه نحو اقتصاد السوق
174	-الخصوصية.
175	-العوامل الدافعة نحو الخصوصية.
178	-مرحلة التسعينات وما يليها
179	-مرحلة الرئيس بوتفليقة
181	-تقويم عام لمسار التنمية في الجزائر
191	خلاصة

	<b>الفصل الخامس: الدراسة التحليلية واجراءاتها المنهجية</b>
195	-تمهيد
195	أولاً: منهج الدراسة
197	ثانياً: مجتمع البحث
198	ثالثاً: اجراءات العملية التحليلية
198	رابعاً: تحليل مؤلفات بن نبي
199	1- ماهية التخلف عند بن نبي
203	2-أسس التنمية
211	3-مقومات التنمية
245	خلاصة.
	<b>الفصل السادس: نتائج الدراسة</b>
248	-تمهيد
248	أولاً: تصور مالك بن نبي للتنمية الشاملة في الدول العربية
258	ثانياً: مقومات التنمية الشاملة عند مالك بن نبي
259	ثالثاً: الابعاد السوسولوجية للفكر التنموي عند مالك بن نبي.
272	رابعاً: حدود التقاطع والاختلاف في فكر مالك بن نبي مع التجارب التنموية في الجزائر
287	خامساً: مناقشة النتائج على ضوء النظريات الغربية والاسلامية
296	الخاتمة
302	المراجع
	الملاحق
	الملخص

# المقدمة



يعيش العالم العربي الآن فترة من أصعب فترات تاريخه بسبب تحديات عديدة من الداخل ومن الخارج، والكيفية التي سنتعامل بها أنظمة هذا العالم مع مختلف التحديات ستقرر مستقبله، إما إلى استقرار وأمان وإما اضطراب وخوف، إما إلى سيادة واستقلال وإما إلى تبعية وإذلال.

والواقع العربي الذي نحياه في هذا العصر يتسم بالتردي في جميع الأصعدة، سياسياً، اقتصادياً، اجتماعياً وثقافياً، وصوره المتماثلة أمام العيان هي صور التخلف والتجزئة والتبعية، صور مناقضة كلياً لبصيص الأمل الذي لاح في أفق الوطن العربي غداة الاستقلال والتحرر من تلك الهجمة الاستعمارية الغربية.

فلقد سعت كثير من الدول الغربية غداة الاستقلال والتحرر إلى تدعيم سيادتها على أراضيها بالنهوض باقتصادياتها وتحقيق العزة لشعوبها، وفاتها أن تحقيق هذه الأهداف السامية لا يتأتى عبر تبني النماذج الاقتصادية والاجتماعية للدول الغربية، وبدل أن تتأكد السيادة ويتدعم الاستقلال كان الوقوع في شرك التبعية، وظلت النهضة سرايا وحلما بعيد المنال.

والفشل الحاصل كان نتيجة اعتقاد أنظمة الدول العربية إطراد وتشابه التجارب التنموية في كل مكان على نحو ما سار عليه الغرب، لكن التجارب الواقعية فندت هذا الاعتقاد وتكشفت عن فشل ذريع للنموذجين الرأسمالي والاشتراكي على حد سواء، رغم كل جهود الإصلاح والترقيع.

وفي ظل غياب رؤية واستراتيجية واضحة الأهداف والمعالم مرتكزة على فهم ودراسة عميقة للواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي تظل أنظمتنا في حالة من التيه تلتمس سبيلاً للرشاد.

في هكذا ظروف تصبح الحاجة ملحة للعودة إلى الذات واستطاقها للكشف عن قدراتها الكامنة، ولا يضطلع بهذه المهام إلا المخلصين من أبناء أمتنا ومفكرينا الذين حددوا لنا معالم الطريق ورسموا لنا سبل الأمان فتنكبنا عنها وآثارنا دروب الآخرين فانتهت بنا إلى أنفاق مسدودة.

وانطلاقا مما سبق جاءت هذه الدراسة كمحاولة لفهم ظاهرة التخلف في عمقها، ورسم معالم نهضة تنموية تكون أسسها ومقوماتها من وحي ثقافتنا، هذا ما جهد المفكر مالك بن نبي في معرفته وتقديمه لأمته، وهذا ما سعت هذه الدراسة للكشف عنه وتوجيه اهتمامات الباحثين نحوه، أملا أن تتكاتف الجهود لتحقيق شروط الاقلاع الحضاري، وتحقيقا لما سبق جاءت هذه الدراسة في ستة فصول:

في الفصل الأول والذي خصص للاطار التصوري للدراسة، تم تحديد مشكلة الدراسة ثم استعراض مفاهيمها الأساسية، وبيان ما بينها من تقاطعات أو اختلافات، وذكر معظم النظريات الغربية والاسلامية المفسرة للفعل التنموي وختم باستعراض لبعض الدراسات السابقة التي أجريت في هذا الموضوع.

أما الفصل الثاني فخصص للتنمية الشاملة: مرتكزاتها وأبعادها، وفيه تم تناول تطور مفهوم التنمية، أهداف التنمية الشاملة وأبعادها، وركائزها، التنمية بالمشاركة ثم مؤشرات التنمية الشاملة.

وفي الفصل الثالث والمخصص لواقع التنمية في الدول العربية بين التحديات والآفاق، فتم التعرض للواقع التنموي العربي، تحديات ومعوقات التنمية في الدول العربية، السياسات

التنمية العربية والاستراتيجيات، مقومات التنمية العربية وآفاقها ثم التجارب التنموية في العالم الغربي والإسلامي.

وفي الفصل الرابع والذي خصص للسياسات التنموية في الجزائر ومراحلها، وفيه تم الحديث عن مرحلتين: المرحلة الأولى الخيار الاشتراكي: التسيير الذاتي للمؤسسات، الاقتصاد المخطط، مرحلة الإصلاحات، التقييم.

المرحلة الثانية: التوجه نحو اقتصاد السوق: انتهاج أسلوب الخصخصة، العوامل الدافعة نحو الخصخصة، تقييم.

أما الفصل الخامس فخصص للدراسة التحليلية وإجراءاتها المنهجية، وقد تضمن منهج الدراسة، المجتمع البحثي وتحليل أعمال مالك بن نبي.

وفي الفصل السادس والأخير فتم استعراض نتائج الدراسة: مفهوم مالك بن نبي للتنمية الشاملة، مقومات التنمية وأسسها، الأبعاد السوسولوجية للتنمية في فكر مالك بن نبي ثم تقييم التجربة التنموية الجزائرية على ضوء فكر بن نبي.

# الفصل الأول

الاطار التصوري للدراسة

## الفصل الأول: الاطار التصوري للدراسة

أولاً: مشكلة البحث

ثانياً: تحديد المفاهيم

ثالثاً: المقاربات النظرية

رابعاً: الدراسات السابقة

## أولاً: مشكلة البحث

## أ-تحديدها وصياغتها:

لقد شغلت التنمية في صورتها البسيطة -بما تعبر عنه من مضامين تتعلق في المقام الأول بحاجيات الانسان الافتقارية من مأكّل ومشرب وأمن ومسكن-الفكر الانساني منذ آماذ بعيدة، وهذا ما يؤكّده النص القرآني في معرض امتنان الله سبحانه على أمة العرب بأنه ﴿أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

أما الفكر التنموي في صورته المعقّدة -المركبة- فبدأ الاشتغال عليه في أواخر الحرب العالمية الثانية، وان كانت البدايات الأولى ترجع الى منتصف القرن التاسع عشر، وسواء تعلق الأمر بأوروبا في تلك الحقبة أو بمجموع الدول المتحررة حينها وبعدها فقد اختزل مفهوم التنمية إلى الدلالة على مجرد النمو الاقتصادي السريع، وتبعاً لذلك أصبحت المؤشرات الاقتصادية هي معيار الحكم على درجة نمو هذا المجتمع أو ذلك.

والمتتبع لسيرورة حقل دراسات التنمية يدرك بجلاء ما خضع له مفهوم التنمية من تطورات تبعاً للتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الحاصلة في مختلف المجتمعات، وتبعاً كذلك للتحوّلات السياسية التي أعادت رسم الجغرافيات المحلية والدولية على حدّ سواء. فنتيجة لكل التغيرات والتحوّلات الحادثة، وكثيرة لعديد الدراسات والأبحاث المتعاقبة، تحرر مفهوم التنمية من عملية الاستلاب من جانب علم الاقتصاد، وأعيد له الاعتبار بوصفه عملية شاملة تخدم الإنسان بكل أبعاده.

وبعيدا عن رحلة التطور المفهومي للتنمية وما انتهت إليه، فإن عديد الدراسات التي أجريت والجهود التي بذلت من قبل الباحثين والمتخصصين استهدفت وضع الفرضيات والنظريات التي تفسر كيفية انتقال الدول المتحررة حديثا -أو تلك القابعة في تخلفها رغم عدم استعمارها- من حالة التخلف التي تطبعها إلى حال التقدم والتطور، وأسفرت تلك الجهود عن أطر تصورية ومداخل منهجية اختلفت منطلقاتها وتباينت ايدولوجياتها، وعلى كثرتها وتعددها يمكن حصرها في النظريات ذات الوجهة التحديثية ونقيضتها ذات الوجهة المادية التاريخية وكلاهما من مخرجات الجغرافية الغربية.

فقد سعت النظريات التحديثية بمجمل طروحاتها الى ربط مستقبل الدول المتخلفة بمدى تمثلها للنموذج الغربي الرأسمالي مدفوعة في ذلك بعقدة التفوق والنزعة العنصرية الممجة لحضارة الرجل الأبيض، وعقدة التفوق هذه ليس منشؤها الانتساب للأصل الاغريقي الروماني، بل جذورها الحقيقية الفكر الصهيوني صاحب أكذوبة شعب الله المختار، وانطلاقا من هذه الخلفية لم يستطع العالم المصنع أن يتعامل مع الدول المتخلفة -على مستوى الأفكار والممارسات- إلا من خلال علاقات الاستعلاء والهيمنة، مشدودا دوما إلى ماضي علاقاته مع سابق ممتلكاته (مستعمراته).

وفي المقابل جاء أصحاب الاتجاه المادي التاريخي من خلال طروحاتهم التي بنيت على أساس نقد الاقتصاد السياسي الرأسمالي، وهذا ما جعلها -وما تفرع عنها من اتجاهات كمدرسة التبعية- تحظى بقبول أوسع لدى الدول المتخلفة غداة تحررها من ريق الاستعمار.

ومعلوم أن الدول المتخلفة -والأقطار العربية من مشمولاتها- لم تسلك كلها غداة استقلالها نفس التوجهات (الرأسمالية أو الاشتراكية)، ولم تتبن نفس السياسات الانمائية لإعادة

إعمار ما خربته الحروب، وتحسين أوضاع أفرادها والارتقاء بهم بعد ما عانوا سنينا طوالاً كل أشكال التجهيل والإذلال والحرمان.

ورغم اختلاف نسب ودرجات ما حققته هذه الدول من نمو على طريق الرقي، إلا أنها ظلت في معظمها بعيدة عن أهدافها المسطرة وطموحاتها المنشودة، فخابت بذلك أحلام الجماهير التي طالما وعدت بالعيش الرغيد والجنة الآمنة، ورغم كل محاولات الإصلاح والتحوير إلا أن حلم الازدهار ظل سرايا يبصر ولا يدرك.

في هذا السياق التاريخي البائس لدول العالم الثالث تأتي صدمة موجعة لشعوبها تنبئهم بانهيار معسكرهم الاشتراكي وإعلان عجزه -على المستوى العملي- عن قيادة شعوبه نحو بر الأمان وعالم الأحلام: أحلام المساواة والعدالة والعيش الرغيد.

وفي ظل هذا التيه والحيرة عدل كثير من دول العالم الثالث اتجاه بوصلته آملاً أن يجد الرأسمالية ضئراً رؤوماً، فكانوا بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار، وتوجه المكره يكون دوماً مشوباً بكثير من المخاوف، فقد سبق لهذه الدول التي حوّلت وجهتها أن سمعت عن هزات داخل البيت الرأسمالي... ورغم وهم الحريات الذي لقيته الشعوب المحوّلة في ظل التوجه الرأسمالي، إلا أن أوضاعها الداخلية لم تزد الا تعقد، ومع توالي الأزمات المالية الخانقة -خصوصاً في العقود الأخيرة- بدأت الأصوات ترتفع داعية للبحث عن بدائل أخرى تكفل للإنسان في هذا العصر الاستقرار والأمان.

إن تهاوي أسطورة نهاية التاريخ التي زعمت أن الليبرالية الغربية الراهنة تشكل قمة الاجتهاد البشري الذي لا يقبل بمعاشرة بدائل أخرى، اعاد الثقة لكثير من مفكري العالم الثالث



-خصوصا في عالمنا الاسلامي- في إمكانية البحث عن طريق الخلاص الثالث بعيدا عن متلازمة (الاشتراكية / الرأسمالية).

إن هذه الاستفاقة المتأخرة والمحمودة لكثير من مفكرينا كانت قد سبقتها توقعات - أشبه بالتنبؤات- علمية مدروسة تنبئ بفشل الاشتراكية، وأن الرأسمالية -وإن امتدت بعدها بفضل ميكانزمات التجدد فيها- آيلة لنفس المصير المحتوم، وفي عالمنا العربي والإسلامي فإن أبرز هذه التوقعات العلمية المدروسة جاءت بها اجتهادات مفكرين متشبعين بقيمهم وثقافتهم الشرقية والاسلامية تحديدا، ويأتي في مقدمة هؤلاء الأعلام المفكر الجزائري الأستاذ مالك بن نبي.

لقد نذر المفكر بن نبي حياته خدمة لوطنه الجزائر وأمتة الاسلامية، ومستندا إلى ثقافته الاسلامية الحية، وما استفاده من علوم الغرب واتكاء على مجمل تأملاته عمل جاهدا على تنبيه شعوبنا لما هم فيه من التيه وتوجيههم نحو سبيل الرشاد، فنبه المسلم لعظم الدور المنوط به في هذا العصر والرسالة الملقاة على عاتقه، فرسم معالم الطريق وحدد شروط النهضة من أجل تغيير الأوضاع القائمة، أوضاع الجهل والتخلف والذلة.

واستنادا لكل ما سبق ذكره ومن خلال المعاشية والمتابعة لكل السياسات الانمائية في الجزائر وباقي الدول العربية، وما اعترأها من هزات وتحولات جذرية هنا وجزئية هناك، دون أن تحقق مبتغاها تولد الإحساس بضرورة البحث والتتقيب عن فكر تنموي جديد غير الذي عهدناه أو نعايشه حاليا، يتيح لأوطاننا تحسين أوضاعها والسعي بها نحو عالم الشهود الحضاري.

وانطلاقا من مختلف الاشكالات والأفكار المطروحة سابقا، تولدت الرغبة العلمية في محاولة الكشف عن بديل إنمائي للمناهج الغربية، بديل يتفقق عن عقول مفكرينا ومبدعينا، ليرسم

لنا نهجا من وحي ثقافتنا ويضعنا على طريق التحضر من جديد، ومن هنا كان التساؤل الأساسي:

ما هو تصور مالك بن نبي للتنمية الشاملة في الدول العربية؟

وهذا التساؤل بدوره يثير العديد من التساؤلات الفرعية والتي لا يمكن الوقوف عندها جميعا ولكننا نذكر أبرزها مما نرى أنه خادم لموضوع البحث.

1- ماهي مقومات التنمية الشاملة في تصور مالك بن نبي؟

2- ما هي الأبعاد السوسولوجية في الفكر التنموي عند مالك بن نبي؟

3- ما هي حدود التقاطع والاختلاف في فكر بن نبي مع المشاريع التنموية في الجزائر؟

والدراسة التي بين أيدينا استهدفت الاجابة على هذه التساؤلات مؤملة الكشف عن نموذج إنمائي أصيل يحقق لنا ما أخفقنا في الوصول إليه باتباع النماذج المستوردة.

ب-مبررات اختيار الموضوع:

لقد تفاعلت جملة من العوامل الذاتية والموضوعية وتساندت فيما بينها لتشكل دافعا قويا يوجهني لمعالجة هذا الموضوع آملا النفع لنفسي بما سأستزيده من علم ومعرفة، وراجيا من الله أن ينفع به غيري.

\*-العوامل الذاتية:

-فمن جملة العوامل الذاتية أن معظم دراسات العلوم الاجتماعية والانسانية تجتهد في مقارنة الواقع الاجتماعي لعالمنا العربي والاسلامي، انطلاقا من نظريات غربية -لسنا منغلقيين على أنفسنا ازاءها- وضعت بالأساس لاستنتاج فضاءات اجتماعية ثقافية مغايرة لمجتمعاتنا.

وقليلة هي الدراسات التي حاولت مقارنة مختلف ظواهر عالمنا انطلاقا من رؤى وتصورات من عمق ثقافتنا الحضارية، ومن هنا جاءت هذه الدراسة مؤملة -بتواضع شديد- أن تسدّ شيئا من هذا النقص.

-وإذا كانت عقدة الولع بالآخر الغربي هي عامة في عالمنا العربي، ففي الجزائر عقد ثنائية أكبر تمارس الاقصاء على الفكر الجزائري تجاه الآخر العربي، فكثيرة هي الدراسات التي تحفل بأسماء الرواد المشاركة، ونادرا ما تقرأ أسماء لمفكرين جزائريين في الدراسات المقدمة في جامعاتنا، وكثير من طلبتنا يجهلون أسماء النوابح الجزائريين في العلوم الانسانية والاجتماعية.

-رغبتي في الاطلاع الكامل والشامل على أعمال المفكر مالك بن نبي لأكون صورة متكاملة حول جميع أفكاره وتصوراته والاستفادة من تحليلاته لواقعنا.

\*العوامل الموضوعية:

1-إن موضوع التنمية الشاملة وتحقيق النهضة مازال يفرض نفسه وبقوة في عالمنا العربي خاصة والاسلامي عامة، ففي حين استطاعت بعض دول العالم الثالث أن تحقق بعض النجاحات في عالم التنمية وتحسّن من أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، لا تزال دولنا العربية تراوح مكانها، في أجواء من الاضطرابات والحيرة، وعدم وضوح الرؤية والتردد بين هذا النهج وذاك.

2- لقد استطاعت بعض الدول الإسلامية أن تستفيد من أفكار علمائنا، وتحقق بعض النجاحات المعتمدة على طريق التقدم، ومثال ذلك (إيران، وفكر علي شريعتي) و(ماليزيا وفكر مالك بن نبي)، فلقد أثبتت أفكار الرجلين فعاليتها على المستوى النظري والعملية، فلماذا التردد في الأخذ بهما، خصوصا ونحن أولى بمالك بن نبي من ماليزيا؟

### ج- أهمية الدراسة:

هذا وتكمن أهمية هذه الدراسة في جملة ما تمثله من أبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية وحضارية، فعلى المستوى الاجتماعي فإن الحاجة جد ماسة لاستحداث تغييرات تقود إلى تحسين الأوضاع وإلا فإن بقاءها على حالها يهدد المجتمع بوضع شاذ خطر استبد اليأس فيه بنفوس أفراد المجتمع فتحول الكثير منهم إلى معاول للهدم بعد أن كانوا أياد للبناء والتعمير.

وعلى المستوى الاقتصادي فبعد تراجع جاذبية النظام الاشتراكي فإن نموذج التنمية المتبع حاليا هو رأسمالية عاجزة تعيد إنتاج شروط التخلف، وحتى نتحرر من وزرها علينا أن نولي وجوهنا شطر النهج القويم الذي سبق أن قادنا إلى طريق الحضارة وبوأننا القمة السامقة بين مجموع الدول.

وأما على المستوى الثقافي فإن حالات الاغتراب من جهة والاستيلاء من جهة ثانية، ولدت في نفوس الكثير من أبناء مجتمعاتنا ثقافة اللا انتماء ومثل هذه الثقافة هي المناخ الملائم لزراعة بذور القابلية للاستعمار، ومن هنا يقتضينا واجب الانتماء للوطن أن نسارع في وضع المشروع الثقافي الذي يضمن الحصانة والمناعة في وجه كل أشكال الضياع والفناء.

وتكمن أهمية الموضوع في بعدها السياسي، في لفت الانتباه لما يحاك لأقطارنا من مؤامرات متوسلة إلينا باسم الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان، ولكنها كالممزوج بالعسل، وتكفي نظرة خاطفة على دول الربيع العربي لنرى كيف استبدل الاستقرار بالفوضى الخلاقة، ذلك أن التغيير الذي تحرك خيوطه الأيدي الأجنبية لا يمكن أن يحقق لنا السلامة فضلا عن أن يقودنا للتقدم والازدهار.

أما بخصوص البعد الحضاري فتأتي هذه الدراسة لتذكر شعوب الأمة بأننا لسنا في مستوى الشعوب الفطرية (القبائل البدائية)، فنحن أبناء حضارة رسومها ليست دراسة فهي ما تزال تنبئ عن عظمة رجالها وعبقريتها، وحينما نذكر بهذا فلكي نحرر شعوبنا من عقدة وله المغلوب بالغالب، ومن تحرر من هكذا عقدة أمكنه السعي لإعادة بعث حضارته من جديد، فخير الناس ذو حسب قديم، أقام لنفسه حسبا جديدا.

#### د- أهداف الدراسة:

وتحقيقا لما سبق استهدفت الدراسة الكشف عن:

- تصور مالك بن نبي للتنمية الشاملة في الدول العربية.
- مقومات وآليات تحقيق التنمية الشاملة في تصور مالك بن نبي.
- الأبعاد السوسولوجية للفكر التنموي عند مالك بن نبي.
- حدود التقاطع والاختلاف في فكر بن نبي مع المشاريع التنموية في الجزائر.

## ثانياً: تحديد المفاهيم

تهدف هذه الدراسة في بعض ما تهدف إليه التوصل إلى تحديد مفهوم التنمية والتخلف وما ارتبط بهما من مفردات الحقل الدلالي نفسه، وهذا لا يمكن الكشف عنه إلا في نهاية الدراسة، وغاية ما سنفعله هنا هو تقديم تحديدات لمفاهيم جملة من المصطلحات حسبما تواتر ورودها في التراث النظري للعلوم الاجتماعية والانسانية، ثم العود إليها في نهاية هذا العمل البحثي لنقف على أوجه التشابه أو الاختلاف بينها وبين تصورات المفكر مالك بن نبي.

إن لتحديد مفاهيم المصطلحات أهمية بالغة في زيادة الفهم والوضوح من جهة، وتحسين سبل التواصل المعرفي بين المتخاطبين من جهة أخرى، إذ من أهم مقدمات هذا التواصل فهم المصطلحات والمفاهيم، لكونها مفاتيح العلوم والمعارف والأفكار، خاصة إذا استحضرننا كون المفهوم هو المعنى الذي يحمل إلى الذهن بواسطة مصطلح معين وهو من ثم يحتوي ويختزن الكثير من المقولات الأساسية التي توظفها النظرية في خطابها خصوصاً عندما يتجه هذا الخطاب إلى مقارنة الواقع فحينها يكتسي المفهوم المضامين والأبعاد الثقافية والحضارية للبيئة التي يتحرك فيها ويعمل.

## أ- التنمية:

لغة: مأخوذة من الجذر "نمي، نماء" وتعني الزيادة والكثرة جاء في لسان العرب: "نمي ينمي ونمياً ونماء، زاد وكثر"<sup>(1)</sup>، والمعنى نفسه نجده في القاموس المحيط مع اختلاف في الاشتقاق الصرفي حيث يقول صاحبه "نما ينمو نمواً زاد والخضاب ازداد حمرة وسواداً"<sup>(2)</sup>، ولا

<sup>1</sup> - ابن منظور: لسان العرب، ج 15 ط1، دار صيدا، بيروت، لبنان 1410هـ - 1990م، ص 341.

<sup>2</sup> - الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج4، د ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د س ن، ص 397.

يرى صاحب القاموس فرقا بين نما ينمو ونمي ينمي، والدلالة على الزيادة متواتر بين جميع المعاجم والقواميس، وأنميت الشيء ونمّيته، أي جعلته ينمو فهو نام ومنه " نامية الله، خلقه لأنهم ينمون، وما على الأرض نام وصامت فالنامي كالنبات والصامت كالحجر"<sup>(1)</sup>.

"ونمي الشيء وتنمّى ارتفع"<sup>(2)</sup>، و"تمت الناقة إذا سمّنت وفي حديث معاوية: لبعث الفانية واشترت النامية أي لبعث الهرمة من الإبل واشترت الفتية منها"<sup>(3)</sup>، وأما كلمة تنمية فلم ترد بالمعنى الذي نستعمله اليوم وإنما جاءت في مقابل "نميت الحديد، مخففاً أي بلّغته على وجه الإصلاح والخير ونمّيته تنمية أي بلّغته على وجه النميمة والإفساد"<sup>(4)</sup>.

وفي المعجم الوسيط" نَمَى الشيء أو الحديد تنمية: أنماه -جعله ناميا- والنار أشبع وقودها"<sup>(5)</sup>، وقد وردت كلمة التنمية بمعنى قريب من المفهوم الحديث في المعجم العربي الأساسي في تعريف التنمية الاقتصادية بأنها "رفع مستوى الدخل القومي بزيادة الإنتاج وتحسين الإنتاجية"<sup>(6)</sup>.

وقريب من كلمة التنمية نجد كلمة الإنماء والتي تعني في القواميس القديمة رمي الطريدة وإصابتها إلا أنها تفلت وتموت بعيدا<sup>(7)</sup>، وأما المعاجم الحديثة فتعني الزيادة والكثرة وجعل الشيء ناميا<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دط، دار المعرفة، بيروت، لبنان 1991، ص 473.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 437.

<sup>3</sup> - ابن منظور: مرجع سابق، ص 342.

<sup>4</sup> - محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1979، ص 681.

<sup>5</sup> - إبراهيم أنس وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، ج2، مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف، مصر 1973، ص 956.

<sup>6</sup> - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي، ط1، توزيع لاروس، تونس 1989، ص 1234.

<sup>7</sup> - ابن منظور: مرجع سابق، ص 343.

<sup>8</sup> - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق، ص 1234.

وأما في اللغة الفرنسية فتعني كلمة التنمية طورّ وبسط ومدّ ومنه وسّع فكرة أو موضوعاً ونمّاه، كما تعني نمو طبيعي لجسم حي من خلال اكتسابه لوظائف وأعضاء جديدة<sup>(1)</sup>.

وخلاصة هذا التحقيق اللغوي المركز أن جذر كلمة التنمية سواء في العربية أو في الفرنسية تعني النمو والزيادة والتطور والكثرة، وجوهر هذه المعاني هو تحوّل الشيء مادياً كان كالإنسان والنبات أو معنوياً كالأفكار، تحوله من صورة إلى أخرى في الاتجاه الإيجابي، فالكلمات زاد وكثر وطور وبسط ومد ووسع لا ترجع من الناحية الاشتقاقية إلى جذر واحد إلا أنها ضمناً تنطوي على معنى واحد يتألفها جميعاً وهو التغير والتحول في الاتجاه الحسن.

اصطلاحاً: إذا كانت معاني كلمة التنمية ومختلف مشتقاتها التي تعود إلى أصل واحد ينتظم معناها، إذا كان هذه المعاني قد تقاربت من حيث دلالتها على التغير والتحول من خلال فعلي الزيادة والنمو، فإن المعاني الاصطلاحية كانت خلاف ذلك، حيث تباينت آراء المنظرين والباحثين بحكم توقعاتهم الإيديولوجية وتحيزاتهم الثقافية، فتعددت تبعاً لذلك تعاريفهم وتحديداتهم للمفهوم، وإن كانت لا تخلو من بعض التقاطعات الناشئة من كون الظاهرة موضوع الدراسة تتعلق بالإنسان كذات فاعله ومنفعلة وفيها من الثوابت بقدر ما فيها من المتغيرات.

فعلماء الاقتصاد مثلاً ينظرون إلى التنمية على أنها: "مزيد من الإنتاج الاقتصادي في حقلي السلع والخدمات"<sup>(2)</sup>، وأما نظراؤهم في الحقل السياسي فـ" يعتبرون أن التنمية تعني

<sup>1</sup> -Dictionnaire de la langue française « Encyclopédie »: 2<sup>eme</sup> édition, imprimée en Italie, 94 P386.

<sup>2</sup> - فرديريك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، ط1، أكاديمية أنترناشيونال، بيروت لبنان 1998، ص128.



المزيد من التقدم نحو نماذج الديمقراطية والحكم على النمط الحديث، المعروف بعدالته وفعاليته وشموليته<sup>(1)</sup>.

وبينما يذهب علماء الإدارة إلى تعريف التنمية بأنها " مزيد من التنظيم البيروقراطي الفعال والإنتاج المؤسسي"<sup>(2)</sup>، يرى علماء الاجتماع بأنها " مجموعة العمليات المنظمة والهادفة والتي تؤدي إلى التغيير الاجتماعي والانتقال من البنى التقليدية إلى البنى الحديثة"<sup>(3)</sup>.

ومن بين المجالات الأربعة السالفة الذكر أي المجال الاقتصادي، السياسي، الإداري، والاجتماعي، سنكتفي هنا بأخذ بعض التعريفات لمفكرين اجتماعيين وهذا تماشياً مع طبيعة الدراسة القائمة في الإطار السوسولوجي من جهة وتجنباً للتشعب بذكر تعريفات مفكري المجال الاقتصادي والسياسي والإداري وإن كانت الإشارة للتعريفات المجملّة في إطار الحقول المذكورة قد تمّ التعرض لها بالذكر.

فمن بين المفكرين الاجتماعيين نذكر السيد الحسيني الذي يرى بأن " التنمية عملية شاملة معقدة تضم فيما تضم جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإيديولوجية، تلك حقيقة أساسية يتعين أخذها بعين الاعتبار، سواء كنا بصدد إقامة تصور عام لظاهرة التخلف أو تحديد دقيق لاستراتيجية التنمية"<sup>(4)</sup>.

وأول ما يلفت النظر في هذا التعريف هو التأكيد على شمولية الفعل التنموي، فهو لا يمس جانباً من حياة الإنسان ويهمل آخراً، فحياة الإنسان كل متكامل بجوانبه المادية والفكرية

<sup>1</sup> فريديك معتوق: المرجع السابق، ص128.

<sup>2-3</sup> المرجع نفسه، ص128.

<sup>4</sup> السيد الحسيني: التنمية والتخلف دراسة تاريخية بنائية، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص ص (5-6).

والروحية، ومن ثم فلا يتصور تخلف لمجتمع ما إذا كان يشكو قصورا في جانب واحد من جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، فالتخلف هو عنوان لقصور في معظم جوانب الحياة الإنسانية، وكذلك تكون التنمية نهضة وارتقاء في معظم الجوانب.

أما سميرة كامل فتشير إلى جوانب ومعان أخرى للتنمية فتقول " ويمكن تحديد مفهوم التنمية بأنها ذلك الشكل المعقد من الإجراءات والعمليات المتتالية والمستمرة التي يقوم بها الإنسان للتحكم بقدر ما في مضمون واتجاه وسرعة التغيير الثقافي أو الحضاري في مجتمع من المجتمعات بهدف إشباع حاجاته، أي أن التنمية ما هي إلا عملية تغيير اجتماعي مقصود وموجه له مواصفات معينة بهدف إشباع حاجات الإنسان"<sup>(1)</sup>.

وما يلاحظ على هذا التعريف هو تركيزه على جملة أشياء، يأتي في مقدمتها التأكيد على الجانب العملي الذي تأخذه العملية التنموية، وإن الفعل التنموي في مضمونه ما هو إلا تغيير ثقافي وحضاري يشهده مجتمع ما ويستهدف إشباع حاجات أفراد، وبالتالي فنحن إزاء تغيير اجتماعي مقصود وهادف يتم التخطيط له وتنفيذه بوعي كامل.

ويكاد تعريف سميرة كامل يتطابق مع تعريف عبد الهادي الجوهري، عدا بعض الإضافات الموضحة والمفسرة حيث يقول: " إن التنمية ما هي إلا تغيير اجتماعي إرادي ومقصود للانتقال من الحال الذي هو عليه فعلا إلى الحال الذي ينبغي أن يكون عليه آملا، والتنمية بهذا المعنى تكون تطورا، حيث انتقالها بالمجتمع من طور إلى آخر لا يمكن أن تعود به القهقري، وإنما تأخذ بيده إلى الأمام، إلى الطور الأحسن والأفضل، وهي تمدن حيث تحتوي

<sup>1</sup> - سميرة كامل محمد: التنمية الاجتماعية مفهومات أساسية رؤية واقعية، دط، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، 1988، ص14.

التنمية في داخلها ولو بالقوة (وليس شرطاً أن يكون بالفعل) - على اتجاه التحول مما هو تقليدي إلى ما هو أحدث، كما أنها نمو (موجب محبب ومرغوب) حيث هي في أحد تعريفاتها الهامة، زيادة في فرص حياة بعض الناس دون نقصانها من بعض آخر في نفس الوقت ونفس المجتمع<sup>(1)</sup>.

وهذا التعريف يعضد سابقه في كون التنمية تغير اجتماعي هادف وواع ومقصود وأنه يستهدف اشباع حاجات الإنسان من خلال الانتقال به من وضع وواقع راهن تقليدي إلى وضع مأمول ومرغوب يكون أفضل وأحسن من سابقه...، ومما يلاحظ أيضاً على هذا التعريف تقاطعه مع تعريفات أخرى وهو ما يضيف عليه طابع الشمول، فقد نصّ ذات التعريف على كون التنمية هي زيادة دون نقصانها من بعض آخر في نفس الوقت ونفس المجتمع، وهو ما أشرنا له أثناء التعليق على تعريف السيد الحسيني حيث ذكرنا حينها بأن التنمية تتحقق بلامستها لمعظم جوانب الحياة دون قصور فادح في جانب من الجوانب المتبقية، أو يكون التخلف الذي يمس كذلك معظم جوانب الحياة، وأما عبد الهادي الجوهري فيتكلم على الشمول كذلك وإن كان يعني به شمول جميع الفئات الاجتماعية إذ لا يمكن تصور تنمية تعيشها وتتفع من ريعها بعض الفئات الاجتماعية وتحرم منها أخرى، وتتص بعض المراجع الفرنسية على أن التنمية هي: " عملية تحول (تغير) للبناءات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمؤسسية التي تسمح بظهور النمو واستمراره في الزمن"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الهادي الجوهري وآخرون: دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل إسلامي، د ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1986، ص 8.

<sup>2</sup> - Michel Bialès et autre :L'essentiel sur l'économie, 4<sup>eme</sup> édition, copyright Berti Editions, Alger , 2007, P191

وهذا التعريف كما التعريفات السابقة يؤكد في وضوح على أن التنمية هي عملية تغير وتحول يمس جميع جوانب الحياة وضرورة استمراره في الزمن، وفي هذه النقطة يتقاطع مع تعريف عبد الهادي الجوهري، لأن التنمية إذا توقف مسارها ولم تعد تنمو وتستمر في الزمن استحال إلى سكون فجمود ثم موت، وهذا ما حدث لأمتنا في عهود الانحطاط.

ومن خلال استقراء جميع التعريفات اللغوية والاصطلاحية للتنمية يمكن تعريفها إجرائيا على أنها: مجموعة العمليات الإرادية المنظمة والشاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية والهادفة إلى تحقيق التغير الاجتماعي والانتقال من البنى التقليدية إلى البنى الحديثة مع ضمان الاستمرار في الزمن.

#### التنمية الشاملة:

أثناء معالجة مفهوم التنمية بمعزل عن كلمة " الشاملة " لاحظنا أن معظم التعريفات كانت تنص على أن التنمية هي عملية شاملة لجميع جوانب الحياة ولذا سنتقصر هنا على تعريف واحد، نقدمه كتعريف إجرائي ببن يدي الدراسة وستعود له بشيء من التركيز في الفصل الثاني. فيمكن تعريف التنمية الشاملة على أنها: عملية واعية مقصودة تضم جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والروحية والفكرية، تؤدي في شكل معقد من الإجراءات والعمليات المتكاملة والمتتالية والمستمرة بهدف إعمار الأرض وتحقيق الأمن والرفاه لشعبها.

وإذا كان تحديد مفهوم التنمية قد أملتة علينا ضرورة البحثية بوصفه المفهوم الأساسي والمركزي لهذه الدراسة إلا أن التعرّيج على بعض المفاهيم التي تتقاطع وتتكامل وظيفيا مع

مفهوم التنمية يعد ضرورة لا غنى عنها، وهذه جملة المفاهيم التي سنقف عندها: النمو، التغيير، التطور، التقدم والتخلف، وسنكتفي في معالجتها بتحديد مفهومها وبيان نقاط الالتقاء أو التباين مع المفهوم المركزي أي التنمية الشاملة، أما التعريف الإجرائي فنقصره على المفاهيم المركزية في البحث كالتنمية الشاملة والفكر التنموي.

### ب-النمو:

لغة: يتضمن نفس معاني كلمة التنمية التي سبق تحديد مفهومها لغة ففي حين يرى صاحب اللسان أن الأصح هو نَمَى ينمي<sup>(1)</sup>، نجد صاحب القاموس المحيط يستعمل نما نمو<sup>(2)</sup>، ولكن مع هذا الاختلاف في الاشتقاق الصرفي إلا أن الدلالات تبقى هي نفسها، وقد ذكرناها من قبل في تحديد مفهوم التنمية، والأمر نفسه نجده في اللغة الفرنسية فإن كلمة Croissance<sup>(3)</sup>، تحمل نفس دلالة كلمة Développement وهي النمو والتطور والنماء والتكاثر مع زيادة قليلة في المصطلح الثاني كالدلالة على معنى التوسيع والتمديد.

اصطلاحاً: قبل الوقوف عند بعض المعاني الاصطلاحية نذكر بأن كلمة النمو تلتقي في المفهوم اللغوي مع كلمة التنمية في الدلالة على معنى الزيادة، أما اصطلاحاً فـ" النمو هو غير التنمية"<sup>(4)</sup>، فهو يعني " عملية النضج التدريجي والمستمر للكائن وزيادة حجمه الكلي أو أجزائه في سلسلة من المراحل الطبيعية، كما يشير إلى نوع معين من التغيير وهو التغيير الكمي"<sup>(5)</sup>،

<sup>1</sup> - ابن منظور: ج15، مرجع سابق، ص341.

<sup>2</sup> - الفيروز أبادي: مرجع سابق، ص 397.

<sup>3</sup> - Dictionnaire de la langue française: Op, Cit, P325.

<sup>4</sup> - فريدريك معتوق: مرجع سابق، ص 171.

<sup>5</sup> - دلال ملحس استيتية: التغيير الاجتماعي والثقافي، ط 2، دار وائل، عمان، الأردن 2008، ص 33.

فالنمو بهذا المعنى أقرب إلى الحقل الاقتصادي منه إلى الحقل الاجتماعي لأننا نتكلم عن زيادة وعن كم يمكن قياسه وحسابه رياضياً.

كذلك فإن النمو " يختلف عن التنمية في كونه تلقائياً، بينما التنمية عملية إرادية مخططة ومن الناحية النظرية، فإن مفهوم النمو يقترب من مفهوم التطور، ولكنه لا يتطابق معه، وحينما تضاف كلمة اجتماعي إلى النمو ليصبح " النمو الاجتماعي" أي الذي يتعلق بالمجتمع، فإنه يعني في هذه الحالة نمو السمات الفردية بما يتفق مع الأنماط الاجتماعية المقررة، والبيئة الاجتماعية من ناحية عامة"<sup>(1)</sup>.

والذي يستوقفنا في هذا التعريف هو النمو الاجتماعي الذي يعني تحولاً وارتقاءً في السمات الفردية بما يتفق مع الأنماط الاجتماعية المقررة والمستهدفة من وراء الفعل التنموي وهذا التحسن في السمات الفردية مضافاً له التحسن في بعض الجوانب الاجتماعية الأخرى هو الذي ولّد تسميات جديدة في الفكر الحديث حيث صار يسمع عن المجتمعات النامية والأقل أو الأكثر نمواً وإن كان الجدل لا يزال قائماً حول شرعية هذه التسميات.

هذا وقد ذكر سبنسر أن النمو ظاهرة مشتركة بين الأجسام العضوية والمجتمعات فكما تنمو المجتمعات بزيادة عدد أفرادها والتحسين في سماتهم، تنمو كذلك الأجسام وتكبر خلال فترة زمنية ثم تتوقف وهذا الأخير يجعل نمو الأجسام مختلف على النمو الاجتماعي الذي يبقى مستمراً إلى أن تنقسم المجتمعات أو يقضى عليها<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - دلال ملحق استثنائية: مرجع سابق، ص 39.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 40.

ج-التغير الاجتماعي:

لغة: من الجذر " غ ي ر " و " تغير الشيء عن حاله، تحول وغيّره: حوّله وبدّله كأنه جعله غير ما كان. وفي التنزيل العزيز: " ذلك بأن الله لم يك مغيّراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..."، وتغايرت الأشياء : اختلفت ...وغيّرُ الدهر: أحواله المتغيرة"<sup>(1)</sup>.

ومثلما تتغير الحال بالانقلاب إلى السوء كما ذكرت الآية أنفاً يمكن أن يحدث العكس فـ " غارهم الله تعالى بمطر سقاهم وبخير أعطاهم"<sup>(2)</sup>، ويعمم هذا المعنى على كل فعل حسن يصدر عن الإنسان فنقول: " غار ويغير ويغور إذا أتى بخير ونفع"<sup>(3)</sup>.

وإذا رجعنا لمعنى التغير في اللغة الفرنسية نجد أنها مأخوذة من الفعل غيّر وبدّل والانتقال من حال إلى أخرى وهي مرادف للكلمات تعديل وتحويل وانتقال وتبديل والتقلب والاختلاف والتنوع أي ضد السكون والثبات، والمتغير هو القابل للتحويل والتغير عما كان عليه سابقاً<sup>(4)</sup>.

وملخص المعاني اللغوية لكلمة التغير في اللغتين العربية والفرنسية أنها تعني الانتقال من حال سالفة إلى حال جديدة عن طريق فعل التحول والتبدل لتكون الحال الجديدة مختلفة عن سابقتها سواء أو حسناً، وفعل التحول أو التغير قد يحدثه الإنسان بنفسه أو بواسطة الغير.

أما اصطلاحاً: فإن التغير الاجتماعي يعرف على أنه: " مبدأ التعديل الاجتماعي الفوري الذي يتكيف من خلاله النظام الاجتماعي مع أي طارئ أو أي جديد، بحيث يستوعب هذا الحدث

<sup>1</sup> - ابن منظور: ج5، مرجع سابق، ص 40.

<sup>2</sup> - الفيروز أبادي: المجلد الثاني، مرجع سابق، ص106.

<sup>3</sup> - أحمد بن محمد الفيومي: كتاب المصباح المنير، ج2، دط، دار القلم، بيروت، لبنان، د س ن، ص627.

<sup>4</sup> - Dictionnaire de la langue Française « Encyclopédie » :Op, Cit, P224.

ويتأقلم مباشرة معه. ولولا هذه القدرة على التكيف المستمر وعلى التغيير الاجتماعي... لزال الإنسان عن وجه الأرض<sup>(1)</sup>.

فهذا التعريف ينص على أن التغيير الاجتماعي هو تعبير المجتمع عن قدرته على التكيف مع كل جديد طارئٍ وبتعبير آخر هي خاصية المرونة التي يتسم بها المجتمع الذي يريد الاستمرار في الوجود، ومن ثم يمكن القول بأن التغيير الاجتماعي هو ضرورة اجتماعية تحفظ على المجتمع كينونته، فهو بذلك يأتي في مقابل الموت والفناء وهو ما يعبر عنه بألفاظ جد بليغة الفيلسوف اليوناني " هيرقليطس حينما قال: " إن التغيير قانون الوجود، والاستقرار موت وعدم"<sup>(2)</sup>.

ويذكر جيروشي في كتابه التغيير الاجتماعي أن " التغيير الاجتماعي يعني كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن ولا يكون مؤقتاً سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها"<sup>(3)</sup>.

فروشي من خلال تعريفه هذا يركز على ما يصيب البناء الاجتماعي من تحولات عميقة وتؤثر في هيكل النظام الاجتماعي ويدخل تغييرات جوهرية على حياة فئات عريضة من المجتمع، ومن صفات هذا التغيير كذلك الاستمرار النسبي في الزمن بمعنى ألا يكون سريعاً حتى يمكن فهمه وإدراك أبعاده.

وإذا كان تعريف رويشي قد ذكر بصفة مجملّة ما يعتري البناء الاجتماعي من تحولات ذات أثر عميق نجد آرنولد يركز على جوانب محددة في البناء الاجتماعي فيقول أن: " التغيير

<sup>1</sup> - فريديك معتوق: مرجع سابق، ص 303.

<sup>2</sup> - دلال ملحس استيتية: مرجع سابق، ص 19.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 23.



الاجتماعي يشير إلى نمط من العلاقات الاجتماعية والأشكال الثقافية في وضع معين يطرأ عليها، أو يظهر عليها التغيير أو الاختلاف خلال فترة محددة من الزمن وأن التغيير هذا يخضع لعوامل موضوعية بمعنى أنه لا يحدث بطريقة عشوائية ولا إرادية ولكن وفقا لضوابط وقواعد معينة<sup>(1)</sup>.

فهذا التعريف يلفت الأنظار للتحويلات التي تصيب البناء الثقافي وكذلك أنماط العلاقات الإنسانية، ذلك أن التحويلات التي تمس مثلا البناء الاقتصادي وإن كانت جلية وظاهرة للعيان إلا أن الأفراد لا يشعرون بعمق تحولاتها إلا إذا هزت إشعاعاتها البناء الثقافي للمجتمع وأحدثت خلخلة في العلاقات الاجتماعية.

وهذا التعريف وإن اتفق مع سابقه فيما يخص عامل الزمن بمعنى أن التغيير لا يكون سريعا وإنما في فترة زمنية محددة، إلا أنه ينبهنا إلى أن هذا التحول داخل عامل الزمن لا يتم مصادفة أو دون وعي، فهو خلاف لذلك يتم وفق ضوابط وقواعد معينة.

إن التعاريف السابقة وغيرها التي حددت مفهوم التغيير الاجتماعي يتفق المفكرون والباحثون فيها حول النظرة العامة لماهية التغيير الاجتماعي، فيؤكدون على أنه كل تحول يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والأدوار الاجتماعية والقيم خلال فترة زمنية محددة، مع الإشارة إلى أن هذا التغيير قد يكون نحو الأفضل أي في الاتجاه الإيجابي وهو بهذا نوع من النمو بخطوة نحو التقدم أو يكون في الاتجاه السلبي وفي هذه الحال يصبح تخلفا وعلى هذا فالتغيير ليس له اتجاه محدد وبذلك يخالف مفهوم التنمية ولو من زاوية واحدة.

<sup>1</sup> - دلال ملحق استثنائية: مرجع سابق، ص 23.

## الفرق بين التغيّر والتغيير:

سبق الذكر إلى أن التغيّر إشارة إلى أن الشيء أو الحال أصبحت على غير ما كانت عليه، أي أن التغيّر هو صورة الشيء بعد تحوّلته، أما التغيير فهو "تحويل متعلق لشكل قائم طبيعي أو انساني أو... هو إحلال شكل جديد محل شكل قائم"<sup>(1)</sup>.

وعليه فإن التغيير خلافاً للتغيير ليس هو الصورة الحاصلة بعد التبدل وإنما هو الفعل الشعوري الرامي إلى إحداث تغيير محدد في البنية الاجتماعية أو في جانب منها أو عدة جوانب أخرى ويقف وراء التغيير فاعل ما داخلي أو خارجي يريد أن يغيّر أمراً ما أو سلوكاً ما أو عادة أو قيمة أو نمط من أنماط الحياة<sup>(2)</sup>.

والتغيّر مثله مثل التغيير ليس من الضروري أن يكون منجهاً نحو الإيجابية والصواب وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: ﴿ذلك بان الله لم يكُ مغيّراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾<sup>(3)</sup>.

وسنرى في نهاية الدراسة بأن مالك بن نبي كان منشغلاً بفعل التغيير وتحديد أهدافه ووسائله وليس بالبحث أكاديمياً في معنى التغيّر.

<sup>1</sup> - جبرار جهامي وآخرون: موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والاسلامي المعاصر، ط1، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان 2004، ص ص (605-606).

<sup>2</sup> - عزت السيد أحمد: القيم بين التغير والتغيير، المفاهيم والخصائص والآليات، مجلة جامعة دمشق، المجلد 327، العدد الأول والثاني 2011، ص ص (601-634).

<sup>3</sup> - القرآن الكريم: سورة الأنفال، الآية 53.

د- التطور:

لغة: من الجذر " ط. و. ر " و" الطور: التارة، كقول: طورا بعد طور، أي تارة بعد تارة... والناس أطوار أي أخياف على حالات شتى والطور: الحال وجمعه أطوار، قال الله تعالى: ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ معناه دروبا وأحوالا مختلفة... أي مرة ملك ومرة هلك ومرة بؤس ومرة نعم<sup>(1)</sup>، والطور هو "الجبل... وقيل هو المضاف إلى سيناء وجبل بالقدس..."<sup>(2)</sup>.

والطور والطور " ما كان على حذو الشيء أو بحذائه... ويقال هذه الدار على طوار هذه الدار أي حائطها متصل بحائطها على نسق واحد، قال أبو بكر: وكل شيء ساوى شيئا، فهو طوره"<sup>(3)</sup>.

ولم تختلف القواميس والمعاجم الحديثة عما تضمنته القواميس العتيقة فنجد مثلا في المعجم العربي الاساسي أن كلمة التطور مشتقة من الفعل تطور أي تعدل وتحول من طور الى طور، ومنه نجد الإشارة إلى نظرية التطور عند دارون، والتطور والتطوير يستعملان بالمعنى نفسه.

وفي اللغة الفرنسية فان كلمة التطور مأخوذة من الفعل تطور وتعني التحول التدريجي أي بطريقة تطويرية ارتقائية، والتطور تعني التمدن والوصول إلى درجة عالية من التحضر<sup>(4)</sup>.

وخلاصة القول فيما تضمنته كلمة التطور من معاني لغوية في العربية والفرنسية على حد سواء يمكن إجماله في الكلمات التالية: التطور يعني التحول من حال إلى أخرى تدريجيا

<sup>1</sup> - ابن منظور: ج4، مرجع سابق، ص507.

<sup>2</sup> - الفيروز آبادي: المجلد الثاني، مرجع سابق، ص79.

<sup>3</sup> - ابن منظور: مرجع سابق، ص507.

<sup>4</sup> - Dictionnaire de la langue française «Encyclopédie » :Op, Cit, P 431.

وارتقائيا أي من درجة أدنى إلى أخرى أعلى، والصورة المثلى للتطور تعني بلوغ مرتبة عليا من التمدن والتحضر، ولعل الإشارة في اللغة العربية إلى الجبل بكلمة "الطور" للتعبير عن العلو الشاهق والارتفاع والشموخ، فالإنسان ينتقل من السفوح إلى الهضاب ليبلغ القمم السامقة التي لا ارتفاع بعدها.

-اصطلاحا: سبق الذكر أثناء تحديد مفهوم كل من النمو والتغير، بأن مصطلح النمو يشير إلى نوع معين من التغير وهو التغير الكمي وأنه يقترب من مفهوم التطور، وحين نقف عند تحديد مفهوم التطور- كما سنبين لاحقا - نلاحظ تكرار كلمة التغير بوصفها محددة ومفسرة لمفهوم التطور، وهذا يضعنا أمام شبكة من التقاطعات بين هذه المفاهيم، قد توقع الدارس في خلط أو أخطأ أثناء تصنيف المجتمعات والحكم عليها بأنها متطورة أو متقدمة أو نامية.

فقد ذكر دينكن ميتشل في كتابه معجم علم الاجتماع في معرض حديثه عن التطور الاجتماعي، بأن جميع المجتمعات تتعرض " للتغير والتبدل وذلك من خلال مرورها بمراحل تطويرية تتميز بالبساطة أو التعقد"<sup>(1)</sup>، ثم يضيف قائلا: " وفي الفترة الأخيرة توسع نطاق استعمال اصطلاح التطور الاجتماعي بحيث أصبح يعني عملية التغير التدريجي التي تأخذ محلها في المجتمعات وذلك بتغيير وظائف المؤسسات وتبدل أدوارها الاجتماعية الأساسية، لكن اصطلاح التطور لا يعني بأن جميع المجتمعات تمر في المراحل الحضارية والاجتماعية نفسها: لهذا يستعمل اصطلاح التطور في وصف عمليات التغير التدريجي التي تحدث في المجتمع"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - دينكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان 1986 ص197.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 197.

فهذه الفقرة على قصرها ذكرت فيها كلمة التغير أربع مرات للتعبير عن التطور، وهذا هو التداخل والتشابك الذي أشرنا له سلفا والذي ينبغي أن نتعامل معه بحذر حتى لا نلبس المجتمع غير الصفة التي تتناسب مع المرحلة العمرية التي بلغها على سلم التطور.

كذلك يستوقفنا في تعريف دينكن ميتشل توضيحه بأن التطور إنما يتم من خلال تغير تدريجي عبر مراحل متتالية، إلا أن هذا التغيير المرحل ليس بالضرورة أن يكون هو نفسه في جميع المجتمعات، فقد يحصل التطور وفق تغير مرحل { أ، ب، ج، د } في مجتمع ما، ونجد نفس المبدأ في مجتمع آخر مع اختلاف في طبيعة المراحل { أ، ب، ج، د }.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم التطور الاجتماعي قد استعمل بشكل واسع في العلوم الاجتماعية وفي علم الاجتماع خاصة بعد أن وضع دارون كتابه المعروف أصل الأنواع ووضح فيه نظريته التطورية البيولوجية للكائنات الحية.

ورغم الرواج الذي لاقتته هذه النظرية في بدايتها إلا أن هناك من نبه إلى فروق جوهرية بين عملية التطور لدى الكائنات الحية ونظيرتها لدى الكائنات الاجتماعية، فقد بين جوليان ستيوارد أن هناك اختلافا واضحا بين التطور العضوي والتطور البشري، فالأول يسير في خط مستقيم " حتمي " بينما يسير الثاني في عدة خطوط، وهنا طرحت نظرية التطور متعددة الخطوط، ذلك أن اختلاف العوامل المؤثرة يؤدي إلى اختلاف اتجاه التطور وهذا وجه الاختلاف بين العلماء التطوريين القدامى والمحدثين بمعنى أنهم يتفقون على حتمية التطور عند الكائنات

العضوية وتطور المجتمعات البشرية مع تأكيد المحدثين على كون التطور لدى المجتمعات البشرية لا يسير في خط مستقيم، وإنما في اتجاهات مختلفة باختلاف العوامل المؤثرة<sup>(1)</sup>.

وخلاصة القول هنا أن التطور هو التقدم الحتمي والارتقاء نحو الأفضل عبر سيرورة زمنية متدرجة، فالتطور إذن يجافي التخلف وينأى عنه وهو ما يعني تحقق الفعل التنموي.

#### هـ- التقدم:

لغة: مأخوذة من الجذر (قدم) و " أصل القدم ما قدمته قدامك... وتقدمت القوم سبقتهم ومنه مقدمة الجيش للذين يتقدمون... وله في العلم قدم أي سبق"<sup>(2)</sup>.

ويعبر عن كان في صدر القوم بكلمة قدام وهو نقيض الورا، والفعل منه يقدم قال تعالى: ﴿يُقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾<sup>(3)</sup>، أي يمشي أولهم ويتقدمهم، وقد عبر عن الشجاعة بالإقدام إشارة إلى أن من يتقدم القوم لابد أن يكون أشجعهم، فهو العرض للخطر متى حدث، وفي المقابل فهو يحمل معنى الرفعة والعظمة فمن يتقدم القوم لابد أن يكون سيدهم ولذلك عبر بكلمة القدم عن الشرف القديم، ومقدمّة كل شيء أوله وهو نقيض مؤخرته، ولقد عبر كذلك عن شرف المتقدم وعظيم منزلته بكلمته القدام أي الملك لأن هذه المنزلة تتطلب الشجاعة والإقدام على عظام الأمور وهو ضد الإحجام<sup>(4)</sup>.

وأما في اللغة الفرنسية فإن كلمة التقدم تعني التطور المفضي إلى الزيادة والنمو والتقدم وكذلك هو اكتساب معارف أو كفاءات جديدة، يعني أيضا التطور من خلال فعل التحسين كما

<sup>1</sup> - دلالة ملخص استثنائية: مرجع سابق، ص 37.

<sup>2</sup> - أحمد بن محمد الفيومي: مرجع سابق، ص 676.

<sup>3</sup> - القرآن الكريم: سورة هود، الآية 98.

<sup>4</sup> - ابن منظور: ج 12، مرجع سابق، ص ص (466، 471).

يعني تحول المجتمع في الاتجاه الحسن، والمتقدم هو الذي يمشي نحو الزيادة المتدرجة بطريقة  
تطورية<sup>(1)</sup>.

وإذا جمعنا بين معاني التقدم في اللغة العربية، ونظيرتها الفرنسية أمكننا التعبير عن  
مفهوم التقدم في الكلمات التالية: السبق، الأول، الشجاعة والرفعة والعظمة، التطور النمو،  
الأحسن، أي أن المتقدم هو الذي نما وتطور فصار الأحسن، ومن كان هذا شأنه لا بد أن يكون  
الأول السابق لغيره فهو الرفيع العظيم الذي استحق بشجاعته التقدم على غيره.

أما اصطلاحاً: فقد اختلفت الآراء حول هذا المفهوم من مدرسة فكرية إلى أخرى وبين قائل  
بحتميته ومفند لذلك حيث نجد مثلاً كلود ليفي ستراوس في كتاب العرق والتاريخ يصرح بأن "   
التقدم ليس ضرورياً ولا مطرداً، إنه يحصل عبر قفزات أو وثبات وهذه القفزات وهذه الوثبات  
لا تعني أبداً الذهاب إلى أبعد في الاتجاه نفسه: " فما نكسبه في إحدى المراحل نحن معرضون  
لخسارته في الأخرى، ذلك أن التاريخ ليس تجميعاً إلا من حين لآخر"<sup>(2)</sup>.

فالتقدم وفق ما ذهب إليه ستراوس في تعريفه خلاف للتطور الذي هو حتمية بل على  
العكس من ذلك لا يسير في اتجاه واحد ولا يكون محصلة خطوات تدريجية فهو لا يطرد في  
جميع البيئات والمجتمعات البشرية، فقد تأتي به وثبة أو قفزة وقد تذهب به أخرى وخلافاً لما  
ذهب إليه ستراوس يؤكد كارييف على أن التقدم: " هو تطور تدريجي يدل على نمو المجتمع،  
وتصاحبه مؤشرات تدل على مداه"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> -Dictionnaire de la langue française « Encyclopédie »:Op, Cit, P 1033.

<sup>2</sup> -فريدريك معتوق: مرجع سابق، ص 272.

<sup>3</sup> -دلال ملحق استثنائية: مرجع سابق، ص 34.

وعليه فالتقدم وفق هذا لمنظور هو تطور تدريجي وليس قفزة أو وثبة تحدث فجأة وهو نمو يحدث في الزمن ولا يقفز عليه، فهو يتم وفق خطوات محددة مدروسة واعية وهادفة وهو ما ذكره محمد الدقس في كتابه التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق حيث يقول بأن التقدم "يعني حركة تسير نحو الأهداف المنشودة والمقبولة أو الأهداف الموضوعية التي تنشأ خيرا أو تنتهي إلى نفع، وأنه العملية التي تأخذ شكلا محددًا أو اتجاهًا واحدًا، ويتضمن توجيهها واعيا مقصودا لعملية التغيير"<sup>(1)</sup>.

فلا مجال للحديث عن طفرة غير مدروسة أو غير متوقعة ولا مجال للعشوائية كما أنه لا مجال للتراجع إلى الخلف فالتقدم هو تغير نحو الأحسن وهو تطور على سلم الارتقاء العلمي والحضاري المنشود.

ويبقى لنا أن نقول بأن المفهوم قد لبس في كل مرحلة تاريخية أو بيئية جغرافية معنى محددًا لا يمكن تعميمه، فالتقدم مثلا بالنسبة لأوروبا القرن الثامن عشر كان يعني التحرر من تقاليد العصور الوسطى، أما في عصرنا هذا فالتقدم بالنسبة لأوروبا هو تحقيق القدرة والميزات التنافسية مع الاقتصاد الأمريكي والياباني، في حين التقدم بالنسبة للدول العربية لا يزال ينزع نحو تحقيق الحرية والسيادة الوطنية وإنهاء التبعية ومحاربة التخلف بكل أشكاله وأنواعه.

ويبقى أن نقول ختام هذا التعليق أن أبرز ما يميز عالم اليوم هو هذا التقابل البين بين ثنائية البلاد المتقدمة والبلاد المتخلفة وأن جسر العبور والانتقال من الكوكبة الثانية إلى الكوكبة الأولى هو تحقيق فعل التنمية الشاملة.

<sup>1</sup>- دلال ملحق استثنائية: المرجع السابق، ص 31.



## و-التخلف:

لغة: مأخوذة من الجذر (خلف) والخلف كما جاء في اللسان نقيض قدام والتخلف يعني التأخر<sup>(1)</sup>، وقد ذكر صاحب المصباح المنير معان آخر للجذر خلف منها التغير ومثل لذلك بتغير فم الصائم إذا سمي خلوفاً وكذلك خلف الطعام إذا تغيرت ريحه أو طعمه، ومن معاني خلف كذلك البلى فتقول قميص خليف أي رث وبال والخلف من القول السقط الرديء كالخلف من الناس وتخلف عن القوم إذا قعد عنهم ولم يذهب معهم<sup>(2)</sup>، وفي اللغة الفرنسية فإن كلمة Sous-Développement مكونة من شطرين كلمة (Sous) وتنص على وضعية سفلى أو طبقة دنيا وكلمة (Développement) سبق شرحها، وبالجمع بين الكلمتين (Sous-Développement) فيصبح المعنى يدل على البلاد التي يكون اقتصادها ذو نمط قديم، بمعنى غياب الصناعة أو صناعة ذات طابع استخراجي، وفلاحة ذات مردود ضعيف أو مخصصة لإنتاج محاصيل محددة موجهة للبلدان الغنية، ويكون مستوى العيش في هذه البلدان أقل بكثير من المستوى المتواجد في الدول ذات الاقتصاد الحديث والقوي<sup>(3)</sup>.

وخلاصة المعنى اللغوي لكلمة التخلف في اللغتين العربية والفرنسية أنها تعني التأخر أي نقيض التقدم والمتأخر فهو في حالة مغايرة لمن هو في حالة متقدمة، وحالته العامة شبيهة مادياً بحال الثوب الخلق البالي الرث، وأن هذا المتخلف هو في حال سقوط على نقيض الآخر الذي هو في حال ارتفاع.

<sup>1</sup> - ابن منظور: مرجع سابق، ج9، ص82.

<sup>2</sup> - أحمد بن محمد الفيومي: مرجع سابق، ص ص (243، 245).

<sup>3</sup> - Dictionnaire de la langue française «Encyclopédie»: Op, Cit, P P (1199-1200).

اصطلاحاً: إن معظم الدارسين سواء أكانوا في الحقل الاجتماعي أو غيره أثناء معالجتهم لموضوع التخلف لا يعمدون إلى تقديم تحديد دقيق للمفهوم وإنما يذهبون للبحث في عوامل أهي تاريخية ثقافية أم لا وهل تعود لعوامل داخلية أو خارجية أو هما معا. وفي أحسن الأحوال كانوا يقدمون بعض المؤشرات الدالة على التخلف، كارتفاع عدد السكان في مقابل انخفاض مستوى دخل الفرد، وتدني المستوى التعليمي وتردي الوضع الصحي، ضعف الانتاج والتبعية للدول المتقدمة تصديرا واستيرادا...الخ.

والذين تعرضوا لمفهوم (التخلف) تحديدا وتفسيرا كانت تعاريفهم ضبابية عائمة وغير دقيقة كأن يعرف التخلف مثلا على أنه " مقولة اقتصادية عالمية خاصة بعصر الاستعمار"<sup>(1)</sup>، فأقل ما يمكن أن يرد به على مثل هذا التعريف بأن كثيرا من الدول مضى على تحررها من ربقة الاستعمار أكثر من نصف قرن لكن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها اقل ما تستحق أن توصف به هو التخلف.

ومع هذا فقد وجدت بعض التعريفات التي اقتربت من ملامسة الظاهرة في عمقها حيث يعرف عبد الهادي والي التخلف بأنه " عملية اجتماعية تاريخية، كلية متعددة الأبعاد أوجدتها وكرستها قوى متنوعة خارجية وداخلية، ونمت في إطارها خصائص وسمات تشير إلى اختلاف مكونات المجتمعات المتخلفة، وطاقاتها الإنتاجية، وأنماط الحياة والسلوك فيها عن تلك التي تسود البلدان المتقدمة"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - ابراهيم مشورب: التخلف والتنمية دراسات اقتصادية، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان 1423/2002، ص27.

<sup>2</sup> - عبد الهادي والي: التنمية الاجتماعية مدخل لدراسة المفاهيم الأساسية، دط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1982، ص39.

فهذا التعريف وبعيدا عن العوامل التي أفرزت الظاهرة سواء أكانت داخلية أو خارجية، يقدم لنا التخلف على أنه مجموعة خصائص وسمات بعضها اقتصادي والآخر سلوكي ثقافي، إلا أن ما يعاب على هذا التعريف أن نعتة لخصائص وسمات المجتمعات المتخلفة جاء في مقابل سمات وخصائص الآخر المتقدم، وهو بهذا يجعل من هذا الأخير معيارا للحكم على التقدم أو التخلف والأولى هو تقديم توصيف للتخلف بمعزل عن الآخر المتقدم.

والتعريف الموالي يقدم توصيفا لظاهرة التخلف بعيدا عن مقارنة الخصائص والسمات مع مثيلاتها في العالم المتقدم، ويبدو أكثر موضوعية لأنه محصور في تحديد المفهوم وليس البحث عن عوامله أو تقديم خصائصه، فيقدم التخلف على أنه " حالة انسداد التنمية الناجمة عن غياب الظروف الملائمة لتحول الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية، الثقافية أو المؤسساتية"، فهذا التعريف يحدد لنا ماهية التخلف بمعزل عن العوامل أو الخصائص، فالتخلف يعبر عن مآزق يكتنف عملية التنمية وهذا المآزق ناشئ عن غياب ظروف مؤاتية لتحول مختلف الأنظمة والبنائات الاجتماعية، ومن ثم يمكن القول بأن درجة التخلف بين الدول تكون متباينة، فقد تكون جزئية أو كلية بحسب العطب الذي يصيب معظم الأنظمة أو جزء منها وكذا درجة العطب، ولعل هذا هو سبب تسمية بعض دول العالم بالدول النامية رغم كونها جغرافيا تنتمي للجنوب المتخلف.

#### ز-الفكر التنموي:

كلمة مركبة من " الفكر " و"التنموي" فالثانية هذه هي نسبة لكلمة " التنمية وقد سبق شرحها وفيما يلي تحديد مفهوم الفكر.

## الفكر:

لغة: من الفعل فكر يفكر تفكيراً أي إعمال الخاطر في الشيء<sup>(1)</sup>.

والفكر كذلك "تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر أي نظر وروية"<sup>(2)</sup>،  
ورجل فكير أي كثير الفكر<sup>(3)</sup>.

وفي المعاجم الحديثة الفكر هو "إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة  
المجهول"<sup>(4)</sup>، وفي اللغة الفرنسية فإن كلمة الفكر تعتبر على المقدره على الفهم والإدراك بواسطة  
العقل تكون نتيجتها استيعاب مضامين ومدلولات الأفكار ووجهات النظر وإصدار الأحكام<sup>(5)</sup>.

ولقد وردت مشتقات كلمة الفكر في القرآن الكريم في مواضع عدة نكتفي هنا بذكر آيتين  
حيث يقول تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعاً منه، إن في ذلك لآيات لقوم  
يتفكرون﴾<sup>(6)</sup>، والثانية في قوله تعالى: ﴿قل هو يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾<sup>(7)</sup>،  
ومثلما وردت في القرآن وردت في السنة القولية وسنكتفي كذلك بذكر حديثين ذكرهما الإمام أبو  
حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين في فصل كتاب التفكير<sup>(8)</sup>، حيث يقول رسول الله صلى  
الله عليه وسلم "تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله إنكم لن تقدروا قدره" أخرجه أبو نعيم  
وقال أيضاً: "تفكر ساعة خير من عبادة سنة" أخرجه ابن حبان، وقد ذكرنا الآيات القرآنية  
والأحاديث النبوية هنا، لبيان فضيلة التفكير وعلو شأن صاحبها.

<sup>1</sup> - ابن منظور: مرجع سابق، ج5، ص 65.

<sup>2</sup> - أحمد بن محمد الفيومي: مرجع سابق، ص 656.

<sup>3</sup> - الفيروز آبادي: مرجع سابق، ج2، ص111.

<sup>4</sup> - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق، ص 947.

<sup>5</sup> - Dictionnaire de la langue française « Encyclopédie »: Op, Cit, P 957

<sup>6</sup> - القرآن الكريم: سورة الجاثية، الآية 13.

<sup>7</sup> - القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية 50.

<sup>8</sup> - أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1، ج4، دار القلم، بيروت، لبنان، د س ن ، ص 386.

اصطلاحاً: لم تذكر التعريفات الاصطلاحية في تحديدها لمصطلح الفكر شيئاً يخالف ما تضمنته المعاني اللغوية، وكل ما فعلته أنها دقت في الصياغة مع فلسفة في القول حيث يذكر جميل صليبا: "أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دلّ على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"<sup>(1)</sup>، فهذا التعريف وإن اتسم بدقة في صياغة العبارات وانتقاء الألفاظ، فهو لا ينفى عما ذكر في المعاني اللغوية، فهو يحدد الفكر على أنه إما فعل وإما موضوع، فإن كان فعلاً فهو حركة النفس في المعقولات وسماها بالنظر والتأمل، وإن كان موضوعاً فسماه المعقولات وهي التي تكون محل تفكير النفس.

أما الامام الحجة أبو حامد الغزالي فله إضافة نوعية إذ ركز في تحديده لمفهوم الفكر على تبيان المنهجية التي سلكها العقل في الانتقال من المعلوم إلى المجهول حيث يقول: "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ... فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكراً واعتباراً وتذكراً ونظراً وتأملاً وتدبراً"<sup>(2)</sup>.

فالفكر إذن - عند أبي حامد الغزالي - يقوم على استحضار المعارف القبلية ثم إعمال العقل فيها نظراً وتأملاً وتدبراً واعتباراً للوصول إلى معرفة جديدة فهو إلى حد ما يستحضر فكرة ونقيضها، ثم تولف منها معرفة أخرى، وإن كان قد وضح بان موازنته بين المعرفتين هي موازنة بين معرفة تحصل بالتقليد وأخرى تحصل بالافتناع العقلي.

<sup>1</sup> - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، د ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 156.

<sup>2</sup> - أبو حامد الغزالي: ج4، مرجع سابق، ص 388.

وبإضافة كلمة " التتموي" إلى " كلمة الفكري" يمكننا القول بأن المقصود بالفكر التتموي في دراستنا هذه يقصد به جانب المعقولات أو المفهوم الذي فكرت فيه النفس باعتبار أن حركة النفس أو إعمال العقل قد تم في زمن مضى، فنحن في هذه الدراسة نتكلم عن فكر لرجل قضى نحبه وهو الأستاذ الفيلسوف مالك بين نبي وعليه نقدم الفكر التتموي على أنه: ثمرة ومحصلة إعمال العقل في الموجودات لإدراك مضامينها من خلال الموازنة بين الرؤى التقليدية والرؤى الاجتهادية قصد الوصول إلى فكر خير يحقق الأمن للإنسان وتستصلح به الحياة وتعمر الأرض، ويرتبط بمفهوم الفكر التصور:

والتصور لغة هو: تمثل صورته السنن أو إدراك ماهيته، " والتصورات والأفكار التي في أذهاننا أيا كانت طبيعتها وأصلها علاقة خفية بالأشياء الواقعية أو بالعالم الخارجي" (1).

<sup>1</sup> - جيرار جهامي وآخرون: مرجع سابق، ص ص (557-558).

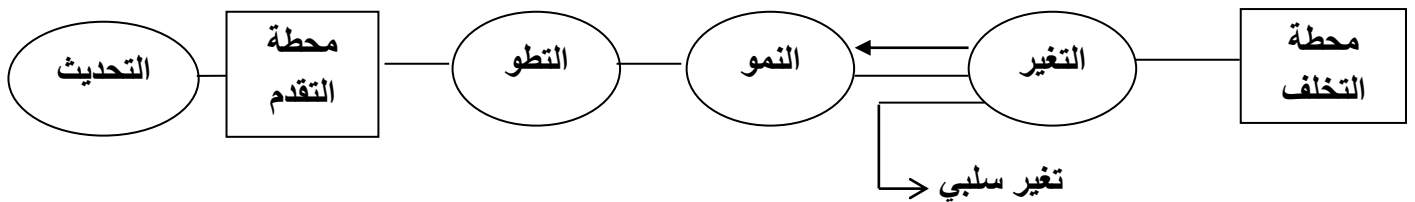
جدول مبين لتقاطع الدلالات والمعاني في مختلف المصطلحات

التحديث	التقدم	التطور	التغير	النمو	التنمية
التجديد	السبق	التعديل	التحول	التطور	الزيادة
التغير	الأول	التحول	التعديل	النماء	النمو
التحول	الشرف	التمدين	الانتقال	التكاثر	الكثرة
الانتقال	التطور	التحضر	الاختلاف	الزيادة	الارتفاع
التغريب.	الزيادة	العلو	التنوع	التحول	التحسين
	النمو	الارتقاء	التكيف	التغير	التوسيع
	الأحسن	التغير	النمو	النضج	التحول
	التحول	التبدل		الارتقاء	التغير
	الرفعة	التقدم		التحسن	التطور
	العظمة			الانتقال	
	الحركة				
	التحرر				

وإذا أخذنا في الحسبان جميع الملاحظات التي سجلت أثناء تحديد المفاهيم فيما يتعلق

يتقاطع الدلالات واتجاه العملية داخل المفهوم الواحد يمكن أن نتصور بشيء من التحفظ مسار

العملية التنموية على النحو التالي:



سيرورة العملية التنموية

الجدول والمخطط: (من اجتهاد الباحث)

## ثالثا: المقاربات النظرية

إن استعراض مختلف المقاربات النظرية لظاهرة التنمية ها هنا ليس بعرض تبني واحدة منها واعتمادها في تفسير النتائج المتوصل إليها، فهذا لا يتماشى مع طبيعة هذه الدراسة التي تهدف الى الكشف عن جملة التطورات والرؤى التي قال بها المفكر مالك بن نبي وفسر على ضوءها الظاهرة التنموية في العالم التي قال بها المفكر مالك بن نبي وفسر على ضوءها الظاهرة التنموية في العالم الاسلامي عامة، والعالم العربي خاصة والجزائر على وجه الخصوص، إضافة الى كون المقاربة البنائية للظاهرة التنموية تصنف ضمن المقاربات الاسلامية، ومن ثم فمن غير المنطقي ولا يتسق فكريا الحكم عليها من خلال تبني المنظور الغربي بشقبة التحديثي أو الماركسي.

إن الغرض من استعراض هذه المقاربات الغربية في دراسة خاصة بالفكر التنموي عند مالك بن نبي هو الوقوف على أوجه الشبه أو الاختلاف بينهما وإبراز نقاط الالتقاء أو الافتراق بين مقاربتين لا تستندان إلى إطار مرجعي واحد، ورغم ذلك يبقى الفكر بصفته الانسانية فيه من التقاطعات ما يؤكد وحدة الإنسان في جوهره.

قامت الثورة الصناعية في أوروبا وتحديدا في بريطانيا وأقطار أوروبا الغربية من بعدها، وانتشرت هذه الثورة في أقطار العالم الأخرى مثل اليابان والاتحاد السوفياتي (سابقا) اللذين حققا نجاحات كبيرة من النمو والتقدم في مختلف الأصعدة والمجالات، وفي منتصف القرن العشرين استطاع الكثير من أقطار آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية الحصول على استقلالها وبدأت هذه الأقطار التفكير جديا بمحاولة تخطي مرحلة التخلف والانتقال بمجتمعاتها إلى مرحلة جديدة لبناء اقتصادها والقضاء على الثالوث الاستعماري: الجهل، الفقر، المرض.



وفي سعيها نحو تحقيق أهدافها لم تتخذ هذه الأقطار نفس التوجهات أو السياسات الاقتصادية، ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة ومتعددة، لعل أبرزها إمكانات وموارد كل دولة والتوجهات الإيديولوجية والسياسية المتبناة غداة الاستقلال.

وقد اختلفت نسبة ما تحقق من إنجازات في هذه الأقطار فبعضها قد حقق نجاحات معتبرة والبعض الآخر أصابه الإخفاق والتعثر، وقد اجتهد الباحثون والمتخصصون في دراسة بعض هذه التجارب لوضع الفرضيات والنظريات التي تفسر كيفية انتقال هذه الأقطار من حالة التخلف التي تقع فيها إلى حالة التقدم والتطور، وقد اختلف هؤلاء الدارسون في تقويمهم لأفضل السبل الكفيلة بنقل ما يسمى بالدول النامية إلى مصاف الدول المتقدمة، وينبع هذا الاختلاف من عوامل عديدة منها الاختلاف في تحديد بعض المفاهيم الخاصة بالتنمية والتطور، ومنها الاختلاف في المنطلقات التي يتخذها كلا منهم قاعدة للتنمية الشاملة وفي ضمنها أيضا التوجه الإيديولوجي لهؤلاء الدارسين والباحثين وغير ذلك من العوامل.

وباختلاف توجهات الباحثين الإيديولوجية ومشاربهم الفكرية وكذا تخصصاتهم العلمية تعددت واختلف طرق التعامل من النظريات المفسرة للفعل التنموي، فمنهم من عرضها حسب الحقول العلمية، فجعلها نظريات اقتصادية، واجتماعية وثالثة سيكولوجية، ومنهم من عرضها مفصولة ومجزأة أي غير مصنفة في اتجاهات محددة ومنهم من رأى بأنها على اختلاف مسمياتها فهي تدور حول اتجاهين نظر بين في علم الاجتماع وهما الاتجاه البنائي الوظيفي والاتجاه المادي التاريخي<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - احسان حفطي: علم اجتماع التنمية، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص57.

ومن بين أبرز هذه التقسيمات، التقسيم الذي عرض هذه النظريات بتصنيفها ضمن اتجاهات كبرى أو جمع بين الاتجاهات التي يمكن عرضها تحت نظرية واحدة<sup>(1)</sup>، وتبعاً لهذا التصنيف الأخير سنحاول عرض وتحليل النظريات التنموية على النحو التالي:

#### أ- نظرية التحديث:

مع نهاية الحرب العالمية الثانية وحصول عدد كبير من دول العالم الثالث على استقلالها توجهت أنظار الكثير من مفكري الدول الغربية، قادة سياسيين، أنثروبولوجيين وعلماء اجتماع، صوب هذا العالم الحديث الاستقلال وانصبت اهتماماتهم على دراسة ظاهرتي التنمية والتخلف فيه، ولكن ليس بدافع النهوض به وتحسين أحواله وإنما بما يحقق الأمن القومي للعالم الغربي ويبقى على تفوقه الاقتصادي.

وقد تركزت جل هذه الدراسة حول المتغيرات التي أحدثتها كل من الثورة الصناعية في بريطانيا والثورة السياسية في فرنسا بغية وضع تعريفات لمفهوم التنمية والتخلف ورسم معالم المسار التحديثي الذي يجب على الدول المتخلفة أن تسلكه للنهوض من كبوتها ومحاولة اللحاق بركب العالم المتقدم، وقد برزت ضمن هذا المنظور عدة اتجاهات، نحاول فيما يلي تبين مواقفها كل على حدى طلباً للوضوح والتعمق في الفهم:

#### 1-الاتجاه الكلاسيكي:

نحاول ضمن هذا الاتجاه أن نقف عند أبرز الإسهامات ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا بأن الإسهام الأبرز هنا يتمثل فيما قدمه عالم الاجتماع الألماني الشهير ماكس فيبر في كتابه

<sup>1</sup> - إسماعيل قيرة وعلي غربي: في سوسيولوجية التنمية، د.ط. ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2001، ص 3.

الموسوم " الأخلاق البروتستانية وروح الرأسمالية"، حيث قام فيبر في كتابه هذا بتوضيح قضية أساسية مفادها وجود علاقة تبادلية بين الظواهر الدينية والظواهر الاقتصادية، ومن ثم أقام فسر علاقة ارتباطيه بين الرأسمالية الحديثة والأخلاق البروتستانية، فالدين عنده كان المحرك الأساس للأنشطة الاقتصادية والإنتاجية التي يمارسها المجتمع، وأن الرأسمالية تستند إلى عناصر ضرورية، هي العمل الشاق والاقتصاد في الإنفاق وتجميع الثروات والأهوال، وهي قيم الدينية البروتستانية، ودعم فيبر فكرته هذه بالقول بأن أغلب كبار رجال الأعمال والعمال المهرة وأصحاب المهن التجارية والفنية الهامة في أوروبا بالخصوص هم من البروتستانت بينما ضلت الدول الكاثوليكية متخلفة نسبيا لكونها تخلت عن العمل الشاق وتفرغت إلى الأمور الدينية الروحانية مما يعني ركونها إلى الخمول والكسل، ومن هنا أكد فيبر أن الرأسمالية لا يمكن أن تتحقق في مجتمع يتسم أفراده بالكسل وتتعدم فيهم الكفاءة.

إضافة إلى ما سبق يعتبر فيبر العلم الحديث من العوامل الهامة لازدهار الرأسمالية الغربية، وبتأكيده على أهمية العلم الحديث يذهب إلى القول بأن التعاليم البروتستانية تتسم بالعقلانية والتنظيم الرشيد من خلال إعلانها لقيمة العمل وبذل الجهد الشاق، والاقتصادي في النفقة وغيرها<sup>(1)</sup>.

هذا وقد تعرضت طروحات فيبر هذه إلى الكثير من الانتقادات لعل أبرزها القول بوجود بعض الدول التي أحرزت تقدما اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا مع أنها لم تستند في نهضتها على نزعة دينية معينة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>- السيد الحسيني: التنمية والتخلف، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1993، ص ص (42-45)

<sup>2</sup>- اسماعيل فيرة وعلي غربي: مرجع سابق، ص7.

وثاني أبرز الانتقادات الموجهة لطروحات فيبر تتمثل في كون الرأسمالية قد نشأت قبل ظهور البروتستانية في القرن 15، لذا فإن النشاط الاقتصادي الواحد له أسس أخرى غير العقيدة البروتستانية، ونحن مكتفون هنا بهذين الانتقادين دون التعليق عليهما لأننا سنعود في الفصل الأخير للنظرية الفيبيرية لإبراز أوجه القوة فيها دون إغفال لما تضمنته من نقاط ضعف أو قصور.

## 2- اتجاه الأنماط المثالية للمؤشرات:

يرتبط هذا الاتجاه بعالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز وتلاميذه مثل بوت هوسلتز<sup>(1)</sup>، ويقوم هذا الاتجاه على اعتبار أن التنمية هي عملية اكتساب أو فقدان لمتغيرات نمط معين، أي متغيرات نمط المجتمع المتخلف ومتغيرات نمط المجتمع المتقدم وقد حددها بارسونز بخمس متغيرات وهي (الخصوصية، العزو، الانتشار، المصلحة الذاتية والوجدانية) وتقابلها في المجتمع المتقدم (العمومية والأداء، التخصص، المصلحة الجماعية والحياد الوجداني)، أما هو سلتز فاختر لها في ثلاث وهي العمومية، الانجاز، تخصص الدور) وتقابلها في المجتمع المتخلف (الخصوصية، العزو، تشتت الدور)<sup>(2)</sup>، وهذه المؤشرات التي حددها كل بارسونز وهوسلتز تصنف ضمن المؤشرات الكيفية وتقابلها جملة من المؤشرات الكمية التي عن طريقها تتمايز المجتمعات المتقدمة عن المجتمعات المتخلفة وقد اختلف العلماء والدارسون في تحديد هذه المؤشرات الكمية، فبعضهم ركز على متوسط الدخل الفردي ونسبة السكان الذين يعملون في الزراعة، درجة التعليم وعدد الأطباء، وأضاف آخرون من أمثال ليبست التصنيع والتحضر،

<sup>1</sup> - احسان حفطي: مرجع سابق، ص 59.

<sup>2</sup> - اسماعيل فيرة وعلى غربي: مرجع سابق، ص ص (9-11).

والقائمة ما تزال تتغير مع الزمن حيث أضيف حديثا درجة التحكم في المعلوماتية واستعمال الأنترنت وعدد الحواسيب في مقابل عدد الأسر وهكذا.

وبرغم فاعلية اتجاه النماذج المثالية كوسائل منهجية تعمق من عملية المنهج المقارن، وتلغي إلى حد كبير التحيزات القيمية الي يسقط في أسرها الباحث ، فقد تعرض هذا الاتجاه كغيره من الاتجاهات لمجموعة من الانتقادات التي كانت ولا تزال مجال جدال بين العديد من المفكرين والباحثين في مجال التنمية والتخلف، ومن أبرز هذه الانتقادات ما ذكره السيد الحسيني في كتابه دراسات في التنمية الاجتماعية نقدا لنظرية هوسلتر بخصوص اتصاف المجتمعات المتقدمة بالأداء (الانجاز) والمتخلفة بخاصية النوعية (الغزو، النسبية) ومثل لذلك بالولايات المتحدة الأمريكية حيث نجد أن المكافأة على القيام بالوظيفة تتوقف على الأداء، في حين يتوقف الالتحاق بالوظائف على الطبقة التي ينتمي إليها الشخص، كما انتقد جوندرا فرانك اتجاه النماذج والمؤشرات في تجاهله للواقع التاريخي واسهامه في ظهور التفاوت بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة وكذلك للواقع البنائي للدول المتخلفة وأن ماضي وحاضر الدول المتخلفة لا يشابه حاضر وماضي الدول المتقدمة في مراحلها السابقة.

إضافة إلى الانتقادات السابقة فإن هناك تداخل بين الخصائص التي ذكرها ممثلوا هذا الاتجاه للمجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة فعلى سبيل المثال فإن معظم دول الخليج العربي قد يفوت معدل دخل الفرد فيها معدل دخل الدول الأوروبية الغربية فهل يعني هذا أن دول الخليج متقدمة استنادا لهذا المتغير النمطي؟

ومع كل ما ذكرناه سابقا يعتبر هذا الاتجاه الأكثر شيوعا في الدول النامية، ربما يرجع هذا لرغبة أنظمة وحكومات هذا العالم والتي عجزت عن تحقيق التنمية الشاملة المقصودة إلى

الاستعانة بمقاربات اتجاه الأنماط المثالية للمؤشرات والتخفي وراء مؤشرات الإحصائية لبيان أن هناك تنمية فعلية تجسدها الأرقام المرتفعة سواء ما تعلق بعدد المتدرسين أو عدد الأطباء أو المشاريع السكنية المنجزة وغيرها.

### 3-الاتجاه التطوري المحدث

ظهر هذا الاتجاه كمحاولة لإحياء النظرية التطويرية الكلاسيكية خاصة عند كل من هربرت سبنسر وتشارلز داروين، وقد حاول أصحاب هذا الاتجاه الاستفادة من هذه النظرية في دراسة الدول النامية.

فقد حاول بارسونز تحديد العملية التطور ومكوناتها، فبين أنها تتمثل في زيادة أو دعم القدرة التكيفية للنسق، بحيث يكون النسق قادرا وباستمرار على التكيف مع المواقف الجديد والظروف الطارئة، وحتى يتحقق هذا لابد من أن يعرف ثلاث عمليات أطلق عليها " دائرة التطور" وهي التباين والتكامل والتعميم<sup>(1)</sup>.

أما الإسهام الثاني داخل هذا الاتجاه فيمثله والترستو الذي حاول في كتابه " مراحل النمو الاقتصادي: البيان اللاشيوعي" تقديم تفسير للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فقال بأن المجتمعات تمر في طريق نهضتها بخمس مراحل هي: <sup>(2)</sup>

\*مرحلة المجتمع التقليدي: (الطابع الزراعي، الروابط القبلية، انتفاء الحراك الاجتماعي، انخفاض متوسط الدخل، والقدرية).

<sup>1</sup> - اسماعيل قيرة وعلي غربي: مرجع سابق، ص13.

<sup>2</sup> - رابح كعباش: سوسيولوجيا التنمية، د ط ، جامعة قسنطينة، الجزائر 2007، ص ص (64 - 67).

\*مرحلة التهيؤ للانطلاق (المجتمع الانتقالي): (بروز الصناعات، اتساع نطاق التجارة، إنشاء البنوك، تغير اتجاهات الأفراد، الايمان بالتجديد...).

\*مرحلة الانطلاق: (التغلب على عوائق النمو والمقاومة التقليدية، جدية التجديد، نمو سريع للصناعة والزراعة، تراكم رأس المال ازدياد معدل الاستثمار والادخار...).

\*مرحلة النضج (نمو الإنتاج بصورة أسرع من زيادة السكان، تطور بارز للصناعات، اقتصاد التصدير، ارتفاع الدخل القومي، الكفاءة).

\*مرحلة الاستهلاك الوفير (إنتاج بضائع وخدمات استهلاكية، ارتفاع دخل الفرد بنسبة عالية، سيادة دولة الرفاهية، اتساع القوى الخارجية للدولة).

وهذا وقد سجل الدارسون لنظرية روستو إغفالها لظروف كل من المجتمع المتقدم في مراحل تطوره وظروف الدول النامية أي أن النظرية أغفلت العلاقة بين تخلف الدول النامية ودور القوى الاستعمارية في تكريس هذا التخلف وتعميق جذوره<sup>(1)</sup>.

كذلك فإن ادعاء روستو بأن جميع المجتمعات لا بد أن تسلك نفس مسار الدول المتقدمة وأن تمر بالمراحل الخمس جميعها، يعد ادعاءً جانبا للحقائق التاريخية<sup>(\*)</sup>، للمجتمعات النامية حيث نجد بعض المجتمعات تصنف ضمن الدول النامية، رغم أنها شهدت حضارة عريقة فيما مضى فهل يعقل أن تتحول من دول حضارية إلى دول تقليدية؟!<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - إحسان حفطي: مرجع سابق، ص 67.

\* - وتفنيدا لحتمية المراحل أنظر دينكن ميتشل في معجم على الاجتماع في شرح مفهوم التطور وقد ذكرنا جزءا منه في تحديد مفهوم التطور.

<sup>2</sup> - رايح كعباش: مرجع سابق، ص 68.

إضافة إلى ما سبق فإن كل من بارسونز في مرحلته الثلاثة أو رستو في مرحلته الخمسة لم يوضحا كيفية الانتقال من مرحلة إلى أخرى وهل نحن مجبرون لتبيين كيفية الانتقال بالعودة إلى الأنماط المثالية للمؤشرات ثم القول بأن الانتقال من مرحلة إلى أخرى يتم عن طريق فقدان متغيرات المرحلة السابقة واكتساب متغيرات المرحلة اللاحقة؟

#### 4- اتجاه الانتشار الثقافي:

يذهب أنصار هذا الاتجاه إلى أن: "... العملية التنموية في دول العالم النامي لا يمكن أن تتحقق إلا إذا توافرت شروط انتقال أو انتشار جملة العناصر المادية والثقافية المميزة للمجتمعات الغربية من هذه الأخيرة إلى مجموع الدول المتطلعة لتحقيق النهضة الشاملة، بمعنى انتقال العناصر المادية والثقافية من دول المركز نحو دول المحيط، ثم من عواصم دول المحيط إلى مدنها الداخلية حتى تنتشر تلك القيم الوافدة في جميع ربوع دول المحيط، فتصبح بذلك الدول غير الغربية مماثلة للدول الغربية حسب ما ذهب إليه السيد الحسيني<sup>(1)</sup>.

إن انتقال العناصر المادية والثقافية من دول المركز نحو دول المحيط يمكن أن نلمسه في:

- تدفق رؤوس الأموال.

- نقل التكنولوجيا.

- نشر وترويج النظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وبالنظر لكون معظم أتباع هذا الاتجاه من التقنيين والخبراء والمستشارين المختصين

بالتنمية، فإنهم يؤكدون على أن انتشار النظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الغربية في الدول

<sup>1</sup>- رابح كعباش: مرجع سابق، ص 73.



النامية يكون سابقا لانتقال رؤوس الأموال والتكنولوجيا، بدعوى أن الحفاظ على الراسمیل الوافد من الفساد المستشري داخل البلدان النامية وأن التكنولوجيا لا تعمل إلا في البيئة المماثلة للبيئة الثقافية والاجتماعية الغربية.

إن أصحاب هذا الاتجاه يعتقدون بأن المعوقات التي تحول دون تحقيق التعبير الاجتماعي في بلدان العالم النامي، هي معوقات مرتبطة بالبناء الاجتماعي داخل هذه المجتمعات وتتمثل في جملة القيم السائدة ومن ثم فهم يدعون إلى التخلي عن هذه القيم المعيقة حسب رأيهم واستبدالها بقيم ثقافية ليبرالية<sup>(1)</sup>.

ولقد دفعت طروحات هذا الاتجاه الكثير من الدارسين إلى توجيه انتقادات نشير هنا إلى أبرزها:

- كغيرها من النظريات السابقة فإن نظرية الانتشار الثقافي تغفل طبيعة البناء الاجتماعي الذي فرضه الاستعمار قصد إحكام سيطرته على الدول المستعمرة.

- إن معظم التجارب التنموية التي قامت في الدول النامية بالاستناد إلى الرأسمال الأجنبي لم تحقق أهدافها المنشودة وأوقعت المجتمعات النامية في شرك مؤسسات النقد الدولي ذات التوجه الليبرالي.

- كذلك فإن نقل التكنولوجيا لا يحقق التنمية المستقلة بل يبقي على تبعية دول المحيط لدول المحور.

- وأخطر من كل ما سبق فإن التخلي عن القيم المحلية واستبدالها بالقيم الليبرالية، يعني طمس الهوية القومية والذوبان والفناء في الآخر دون تحقيق المراد.

<sup>1</sup> - اسماعيل فيرة وعلي غربي: مرجع سابق، ص ص (15-16).

## 5-الاتجاه السلوكي:

ركز أصحاب هذا الاتجاه على درجة الدافعية الفردية أو الحافز الفردي باعتباره الدعامه الأساسية التي تنهض عليها العملية التنموية، وانطلاقاً من تصورهم هذا دعوى إلى تحديد الصفات السلوكية والنفسية للإنسان المتقدم في حاضره أو ماضيه (إبان فترة الإقلاع التنموي).

باعتباره صفات الإنسان المتقدم هي النموذج الذي ينبغي على الإنسان المتخلف تمثله إذا ما أراد تحقيق ذات النتائج التي حققها صاحب النموذج المحاكي.

ومن أهم رواد هذا الاتجاه نجد دافيد ماكلياند وهيجن اللذين - حسب بعض الدارسين- أعاد طرح تصورات ماكس فيبر في قالب سيكولوجي<sup>(1)</sup>، يعتبر درجة الدافعية أو الحاجة للإنجاز هي أساس التنمية الاقتصادية والتغير الثقافي.

ورغم الايمان بوجود علاقة وطيدة بين السلوك الاجتماعي والتنمية، وأن هذه العلاقة لا يمكن إنكارها أو إغفالها إلا أن تأثيرها يتوقف على درجة الرضا التي يمكن أن تتحقق للفرد من وراء سلوكه الاجتماعي، وبالتالي فهي متغيرة وغير ثابتة.

كذلك فإن ربط التنمية بكل أشكالها بعامل واحد هو العامل السيكولوجي وتجاهل مختلف العوامل الأخرى المتحكمة في العملية التنموية يعد قصورا في النظر ناهيك عن التحيز البين للثقافة الغربية.

وخلاصة القول أنه رغم تعدد اتجاهات التحديث وتباين طروحاتها إلا أنها لم تخرج في عمومها عن الثنائية (تقليد - تجديد)، وافتقدت للنظرة الشمولية في معالجة قضية التنمية

<sup>1</sup>- رابح كعباش: مرجع سابق، ص 99.

والتخلف، كما تجاهلت البعد التاريخي في فهم الظاهرة، وبالتالي فقد عجزت عن تقديم دراسة عميقة لظاهرتي التنمية والتخلف في دول العالم النامي، وغاية ما فعلته أنها ربطت -عن قصد- مستقبل هذه الدول بمدى تمتثلها للنموذج الغربي الرأسمالي.

## ب- الاتجاه المادي التاريخي:

### 1-الماركسية الكلاسيكية:

قدم ماركس تصورا عن تطور المجتمعات الإنسانية وانصب اهتمامه على دراسة التغير الاجتماعي ومحاولة الكشف عن أساليب التحول وأولى اهتماما كبيرا لدور العوامل الاقتصادية فقامت بذلك فلسفته على أسس المادية الجدلية والمادية التاريخية.

ومن خلال دراسته لقوانين التطور الاجتماعي استطاع أن يحدد خمس مراحل لنمو المجتمعات وتطورها: مرحلة الإنتاج البدائي / مرحلة العبودية / مرحلة الإقطاع / مرحلة الرأسمالية / مرحلة الاشتراكية.

واستنادا إلى إطاره التصوري المادي التاريخي عالج قضية التخلف من خلال مفاهيم الصراع والعوامل الاقتصادية والمراحل التاريخية والطبقية<sup>(1)</sup>، ونظر من ثم إلى التنمية على أنها "عملية ثورية تتضمن تحولات شاملة في البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - اسماعيل قيرة وعلى غربي: مرجع سابق، ص 19.

<sup>2</sup> - إحسان حفطي: مرجع سابق، ص 73.

## 2- الماركسية المحدثّة:

كانت لطروحات الماركسية الكلاسيكية تأثيرات بالغة في النظريات المعاصرة لها ثمّ اللاحقة من حيث أنها جاءت مغايرة تماماً للطروحات التحديثية، فكانت أن سعت بعض المحاولات للاستفادة من جملة التصورات الماركسية والاستعانة بمفاهيمها لتأسيس تصورات وأطر نظرية جديدة ولعلّ أبرز هذه المحاولات تمثلت في جملة الأفكار التي جاءت بها مدرسة التبعية.

وقد جاءت محاولات مدرسة التبعية حينما لاحظت قصور الماركسية الكلاسيكية في فهم واقع المجتمعات النامية هذا من جهة ومن جهة ثانية جاءت لبيان خطورة طروحات النظريات التحديثية وكشف أبعادها الرأسمالية المضللة.

وأبرز من مثل فكر هذه المدرسة هم بول باران وأندري خيدر فرانك وسمير أمين وغيرهم ولقد انصب اهتمام مدرسة التبعية على بيان العوامل التاريخية والخارجية التي أوجدت حالة التخلف وكذا في إعادة شروط إنتاجه<sup>(1)</sup>، وطبيعة القوى الداخلية التي تتحكم في بقاء هذه الدول متخلفة ومن ثمّ فلا يمكن فهم كل التحولات والتغيرات التي تشهدها دول العالم النامي وطبيعة النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فيه بعيداً عن العوامل الخارجية المرتبطة بالتوسع الرأسمالي، حيث يؤكد سمير أمين على " وجود علاقة عضوية بين الدول المتقدمة والدول النامية (المركز والأطراف) وتتسم هذه العلاقة بالاكافؤ وهي التي تسببت في زيادة تقدم

<sup>1</sup> - اسماعيل قيرة وعلى غربي: مرجع سابق، ص 23.

وتطور دول المركز الرأسمالية على حساب تكوين وتعميق التخلف الاقتصادي في الدول النامية، الطرفية التابعة<sup>(1)</sup>.

وانطلاقاً من التصورات السابقة حدد أنصار مدرسة التبعية الكيفية التي تنتقل من خلالها الدول النامية من مرحلة التخلف إلى مرحلة التنمية، وتتمثل في الثورة التي يقوم بها المجتمع لتغيير الأوضاع القائمة بالقوة، ويشترط في الفئة التي ستتحمل عبء هذه المسؤولية أن تكون على قدر كاف وعال من الوعي بأوضاعهم ومصالحهم.

وعلى الرغم من أهمية المساهمة التي قدمتها مدرسة التبعية، كالنظر إلى العالم كوحدة كلية وإبرازها للعلاقة القائمة بين البلدان المتقدمة والنامية، وتأكيداً على الخصوصية التاريخية لكل مجتمع وبيان دور الوعي في أي عملية تغيير يقوم بها المجتمع، إضافة إلى مساهمتها في طرح مفاهيم نظرية جديدة كمصطلح المركز والمحيط ودول الهامش، ورغم كل هاته الإسهامات إلا أنه يؤخذ عليها مبالغتها في دراسة ظاهرة التخلف من خلال ربطها الوثيق بالنظام الرأسمالي ودور الامبريالية في تكريس التخلف فهذا وإن كان حقا إلا أن هناك عوامل داخلية كانت على قدم المساواة في تعميق ظاهرة التخلف إلى جانب الدور الاستعماري، وتأتي في مقدمة هذه العوامل طبيعة البناءات الثقافية المؤطرة والموجهة للسلوك الانساني في دول العالم النامي.

وفي ختام هذا المسح للنظريات الغربية وبيان إسهاماتها في معالجة ظاهرة التنمية والتخلف، والتعرض لبعض أوجه القصور أو الضعف في طروحاتها النظرية وأطرها التصورية.

<sup>1</sup> - رايح كعباش: مرجع سابق، ص 162.

تجدر الإشارة إلى أن هناك قاسم مشترك بينها فيما وجه إليها من انتقادات يقوم أساسا على كونها تفتقد النظرة البنائية التاريخية الشاملة، وتجاهلها للاختلافات القائمة بين المجتمعات سواء منها ما تعلق بالخصوصيات الثقافية أو الظروف التاريخية ومن ثم وقعت هذه الطروحات في فخ التعميمات اللامنطقية.

ومن هنا كان لزاما علينا أن نبحث عن أطر تصورية وطروحات نظرية مغايرة -نسبيا- لما جاء به الفكر الغربي، ومنطلقا من عمق الثقافة المحلية للمجتمعات النامية، وآخذه في الاعتبار الظروف التاريخية التي مرت بها.

### النظريات الإسلامية:

تجدر الإشارة في البداية إلى أن الإسلام ليس نظرية من نظريات التنمية، فيحاكم بها تحاكم به هذه النظريات، وإنما يؤثر تأثيرا واضحا على عملية التنمية.

فالإسلام هو موقف كلي فلسفي يوفر الإطار المرجعي لعلاقة الإنسان بالجماعة والقانون والأخلاق، ومع هذا ينبغي التأكيد على أن النظريات التي انبثقت أو ستنبثق من خلاله لا بد لها من اتساق منهجي يجنبها الخلل والتناقض الذي لف عمليات التنمية والتحديث التي فشلت في تحقيق الالتحاق بالغرب حتى الساعة ، بل كرسست التبعية ومن قبلها الاستعمار ثم العولمة.

والذي يشجعنا على تقديم هذا البديل الاسلامي جملة ضرورات تأتي في مقدمتها:

-الضرورة التاريخية: فالإسلام ليس فقها في فراغ، ومقاربتة لمختلف جوانب الحياة الانسانية ليس جريا وراء السراب، بل على العكس فالشواهد التاريخية القائمة تدعم بقوة طروحات البناء

الإسلامي، فقد حكم الإسلام الأرض سنينا طويلا فملئت الأرض عدلا وأمانا، بعد عهود من الظلم والحرمان، فنحن إذن نتكلم عن واقع عايشته البشرية، وليس مجرد خلفات نظرية.

-الضرورة الواقعية: إن النظريات الغربية التي بدت في عهودها الأولى أنها أسعدت البشرية- وجزء من هذا حقيقة واقعية- بدأ بينا نها يهتز في الآونة الأخيرة، ولعل أبرز هذه المؤشرات الهزات المالية بدءا من 1931 إلى الهزة المالية الأخيرة، أين تعالت أصوات من داخل البيت الغربي تدعوا للبحث عن بدائل جديدة وكان الإسلام الصوت الأبرز حينها.

إن الحديث عن البديل الإسلامي ليس وليد الأزمة المالية الأخيرة وإنما هو حديث يطفو إلى السطح كلما اهتزت البناءات والنظم الغربية في جانب من جوانبها الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها وكذلك كلما وجد انفراج سياسي في البلدان العربية، ولقد عبر عن هذه الرغبة الكثير من الكتاب والمفكرين في أكثر من مؤلف، فهذا الدكتور صلاح الدين نامق في كتابه "اقتصاديات التنمية" يطرح التساؤل التالي " لماذا لا تكون لنا نظرية إسلامية في التنمية الاقتصادية؟"<sup>(1)</sup>، وهو بهذا يلفت الأنظار إلى ضرورة التفكير في البديل الإسلامي أما الشهيد السيد محمد باقر الصدر فينبهنا إلى أن مناهج الاقتصاد الأوروبي لم تسجل نجاحها الباهر في تاريخ أوروبا الحديث إلا بسبب تفاعل الشعوب الأوروبية مع تلك المناهج وحركيتها في كل حقول الحياة وهو ما ينبغي أن نتفطن له أمتا حيث يقول " فحين نريد أن تختار منهاجاً أو إطاراً عاماً للتنمية الاقتصادية داخل العالم الإسلامي يجب أن نأخذ هذه الحقيقة أساساً ونفتش في ضوءها عن مركب حضاري قادر على تحريك الأمة وتعبئة كل قواها وطاقتها للمعركة ضد

<sup>1</sup> - محمد منير حجاب: الإعلام والتنمية الشاملة، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 43.

التخلف ولا بد حينئذ أن تدخل في هذا الحساب مشاعر الأمة ونفسياتها وتاريخها وتعقيداتها المختلفة<sup>(1)</sup>.

ثم يبين في وضوح بأن هذا المركب الحضاري ليس إلا النظام الإسلامي فيقول " فالأمة على الصعيد الإسلامي وهي تعيش جهادها الشامل ضد تخلفها وانهيارها وتحاول التحرك السياسي والاجتماعي نحو وجود أفضل وكيان أرسخ واقتصاد أغنى وأرفه سوف لن تجد أمامها عقيب سلسلة من محاولات الخطأ والصواب إلا طريقا واحدا للتحرك وهو التحرك في الخط الإسلامي، ولن تجد إطارا تضع ضمنه حلولها لمشاكل التخلف الاقتصادي سوى إطار النظام الاقتصادي في الإسلام"<sup>(2)</sup>.

وفيما يلي نستعرض بعض المقاربات الإسلامية التقليدية منها والحديثة:

#### المقاربات التقليدية:

##### أ) مقارنة الماوردي (\*)

يمكن أن نقول بشيء من التحفظ بأن مقارنة الماوردي شبيهة بمقاربة ماكس فيبر مع أفضلية السبق للأولى، فقد سعى الماوردي لبيان العلاقة الوطيدة بين الدين والظاهرة الإنمائية حيث قال في مقدمة كتابه أدب الدنيا والدين " وأعظم الأمور خطرا وقذرا وأعماها نفعا ورفدا ما استقام به الدين والدنيا...".

<sup>1</sup> - محمد باقر الصدر: اقتصادنا، ط2، مجمع الشهيد الصدر العلمي والثقافي، د ب ن - 1408هـ، ص ص (13-14).

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص (7-8).

\* - الماوردي هو أبو الحسن علي بن محمد فقيه شافعي من الكبار، ولد بالبصرة، كان أفضى قضاة عصره من مؤلفاته: الأحكام السلطانية في السياسة المدنية الشرعية، قانون الوزارة، سياسة الملك، أدب الدنيا والدين، توفي سنة 450هـ / 1058م.



ثم ذكر بأن صلاح الدنيا إنما يكون بصلاح حالها وحال الإنسان الذي يعيش فيها فقال "وأعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين: أولهما ما ينتظم به أمور جملتها. والثاني ما يصلح به حال كل واحد من أهلها، فهما شيان لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه" (1).

ثم دعا إلى مدارس أحوالها للوقوف على نواميس حركتها فقال "فوجب سبر أحوالها والكشف عن جهة انتظامها واختلالها لنعلم أسباب صلاحها وفسادها ومواد عمرانها وخرابها" وبين بأن المنهج المعتمد آنذاك في مدارس شؤون الدنيا إنما هو منهج الفهم العقلي القائم على التدبير والتفكر والاستنباط والاستنتاج فقال "ولما خلق الله الإنسان ماس الحاجة ظاهر العجز، جعل لنيل حاجته أسبابا ولدفع عجزه حيلادله عليها بالعقل وأرشده إليه بالفطنة" (2).

وخلاصة فكر الماوردي في تحقيق الإنماء الذي استخدم له مفهوم العمران صلاحا أو فسادا، يقوم على ستة قواعد: "إن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتزمة ستة أشياء هي قواعدها وان تفرعت وهي: دين متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن وخصب دار وأمل فسيح" (3).

وبعد هذا الاجمال تبسط في شرح كل قاعدة على حدى لبيان ضرورتها لصلاح العمران البشري وأن هذه القواعد الستة تعمل في تكامل وتساند:

-فالدين المتبع: هو الذي يضبط النفوس أمام المفاصد ويحرك إرادتها لجلب المنافع وهو محرك وموجه داخلي للسلوك البشري، وما لم يتبع فوجوده كعدمه.

<sup>1</sup> - الماوردي: أدب الدنيا والدين، ط1، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 1401/ 1981، ص 146.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 144.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 148.

-وأما السلطان القاهر، فهو الذي ترتدع به النفوس الزائغة والظالمة التي لا تتضبط بالدافع الداخلي وهو الدين وبالتالي فضرورته مكملة لضرورة الدين.

-وأما العدل الشامل فهو من جهة ضبط للقاعدة الثانية حتى لا تتخذ ذريعة للظلم، فبالعدل تعمر الأرض وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور.

-وأما الأمن فهو أسمى ما يطلب الإنسان في حياته، فالرفاهية والعيش الرغيد لا معنى لهما إذا خيم الرعب على حياة الفرد.

-وأما خصب الدار فهو الشطر المكمل للأمن، وهما ركيزتا أي شهود حضاري: أمن نفسي وأمن غذائي، فيقل في الناس الحسد وينتفي غيهم تباغض العدم وهذا من أقوى الدواعي لصلاح الدنيا وانتظام أحوالها.

-أما الأمل الفسيح، فهي النظرة الايجابية للحياة، بحيث يسعى الفرد لبناء وتحقيق ما يقصر العمر عن استيعابه، فيعمر الأرض بما قد لا يدركه، فينتفع بغرسه وثمرته من بعده<sup>(1)</sup>.

ب)مقاربة ابن خلدون:

نقدم المقاربة الخلدونية للعمران البشري، بعدما ذكرنا مقاربة الماوردي لنصح أغلوطة لدى بعض الدارسين تجعل من ابن خلدون وحيد زمانه وفريد أوانه، فابن خلدون وان كان يستحق بجدارة هذه النعوت وغيرها من الأوصاف، إلا أنه لم يكن فلتته في تاريخ آمنه المجيد وما مقاربة الماوردي إلا غيض من فيض مما قدمه علماء الأمة عبر مسيرتها الطويلة ومن أمثلة ذلك كتاب ابن تيمية " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" فالكتاب بمصطلحات

<sup>1</sup> - الماوردي: مرجع سابق، ص ص (148-161).

العصر يمكن أن نصنفه ضمن مؤلفات التنمية السياسية والتنمية البشرية وهما من أحدث علوم العصر.

نعود إلى ابن خلدون الذي حظيت مؤلفاته وخاصة المقدمة بعناية فائقة من قبل الدارسين والباحثين ليستجلوا ما بينها من كنوز معرفية، ساهمت عبر عصور طويلة في فهم طبيعة العمران البشري وما يعترضه من أحوال وتقلبات تذهب أمما وتأتي بأخرى...

فقد تحدث ابن خلدون في مقدمته عن خصائص المجتمع وعوامل تكوينه وأنواع التجمعات وكيفية تطورها وتحدث عن الحياة الاقتصادية والسياسية وعن الثقافة لدرجة يمكننا معها أن نقول بأن ابن خلدون تحدث في حقول معرفية متعددة من حقول علم الاجتماع، وفيما يلي موجز لإسهامات ابن خلدون:

1- فأبرز إسهام لابن خلدون هو تأكيده على ضرورة الاعتبار بالتاريخ، فأسس وأصل فكرة أن للظاهرة الاجتماعية والسياسية والعمرانية عمقا تاريخيا، وللظواهر التاريخية عمقا حضاريا عمرانيا<sup>(1)</sup>، وهذا البعد التاريخي هو الذي توجهت نحوه معظم الانتقادات التي وجهت للنظريات السوسيولوجية الغربية التي أغفلت البعد التاريخي في مقاربتها للظواهر في بلدان العالم النامي.

2- بين ابن خلدون بأن الملك والدولة العامة إنما يحصل بالقبيلة والعصبية<sup>(2)</sup>، ويمكن أن نفهم على ضوء هذا الأحلاف والتجمعات التي تقوم داخل الأقطار أو في العالم أجمع وإن كانت العصبية اليوم قد أخذت أشكالا جديدة تبنى على الايديولوجيا حيننا والعنصرية أو الثقافة حيننا آخر.

<sup>1</sup> - موقع اسلام أون لاين، 2010/07/13، التوقيت: س: 17 و 10د.

<sup>2</sup> - ابن خلدون: المقدمة، ط 7، دار العلم، بيروت لبنان، 1409هـ / 1989م، ص 154.

3- ثم تحدث عن مماثلة الحياة الإنسانية لحياة الكائنات الحية في فسادها وهلاكها وبين بأن حياة الأمم تمر عبر أطوار أربعة وفق منهج سنني، فالأطوار الحضارية محكومة بقوانينها وسننها<sup>(1)</sup>.

4- وعالج كذلك أسباب الانهيار ذاكرا بأن الظلم مؤذن بخراب العمران ولا قوام للملك إلا بالعدل حيث يقول " ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل"<sup>(2)</sup>.

5- وكما تحدث الماوردي على العلاقة المتينة بين استقامة الدين وصلاح الدنيا تحدث كذلك ابن خلدون عن جدلية الملك والشريعة وحاجة كل منهما للآخر فقال: " إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة، والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشريعة إلا بالملك"<sup>(3)</sup>.

هذه بعض الرؤى التصورية في عمارة الأرض، يمكن أن نؤسس بناء عليها وعلى فكر

من سبقها وفكر من جاء بعدها إلى يومنا هذا، رؤى تصورية أصلية ومتينة للظاهرة الانمائية.

#### المقاربات الحديثة:

هناك العديد من الاجتهادات البحثية والرؤى التصورية للظاهرة التنموية في الاسلام

بعضها من داخل الوطن العربي والبعض الآخر من العالم الإسلامي سنقتصر هنا على تقديم

اثنتين منها والإشارة للبعض الآخر دون التعرض لها أو الوقوف عندها طلبا للاختصار.

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المرجع السابق، ص 136.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 287.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 286.

أ) مقارنة أحمد صدقي الدجاني<sup>(\*)</sup> (عمران لا طغيان):

تعد مقارنة الدجاني امتدادا للمدرسة العمرانية، نلمس هذا من استخدامها لمفهوم "العمران" والتركيز عليه دون غيره من المفاهيم المعبرة عن الاجتماع الإنساني ونزوعه نحو مختلف أشكال الإنماء، ولفظ العمران في هذه المقاربة يأتي في مقابل الخراب وقد استعمل له الدجاني لفظة الطغيان لأن أي خراب لا يكون إلا محصلة ونتيجة للطغيان والدجاني كمن سبقوه في استعمال هذا المصطلح، إنما يستند لقوله تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾<sup>(1)</sup>، فنحن إزاء ثنائية مغايرة مفهوما لثنائية (تقليد - تجديد) ثنائية تقابل بين فعل ينزع نحو التعمير وآخر ينزع نحو التخريب فالأول عمران والثاني طغيان، والاجتماع البشري إذا لم يكن العمران غايته ومقصده تسلب منه صفة العمران البشري.

وتقوم هذه المقاربة على الأسس التالية:

- 1- التنمية هي فعل تعميري لكل جنبات الحياة، وإغفال جانب منها يعد تخريبا له وكما لا يسلم الجسد بعضو مريض فيه كذلك حال الاجتماع البشري فهو كل متكامل.
- 2- التعمير هي حركة تغييرية في الاتجاه الايجابي، أما التغيير في الاتجاه السلبي فهو طغيان يفضي لخراب العمران.

\* - أحمد صدقي الدجاني (2003/1936)، أحد مفكري الأمة في القرن الرابع عشر الهجري والخامس عشر الهجري الموافق القرن العشرين الميلادي، وأحد رموز العمل الوطني الفلسطيني وأحد مؤسسي منظمة التحرير الفلسطينية، وأحد رموز اللسان العربي المبين والفصحى في زمانه، حاصل على ماجستير في التاريخ ودكتوراه في الآداب 1969، شغل مناصب في عديد الهيئات كمجلس أمناء منتدى الفكر العربي مركز الدراسات الوحدة العربية... مختص في الدراسات التاريخية والمستقبلية والفكر السياسي، ألف خمسين كتابا منها: عمران لا طغيان، تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر، العرب في مواجهة عالم متغير... الخ.

<sup>1</sup> - القرآن الكريم: سورة هود، الآية 61.

3- إن تعميم الأرض يكون ضمن منظور كلي للأرض بما هي أرض، تعميم لا يفرق بين أرض إسلامية وغير إسلامية ذلك أن البشر في ميزان الله هم عياله، وحقهم في الحياة الكريمة واجب، أما من يعمر أرض ويخرب أخرى بطغيانه فلا يعد فعله تنمويًا ولا حركته تعميمية.

إن هذه المقاربة تنطلق من مفهوم العمران الكلي وتعتبره مدخلا للتحليل والتفسير والتقويم، وكل عملية تنموية لابد أن تكون محددة وموجهة بالأبعاد الإيجابية لهذا المفهوم.

وبالرغم من النقاط المهمة التي تضمنها الإطار الذي قدمه أحمد صدقي الدجاني في مقاربتة " عمران لا طغيان" إلا أن ما يؤخذ عليه أنه لم يحدثنا عن الكيفيات والإجراءات التي تحقق وفقا لها هذه الحركة التعميرية، وهل تنطلق في بيئات محلية تقدم كنماذج مثالية ثم تعمم بعد ذلك في الأرض كلها، أم أنها تنطلق في شكل جهود متناسقة هنا وهناك على نحو ما يحكى اليوم في إطار ما اصطلح على تسميته بالتنمية المستدامة ورغم هذه الانتقادات تبقى مقاربة عمران لا طغيان جديرة بالاهتمام والإثراء على أمل الوصول إلى تصور شامل جامع مانع.

(ب) مقاربة علي شريعتي (\*) (العودة إلى الذات):

تكتسي مقاربة شريعة أهمية بالغة ذلك أنها تشكل نموذجا ضمن نماذج المقاربات الآسيوية المتميزة والمتنوعة على حد سواء، وما تضمنته هذه المقاربة من إضافات فكرية ومفاهيمية، كما أنها شكلت إطارا تصوريا تغذت منه التجربة الإيرانية قبل الثورة وبعدها، ولا

\* - علي شريعتي ( 1395 - 1352 هـ / 1933 - 1977 م) مفكر إيراني شيعي مشهور ويعتبر ملهم الثورة الإسلامية، ولد عام 1933 وتخرج من كلية الآداب، ليرشح لبعثة لفرنسا عام 1959 لدراسة علم الأديان وعلم الاجتماع ليحصل على شهادتي دكتوراه في تاريخ الإسلام وعلم الاجتماع، وهو صاحب مشروع تغييرى واصلاحي قائم بالدرجة الأولى على العودة إلى الذات، تعد مقولة الاستحمار الأكثر مركزية في أفكاره ومشروعه التفكيكي لأسباب الأزمة وسبل علاجها، أغتيل عام 1977، من مؤلفاته العودة إلى الذات، النباهة والاستحمار، منهج التعرف على الإسلام... الخ.

ينكر منصف أهمية ومكانة التجربة التنموية الإيرانية ضمن مجموع التجارب الرائدة في دول العالم النامي، ويمكن تلخيص أهم ما جاءت به مقارنة شريعتي في النقاط التالية:

-الدعوة إلى انطلاق في أي عمل نهضوي بالعودة إلى الذات واستجلاء عناصر القوة فيها والانتباه إلى طبيعة التمايزات الثقافية والتاريخية والجغرافية لكل منطقة والتحذير من كل الدعوات المشبوهة التي تستهدف تذويب الثقافات الانسانية وصهرها في الثقافة الغربية.

-يحذر شريعتي من الوقوع في شرك " استهلاك الحضارة لا إنتاجها" وهو منطلق يدعو إلى التحديث السريع القائم على استجلاب منتجات الحضارة الغربية، وهذا المنطق لا يحقق نهضة ولا يبني حضارة وإنما يجعل المستورد ملحقاً بالمنتج ويبقيه تابعاً له.

-الحضارة ثورة تدريجية في الإنسان، تتطلب احترام المراحل وعدم حرقها، وأن تسلك طرقها الوعرة، حينها تخرج الحضارة بشكل ولون وبصمة صاحبها الذي انتجها.

-ومن أبرز اسهامات هذه المقاربة إغنائها القاموس التنموي العالمي بمفاهيم أصيلة يأتي في مقدمتها مفهوم " جغرافية الكلمة"، التي تعني أن القضايا الفلسفية يمكن الحكم عليها بمعايير المنطق والاستدلال، أما القضايا الاجتماعية فينبغي أن تفهم ويحكم عليها في إطارها الزمني والمكاني الذي تتحرك فيه، وتجاهلنا لهذا الإطار يجعلنا نستصدر أحكاماً أقل ما يقال عنها أنها مجانية للصواب.

وبالرغم من الاضافات الواضحة التي قدمتها مقارنة شريعتي خاصة على المستوى المفاهيمي إلا أنها - وكسابقتها- لم تحدثنا عن الآليات التي يمكن التعامل وفقها مع العملية الائتمانية انطلاقاً من وعي الذات، فعلى سبيل المثال لم نذكر لنا هذه المقاربة إذا كنا وانطلاقاً

من وعينا سننطلق من الصفر أو من آخر ما توصل له أسلافنا يوم أن كانت الحضارة تسكن جغرافيتنا، أم أننا سنزأوج بين وعينا بذواتنا الثقافية وبين ما يمكن أن نستورده ونعتمد عليه في مرحلة انطلاقنا.

وفي ختام هذا العرض لأمثلة من المقاربات الإسلامية في مجال التنمية، تجدر الإشارة إلى أنه لا أحد يزعم أن هذه المقاربات الكلاسيكية منها أو الحديثة، هي مقاربات ناضجة كل النضج ومكتملة بحيث لا تحتاج إلى تقويم أو تعديل، لا أحد يزعم هذا وغاية ما في الأمر أنها رؤى تصويرية البعض منها يفتقد للصدق الأمبريقي والبعض الآخر قد ينظر إليه على أنه فكر تنموي شديد اللصوق بأبعاده الدينية، وهذا يفقده القدرة على التعميم أو تقديمه كفكر مثالي.

ولكن ما يمكن أن نستفيد منه من هذه الطروحات، هو انطلاقها مما وجه للنظريات الغربية التي أغفلت الظروف التاريخية لبلدان العالم النامي، كذا خصوصياته الثقافية والحضارية إضافة إلى كون بعض هذه المقاربات الإسلامية قد جمعت بين أطرها التصويرية في شكلها المبدئي وبين الواقعية التجريبية والممارسة الحركية، حيث تجسدت في تجارب واعدة مثل (ماليزيا، إيران، تركيا...).

ويبقى في الختام أن نشير بأن هذه المقاربات الإسلامية التي قدمناها ليست هي الوحيدة فهناك مقاربات أخرى لم نقدمها إما أثاراً للاختصار ونذكر منها مقاربة (أربكان مهاتير محمد وخاتمي)، وإما لكونها موضوع الدراسة، وسنقف عندها مطولا ونعني بها مقاربة مالك بن نبي.

كما سنحاول أثناء تحليلنا للفكر التنموي عند مالك بن نبي أن نتعرف على نقاط الاختلاف ونقاط التقاطع بين فكر مالك بن نبي ومختلف المقاربات النظرية والفكرية سواء لدى الغرب أو الشرق الإسلامي.



## الدراسات السابقة:

رغم كثرة الدراسات التي أجريت حول فكر العلامة مالك بن نبي إلا أن كثيرا منها ركز على تحليل آرائه من منظور فلسفي، وليس هذا نهج الدراسة التي بين أيدينا، وقد صعب هذا علينا عملية انتقاء الدراسات ذات الصلة الوثيقة بموضوع البحث، وقد راعينا في عرضها متغيري الدرجة العلمية والترتيب الزمني، كما صنفناها إلى دراسات جزائرية وأخرى عربية، وانتهجنا في تقديمها أسلوب التقليل لا التلخيص قصد تحقيق أكبر قدر من الأمانة العلمية في التعبير عن أفكار أصحابها، وقد ارتأينا التعليق عليها جملة لا منفردة وذلك تفاديا لتكرار بعض التعليقات بالنظر لتشابه هذه الدراسات في بعض النواحي.

## أ-الدراسات الجزائرية:

الدراسة الأولى: اشكالية الحضارة وأزمة مجتمعات العالم الإسلامي من منظور مالك بن نبي - المجتمع الجزائري نموذجا-

أطروحة دكتوراه دولة، من إعداد موسى لحرش، قسم علم الاجتماع ، جامعة باجي مختار عنابة 2001/2000.

سعى الباحث في هذه الدراسة إلى تبيان أن مشكلة تحضر الإنسان المعاصر - بمفهومه الفردي الجماعي- وتوحده مع ذاته وما تستجوبه من حلول، تبقى مشكلة كلية متعددة الأبعاد، وتتعلق بمختلف تعابير الانسان الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، السياسية وغيرها.

ولاشك أن هذه المشكلة تظهر على نحو أكثر حدة في المجتمعات المتخلفة بصفة عامة (العالم الثالث) التي لم يعد لها موقع مؤثر يذكر على خارطة الحدث الإنساني في العالم، ومن

بينها أيضا مجتمعات العالم الإسلامي التي يبدو-من خلال حالة التدني التي تعيشها اليوم على مستوى أصعدة كثيرة من الحياة المجتمعة "(Sociétal) .. وهذا على الرغم من توفرها على العوامل المؤهلة (المعنوية والمادية) التي تجعلها تتجاوز هذه الحالة- أنها قد استقلت وخرجت من الوظيفة والغائية التاريخية كخروج المفلس والمعلن عن سقف العطاء التاريخي، بعد أن كانت في السابق في مصاف المجتمعات/ الأمم الفاعلة في التاريخ الانساني العالمي بفضل قواها الانسانية الابداعية في مختلف مجالات الحياة.

إن مثل هذه الوضعية المتأزمة تدفع من ناحية منهجية ومعرفية إلى التساؤل: لماذا هذا التراجع والتخلف الحضاري في شتى المجالات؟ وكيف يمكن الأخذ بأسلوب التقدم الحضاري واستعادته من جديد في ظل كثرة المتغيرات الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية؟ وما هي شروط الاستمرارية الحضارية؟.

ولقد كان ذلك بالضبط الإطار العالم للاهتمامات المعرفية السوسيولوجية للمفكر الجزائري مالك بن نبي الذي حاول من خلال مؤلفاته العديدة الاجابة عن تلك التساؤلات بشرحه للعديد من الأفكار السوسيولوجية.

أهداف الدراسة:

-تحديد مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي بصفة عامة.

-كيف فسّر وحلّل الدورة الحضارية للمجتمعات؟

-ما هو أساس الأزمة الحضارية التي تعيشها هذه المجتمعات؟

-وما هي كيفيات تجاوز هذه الأزمة في نظره؟

-ولمتطلبات منهجية ومعرفية بحثه فإنه سيتم بحث ذلك في إطار الواقع الحضاري الراهن للمجتمع الجزائري.

منهج الدراسة:

تدرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الكيفية الكشافية بدرجة أولى وتتعاوى مقارنة منهجية تحليلية بالأساس تقوم على أسلوب التحليل الغرضي/ المبحثي، لمجموعة محددة من القضايا التي يهدف هذا البحث تسليط الضوء عليها.

نتائج الدراسة:

1-يشير مصطلح " الحضارة " عند مالك بن نبي - من حيث بعده الوظيفي- الى تلك المجموعة من الشروط المعنوية والمادية التي تسمح لمجتمع ما، متحرك عبر التاريخ، بأن يوفر لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده، الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه، أي المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه.

هذا ويشير مصطلح "الحضارة" -من حيث بعده التركيبي- إلى كونها بالأساس حركة بناء وليست عملا تكديسيا وأن حل مشكلتها يكمن في حل ثلاث مشكلات جزئية هي: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب ومشكلة الوقت.

2-تبدأ الحضارة عند بن نبي (النشأة) وترتقي متوسعة نامية (الازدهار/ الأوج) حين تدخل التاريخ " فكرة مركبة" أو "مبدأ أخلاقي" (مرحلة الروح) وتتوقف عن النمو والازدهار عندما يدخل المجتمع في مرحلة تحلل بطيء وجزئي ونقص في الفعالية ناجم عن انكماش في تأثير

المبدأ الأخلاقي في حياته بصفة عامة ونمو في العقل (مرحلة العقل) وتؤول إلى (الانحطاط) عندما تفقد الروح نهائياً سيطرتها التي كانت لها على مجمل الغرائز المكبوتة.

3- إن البداية الحقيقية للإقلاع الحضاري في المجتمع الجزائري، وحتى في غيره من مجتمعات العالم الإسلامي، هي نظر مالك بن نبي تكمن في تفكيك أسس مناهج التفكير المعتمد والكشف عن العوائق الاستمولوجية التي نجمت عن المجتمع - وبخاصة نخبته الثقافية- الأخطاء المنهجية والنظرية التي لازالت مستمرة بشكل بارز وكبير إلى الوقت الراهن.

4- تتطلب عملية الإقلاع الحضاري، خلق شبكة متماسكة من العلاقات الاجتماعية، وعدم انتظار الساعات الخطيرة والمعجزات الكبرى، واعتماد النقد الذاتي كعامل أساس للتخلص من أسباب التخلف أو التراجع الحضاري.

#### الدراسة الثانية: التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي.

إعداد طاهر سعود، ماجستير علم اجتماع التنمية، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة،  
1421-1422 / 2000-2001.

هذه الدراسة لم يذكر فيها صاحبها -تصريحاً- أهدافها ولكن يمكن فهمها من مجموع

تساؤلات الدراسة والتي حصرها الباحث في الإجابة على التساؤلين المحوريين التاليين:

1- كيف ينظر مالك بن نبي لظاهرة التخلف وكيف يتصورها؟

2- كيف ينظر إلى قضية التنمية وشروط الخروج من وضعية التخلف؟

وقد ذكر الباحث بأنه اعتمد في دراسته بصفة أساسية على المنهج الاستقرائي لكونه

الأنسب لطبيعة الموضوع، وذكر أيضاً بأنه حاول قدر الامكان استخدام المنهج المقارن لإبراز

بعض أوجه التشابه والتفارق بينما قدمته النظرية السوسولوجية في هذا الإطار وبين بعض اسهامات مالك بن نبي التطويرية.

وقد خلص الباحث في دراسته الى جملة نقاط هذه ابرزها:

-التخلف هو الحالة التي يكون عليها انسان ما قبل الحضارة، وهو مظهر من مظاهر مشكلة الانسان الذي لم يتعلم طريقة استعمال وسائله الأولية التي هي التراب والزمن بصورة فعالة أو هو قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال، مع ملاحظة أن فعالية الانسان بالذات هي التي تقوم بتحديد بقية العوامل الأخرى.

-إن الاخفاقات التنموية التي شهدتها جهود التنمية ترجع في كثير من جوانبها إلى اهمال الانسان بوصفه محور عملية التنمية وهدفها.

-وجوب جعل الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى، وبث قيم الفعالية فيه والحركة لينسجم مع ضرورات التحضر.

-الدعوة إلى ضرورة الاعتماد على الذات للتحرر من هيمنة الآخر المستغل.

وللتذكير فإن هناك عديد الدراسات حول مالك بن نبي (ماجستير- دكتوراه)، أخرجها أصحابها في مؤلفات وقد تم الاعتماد على كثير منها في هذه الدراسة نذكر من بينها:

-كتاب مالك بن نبي: عصره وحياته ونظرياته في الحضارة (دكتوراه) لفوزية بريون.

-كتاب التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر ( دكتوراه)، لعلي القرشي.

الدراسة الثالثة: مشكلة التغيير عند مالك بن نبي

رسالة ماجستير من إعداد حميدي لخضر، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 2005/2004.

عرض الباحث مشكلة بحثه في مقدمة الدراسة، ومنها بيّن بأنه سعى لفهم ظاهرة التغيير باعتبارها سنة من السنن الكونية، وأن الأمم تسعى جاهدة قصد تحقيق التقدم والتغيير وبناء المستقبل، ولكنها في سعيها الحثيث تنجح مرّة وتخفق في أخرى.

والأمة الاسلامية لم تخرج عن هذا الجدل وهذا السياق التاريخي، ولهذا صارت هذه القضية جديرة بأن يمنحها رجال الفكر البعض من وقتهم وجهدهم.

ولقد سعى الباحث لدراسة هذا الموضوع باعتباره موضوع الساعة، خاصة في العالم العربي والاسلامي، وأن هذا الأخير يتوق للتغيير، وعلاوة على ذلك فإن رياح التغيير صارت مسألة حتمية في ظل التيار الجارف المسمى بالعولمة.

هذا وقد حدّد الباحث مشكلته في التساؤلات التالية:

-هل المشكلة في صعوبة التشخيص أم في وصف العلاج؟

-أهي البحث عن (الخلل) لسده؟ أم نحن نعرف (الخلل) فعلا ولكننا لا نعرف كيف سنده؟.

-هل تتجسد مشكلتنا في عدم وجود الطبيب القادر على التشخيص؟ أم في عدم وجوده الدواء

الناجع في اقتلاع الداء؟ أم في المريض نفسه بكونه غير قابل للدواء ولا يتجواب مع العلاج؟

وقد إعتد الباحث في دراسته على مقارنة منهجية تقوم على المنهج التاريخي والتحليلي النقدي

وبخصوص نتائج الدراسة فقد جاءت غير معتبرة عن جملة التساؤلات المطوحة وهذه جملة.

النتائج العامة:

- ضرورة تحويل ثقافتنا من ثقافة استهلاك إلى ثقافة إنتاج.

- تكوين نظرة خاصة بنا نتجاوز المدارس الغربية.

- قراءة التراث موضوعية من خلال تصفية العادات والتقاليد.

- ضرورة التعاون الاقتصادي والتكامل يسن الدول الإسلامية.

- الدراسة الرابعة: الدور الحضاري للمجتمعات الآسيوية المعاصرة عند مالك بن نبي -البيان نموذجا-

رسالة ماجستير من إعداد هدى بن زقوطة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة

.2010/2009

عرضت الباحثة اشكالياتها ضمن المقدمة، وبعد أن ذكرت بمعاناة المجتمعات الإسلامية من أزمات حضارية متعددة الأوجه، وبالمحاولات العديدة من قبل مفكرين من هذه الأمة للنهوض بها، بيّنت بأن أكثر هذه المحاولات أسهبت في وصف سلبيات الواقع دون تقديم حلول ناجعة، وفي المقابل قدّم آخرون حلولاً أبعد عن إمكانية التحقق في بيئة لها خصوصيتها الثقافية والحضارية، ضف إلى ذلك أن الحلول المقترحة انقسمت بين فكر متطرف للأصالة منغلقة عن الاستفادة من إيجابيات الغير، يقابله فكر آخر متطوع في الانفتاح اللامشروط على الحضارة الغربية، إلى أن جاء مفكرون جعلوا من العلم أصيله ومعاصره سلاحاً للكشف عن أسباب الخلل، بهدف معالجته، ومن أبرزهم المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي قدم أكثر من ثلاثين عاماً تحليلاً دقيقاً للواقع الإسلامي، أراد أن يكون علماً موضوعياً حتى يرجع كل مشكلة إلى أسبابها الفعلية، مستفيداً في ذلك من استقراء تاريخ المجتمعات الإنسانية.

ونظرا لأن المسلم مازال ينظر إلى الغربية نظرة انبهار تجعله ييأس من إمكانية اللحاق به، أدرك بن نبي أن أفضل وسيلة لاستنهاض همته هي أن يحمله على مقارنة وضعيته الاجتماعية الراكدة بظروف مماثلة عايشتها مجتمعات آسيوية في السابق، منها ما نجح جزئيا كالصين والهند وأندونيسيا، ومنها ما استطاع الانتصار على العراقيل الداخلية والدولية ليؤسس مجتمعا حضاريا تمكن من تحقيق الريادة العالمية في زمن قصير والحديث هنا عن اليابان، وهذا ما جعل بن نبي يتأمل أوجه رقيها ونواحي اخفاقها كي تكون دروسا لكل مجتمع يطمح إلى بلوغ الكمال الحضاري.

وقد حدّد الباحث اشكاليته في التساؤل التالي:

-ما دور التجربة الحضارية اليابانية الحديثة، وخاصة المعاصرة في التأثير على تقدم المجتمع الياباني من جهة وعلى غيره من مجتمعات العالم من جهة أخرى عند مالك بن نبي؟.

منهج الدراسة:

وذكر الباحث بأنه اعتمد في دراسته على جملة مناهج تحقق له الغرض من الدراسة كالاستقرار والتحليل والتركيب وكذا المنهج المقارن والنقدي والتاريخي.

وقد لخص الباحث نتائج دراسته في الخاتمة حيث ذكر فيها:

النتائج العامة:

-تأكيد مالك بن نبي على أن شروط النهضة اليابانية هي قيامها على "الارادة الحضارية" التي مكنتها من بلوغ مرحلة الحضارة، وأن الدول قد تبثلى بضعف الامكانيات المادية وخاصة منها



الخامات الطبيعية لتحريك المجال الاقتصادي الذي يحرك بدوره قطاعات المجتمع الأخرى، ولكن التصميم على قهر الصعوبات دافع لعمليات تعويض كثيرة ممكنة.

-مع التذكير بأن الإرادة الحضارية التي يتمتع بها المجتمع الياباني كانت مدعومة بحسن توجيه من المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي المستوحى من الثقافة اليابانية .

-أن النهضة اليابانية قد أرسيت على دعائم صلبة من المنطق العلمي والعلم جعلت من البلاد رائدة الازدهار الاقتصادي العالمي.

-هذا الدور الذي مثلته اليابان لم يسلم من بعض الشوائب التي قد تضره في مستقبل أيامه وهي عبارة عن بعض أخلاقيات المجتمعات الصناعية كاعتماد المعاملات الربوية وأنظمة البورصة، وحتى مع هذه النقائص تبقى التجربة اليابانية رائدة ترقى إلى مستوى النموذج خاصة فيما اعتمده من مبدأ المعادلة الاجتماعية.

(ب) الدراسات العربية:

الدراسة والأولى: مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة

رسالة ماجستير من إعداد حسن موسى محمد العقبي، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة، 1426هـ / 2005م.

قدم الباحث مالك بن نبي من القلائل الذين طرحوا مشكلات الحضارة المعاصرة من منظور إسلامي إلى جانب الطرق الأخرى الحديثة للحضارة غير الطريقتين الرأسمالي والاشتراكي.

ومالك بن نبي في جميع أطروحاته وأفكاره التحليلية والتشخيصية المميّزة ومصطلحاته الخاصة التي شاعت في السنوات الأخيرة على ألسنة وأقلام الكثيرين من المفكرين، قد أولى اهتماما كبيرا وعميقا للإنسان المسلم، متابعا في ذلك علله ونقائمه، ومحللا أبعاد الظواهر والمشكلات التي تحيط به، ومقترحا الحلول في إطار إسلامي واضح.

وبالنظر لكون مالك بن نبي لم يتناول فكره الباحثون المتخصصون في الدراسات الشرعية بل بحث فكره الباحثون الاجتماعيون، دون ربط فكره بالواقع الإسلامي، وجب اعطاء هذا المفكر حقه في دراسات الباحثين الإسلاميين.

هذا وقد ركز الباحث في تحديده لمشكلة الدراسة أهميتها ومبررات اختيارها دون ذكر لأهدافها أو تحديد لتساؤلاتها ولكن من خلال محتوياتها بدا جليا ان يبحث للإجابة عن تساؤلات -لم يصرح بها- هذه أهمها:

- ما هو موقف بن نبي من الحضارة الغربية المعاصرة والاستعمار والاستشراق؟

- ما هو موقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة (الرأسمالية، الشيوعية، الديمقراطية)؟

- ما هو موقفه من القومية؟

منهج الدراسة:

وقد اعتمد الباحث في دراسته على مقارنة منهجية تقوم اساسا على المنهج الوصفي التحليلي.

أهم نتائج الدراسة:

-إن عقيدة هذا المفكر ترجع من حيث الاصول الى السلفية، حيث يطالب في كتبه بالعودة الى القرآن الكريم لدراسته آياته لتكون منهاجاً عملياً في حياة المسلم المعاصر، وان لم يتبع هو منهج السلف في الاستدلال على المسائل الفكرية.

-لم يكن مفهومه للحضارة واضحاً، وهو يحللها من خلال مفكرين غربيين امثال كسرلنج وفرويد ونيثشه، نتيجة تأثره بالفكر الغربي بينما نظراءه الاسلاميين يحلون مفهوم الحضارة من خلال الاسلام.

-حارب بن نبي الاستعمار الفكري وكتب في ذلك اكثر كتاباته وذلك نتيجة كرهه للاستعمار الفرنسي المحتل لبلده.

-ناقش الفكر الماركسي الشيوعي بموضوعية وعقلانية كبيرة، حيث أثبت فساد هذا الفكر في الوقت الذي انبهر به كثير من المفكرين.

-قدم نقداً قوياً للفكر الاقتصادي الرأسمالي كما قدم ردوداً عقلانية على طروحات المستشرقين.

#### الدراسة الثانية: النهضة في فكر مالك بن نبي وعلي شريعتي دراسة مقارنة

رسالة دكتوراه من اعداد خالد فوزي المحاسنة قسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2013/2012.

حاول الباحث من خلال هذه الدراسة تأصيل مشروع النهضة من المنظور الاسلامي الحضاري عبر محاوره الفكرية "السني" و"الشيوعي"، ومن خلال تناول مفكرين بارزين في هذا الصدد وهما "مالك بن نبي" وهو يمثل الفكر السني، وعلي شريعتي" وهو يمثل الفكر الشيوعي،

وذلك باستقرار معالم رؤيتهما لمعوقات النهضة ومقوماتها، وذلك لأن العالم الإسلامي طرح العديد من المشاريع والتصورات النظرية والعلمية للنهضة، لكن ومع التنوع الكبير في مشاريع النهضة التي طرحت منذ جهود الرواد الأوائل... والتي لا تزال تطرح الان الآن أن الأمة ظلت تراوح مكانها في ظل الازدواجية بين "جدلية الماضي الجامد" أو "المستقبل التغريبي"، بين واقع الانحطاط من ناحية، والرغبة في اللحاق بركب الحضارة الغربية من ناحية أخرى.

وقد سعى الباحث الى الاجابة على الاشكالية التالية:

-لم حدثت هذه الازدواجية في تاريخ الأمة الإسلامية على الرغم من امتلاكها رصيذا معرفيا وحضاريا، ومرجعية دينية تتأى بها عن التأخر، وتحدد لها أصول نهضتها؟

-هل هذه الاشكالية نابعة من الداخل؟ أم أنها مفروضة عليها من الخارج؟

-وفي حال كانت الاشكالية مركبة ذات بعدين داخلي وخارجي، فما هي سبل تجاوزها من وجهة نظر كل من مالك بن نبي وعلي شريعتي؟

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته مقارب منهجية قائمة أساسا على المنهج التحليلي المقارن.

أهم نتائج الدراسة:

-إن الخطأ الحاصل لمفهوم النهضة "بالواقع الإسلامي" لدى التيارات الإسلامية التقليدية هو أخذها لمفهوم النهضة على أنها عودة للقديم فحسب ومن ثم وجبت المراجعة النقدية لمظاهر الركود التي عرفها الواقع والتفكير معا.

-وفي المقابل فالخطأ الحاصل لدى التيارات التغريبية هو بأخذها للنهضة على أنها محصلة ما توصلت إليه التجربة الغربية.

فالواجب على كل استعمال الشق الآخر للمفهوم وتأصيل مفهوم الفكر النهضوي بإعمال العقل في آيات الله تعالى أو سنته في الأنان والكون والحياة، وذلك وفقاً للنظرة العلمية الموضوعية للفكر كأداة للكشف والخلق والتغيير عبر جدلية الفكر والواقع معاً.

-إن رؤية المفكرين للنموذج الغربي رؤية متعمقة بواقع التطور الغربي، كما أنها رؤية لا تغفل خصوصية تلك المجتمعات، وأن معالجتها لموضوع النهضة كان شديد الارتباط بهوم ومشكلات مجتمعيهما (جزائر) و(الإيراني)، وهو ما رسّخ لديهما الطريق الثالث للنهضة بالعودة للفهم الحقيقي للإسلام ودوره الحركي وهو ما يعني مراجعة الفكر الموروث وتلمس انعكاساته السلبية على الواقع.

-إن الاختلاف الفكري في تشخيص أسباب الانحطاط سواء كانت داخلية أم خارجية وفي آليات الإصلاح والنهضة سواء بدأت من الأسفل أم من الأعلى فهو اختلاف تحكمه متطلبات المرحلة المعاشة.

\*أما عن معوقات النهضة في تصور وإدراك كلا المفكرين فتمثلت في:

-الموروث القديم بما يحمله من تشويه وتظليل لحقيقة الدور الوظيفي للإسلام، وغياب عنصر المراجعة الذاتية.

-تداخل المفاهيم التي شاع تداولها نتيجة ضعف الأساس المعرفي الإسلامي وسيادة الأساس المعرفي الغربي، بحيث جعل من الدين متغيراً تابعاً للمفاهيم الفكرية الغربية وعقبه في طريق التقدم والتطور.

-هناك دمج بين المشكلات التابعة من الداخل بالإضافة إلى الوسائل المستخدمة من الخارج "الاستعمار"، إلا أن ضعف الداخل كان سبباً في تمكين الخارج.

أما عن مقومات النهضة في تصور المفكرين، فتمثلت في إعادة الدورة الوظيفي للإسلام بإقران العقيدة بالفكر إضافة إلى بناء وعي الإنسان بقواعد التعامل المنهجي مع الواقع ومشكلاته، بذلك بتحديد قواعد الانطلاق الصحيح للمسيرة الرشيدة ورسم الأولويات وتحديد الأنموذج الأمثل لتربية الإنسان.

وإجمالاً يمكن القول بأن المفكرين وعلى الرغم من الاختلاف المفهمي بينهما إلا أنهما تجاوزا تلك الأطر المذهبية في سعيها لإيجاد لتشخيص داء الأمة ووصف دوائها فتطابقت رؤاهما في الكثير من النقاط.

### التعليق:

أجريت هذه الدراسات خلال الفترة الممتدة من سنة 2000 إلى غاية سنة 2013 في بيئات مختلفة وطنية وعربية، وبالرغم من اختلاف هذه الدراسات فيما بينها في طريقة تناول وزاوية النظر إلا أن مجموعها يندرج ضمن الدراسات الكيفية الكشافية التي تهدف إلى دراسة الواقع الراهن وقد تعددت مقارباتها المنهجية حيث نجد المنهج التحليلي الغرضي أو الوصفي التحليلي أو التحليلي النقدي إضافة إلى مناهج أخرى كالمنهج التاريخي والمقارن... الخ.

ومثلما توافقت هذه الدراسات مع البحث موضوع الدراسة منهجيا -ولو جزئيا- كذلك توافقت في المضمون الجوهرى ألا وهو البحث في الوضع الراهن للتعرف على جوانب القوة والضعف فيه من أجل معرفة مدى صلاحية هذا الوضع أو مدى حاجته إلى إحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه، من خلال رؤى وتصورات المفكر مالك بن نبي لمعوقات النهضة في عالمنا، وكيفيات رسم محددات وشروط الاقلاع الحضاري، وسوف نشير في فصل النتائج إلى بعض التقاطعات بين هذه الدراسة وجملة الدراسات السابقة.

## الفصل الثاني

التمية الشاملة: مرتكزاتها وأهدافها



## الفصل الثاني: التنمية الشاملة: مرتكزاتها وأهدافها

-تمهيد

أولاً: تطور مفهوم التنمية

ثانياً: لماذا التنمية الشاملة؟

ثالثاً: أهداف التنمية الشاملة

رابعاً: أبعاد التنمية الشاملة

خامساً: ركائز التنمية الشاملة ومقوماتها

سادساً: التنمية بالمشاركة

سابعاً: مؤشرات التنمية

- خلاصة

تمهيد:

إن مسألة التنمية اليوم يقدر عمرها بخمس وستين سنة نظرا لكونها طرحت في نهاية الحرب العالمية الثانية كامتداد وصدى لإعادة إعمار أوروبا نتيجة ما لحقها من دمار وخراب جراء الحرب المذكورة آنفا، فلقد تشكلت في العقود التالية (1945-1980) من خلال الظواهر العالمية الحاسمة مثل المقاومات الوطنية ضد الاستعمار وظهور الحركات التحررية، الحرب الباردة والمواجهة بين النماذج السياسية الاقتصادية للتنمية بين الشرق والغرب وأخيرا التأثير المتعاظم والغامض للمنظمات العالمية المرتبطة أكثر أو أقل مباشرة بالأمم المتحدة<sup>(1)</sup>.

وتبعا لكل المتغيرات السالفة وكذا المتغيرات المرحلية، تطور مفهوم التنمية وتعددت دلالاته تبعا للإضافات المرحلية التي تضيفى عليه، علما بأن المفاهيم " تتشكل مع تأخر في الزمن بالنسبة إلى ظهور الحوادث والممارسات"<sup>(2)</sup>.

أولا: تطور مفهوم التنمية

في البداية وقبل الوقوف بشكل مركز عند مفهوم التنمية بوصفه المفهوم المركزي لهذه الدراسة وجب أن نمر قبله بعملية تحليل التطور الذي مر به المفهوم المحوري لحقل الدراسات التنموية، أي مفهوم التنمية، عبر صيرورة زمنية من مرحلة النشأة إلى أيامنا هذه، مسجلين مختلف المتغيرات الزمنية وما أضفته وتضيفه على المفهوم من أبعاد.

<sup>1</sup> –Jean Copans : **Sociologie du développement** , 2<sup>eme</sup> édition, Armand Colin Paris 2010, P10.

<sup>2</sup>–Maryse Brimont Mackowiak : **Le Développement local global et la participation des acteurs économiques et sociaux** , article Harmathan, 2010, P205.

فقد تطور مفهوم التمية، كما سبق الذكر خلال ستة عقود، وقد تم استخدام عدة تعابير للدلالة على المفهوم.

برز أولاً مفهوم التمية الاقتصادية وكان ذلك عقب نهاية الحرب العالمية الثانية وسواء تعلق الأمر بأوروبا في تلك الحقبة أو بمجموع الدول المتحررة حينها وبعدها، فقد اختزل مفهوم التمية إلى الدلالة على مجرد النمو الاقتصادي السريع، أي أنه يعبر عن عملية اقتصادية مادية في أساسها، تتم على مستوى البنى الاقتصادية والتكنولوجية، فالمفهوم وقتئذٍ وعلى الرغم من ادعائه الشمول من خلال تعدد أشكال التمية ومجالاتها السياسية والاقتصادية... الخ، قد تم مبكراً استلابه من جانب علم الاقتصاد على حساب المجالات الأخرى للعلوم الاجتماعية والإنسانية<sup>(1)</sup>.

وتبعاً لهذا الاستلاب تحدد المؤشرات الاقتصادية، كدخل الفرد والدخل القومي وزيادة الإنتاج المادي وغيرها، لتكون معيار الحكم على درجة نمو هذا المجتمع أو ذلك علماً بأن: "بلدان نامية عديدة شهدت معدلات نمو للدخل القومي قريبة من المعدل الذي اعتبره الخبراء معدلاً مرغوباً في تحقيقه ومع ذلك استمرت مستويات المعيشة فيها بلا تحسن واستمرت قطاعات واسعة من سكانها تعاني من الفقر والجهل والمرض والتعطل"<sup>(2)</sup>.

وبالنظر إلى كون هذه التمية الاقتصادية، وما تسعى إليه من تحسين في الأوضاع المادية، تحتاج إلى عمالة ماهرة وإطارات فنية مقتدرة وهؤلاء جميعاً بحاجة للصحة الجسمية

<sup>1</sup>- نصر عارف: مفهوم التمية "إعادة الاعتبار للإنسان"، موقع إعلام أون لاين 31/01/2010، س: 13.00.

<sup>2</sup>- إبراهيم العيسوي: التمية في عالم متغير، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2000، ص14.

والنفسية والمهنية وأوضاع أسرية مستقرة تبعا لكل هذه التلازمات ظهر مفهوم التنمية الاجتماعية.

إن ظهور هذا المفهوم يعبر عن إدراك المفكرين والدارسين واقتناعهم بحقيقة الترابط بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فالتنمية الاقتصادية إلى جانب وظيفتها الأساسية تؤدي وظيفة اجتماعية من حيث كونها تستهدف على المدى البعيد رفاهية الإنسان ورفع مستوى معيشته، تماما مثلما أن التنمية الاجتماعية إلى جانب وظيفتها الأساسية تؤدي وظيفة اقتصادية لكونها تستهدف على المدى البعيد تحقيق أقصى استثمار ممكن للطاقات والإمكانات البشرية وهذا هو المدخل لتحقيق أقصى إنتاج مادي (1).

ونظرا لكون الحياة الإنسانية لا تقتصر على جملة العوامل الاقتصادية والاجتماعية فهناك الجوانب الثقافية والسياسية وغيرها دعت الضرورة لظهور مفهوم ثالث يعالج النقص الحاصل في المفهومين السابقين (التنمية الاقتصادية والاجتماعية)، وبناء على ذلك بدأ التوجه نحو التنمية الشاملة لمختلف مجالات الحياة الإنسانية و"الشمولية تحث على مشاركة الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين في السياسات التنموية والتنظيمية" (2)، ذلك أننا إزاء مشروع واسع متكامل يمس جميع جنبات الحياة الإنسانية، والتعامل مع هكذا مشاريع يتطلب تضافر جميع الجهود الفاعلة، فالسفينة التي تشق البحر في يوم عاصف لا تتوقف سلامتها على مدى حنكة وخبرة الربان ومهارة مساعديه، بل السلامة منوطة كذلك بمدى وعي المسافرين وانضباطهم والتزامهم بالتعليمات.

<sup>1</sup> - أبو الحسن عبد الموجود ابراهيم: التنمية الاجتماعية وحقوق الإنسان، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2009، ص 10.

<sup>2</sup> - Maryse Brimont Mackowiak: Op, Cit, P206.

وقد مرت الجزائر بنموذج التنمية الشاملة خلال فترة السبعينات أيام الثورات الثلاث (الصناعية، الزراعية والثقافية)، وشاهدنا كيف أن التنمية يومها ينهض بعبئها جميع الفئات الشعبية من خلال الحملات التطوعية والتوعوية المختلفة.

وأمام حداثة الاستقلال ونقص الخبرة الفنية والإمكانات التكنولوجية، وجدت الجزائر نفسها وباقي دول العالم النامي بحاجة إلى نوع من الانفتاح على الغرب المصنع، انفتاح ترتب عليه اندماج متعاضم في النظام الرأسمالي العالمي من موقع تابع ومستغل عبر آليات متعددة، وأمام هذا الخطر الذي يتهدد التنمية الوطنية دعت الحاجة والضرورة القومية إلى ظهور مفهوم التنمية المستقلة ليحاول فك الارتباط مع الخارج ويدفع عملية التنمية للتركيز على الداخل بكل صوره وأبعاده، وليؤكد على الأبعاد الذاتية للتنمية<sup>(1)</sup>.

ولكن هذا الحلم، حلم التنمية المستقلة، لم يلق سبيله إلى التفعيل والتجسيد على أرض الواقع في معظم دول العالم النامي، خصوصا بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وتفكك دولة الاتحاد السوفياتي بعد أن عصفت بها رياح الكلاسنوست والبيروسترويكاء، فعادت الدول النامية صاغرة لترمي نفسها في أحضان مراكز النظام الرأسمالي العالمي، وبدلا من عملية فك الارتباط، راحت تعمل على توثيق الارتباط واسترضاء الغرب طلبا للمساعدة.

ولعل آخر المفاهيم الواردة في سلسلة التطورات هذه هو مفهوم التنمية المستدامة، وحسب التعريف المقترح في سنة 1987 من قبل اللجنة العالمية حول البيئة والتنمية في تقرير

<sup>1</sup> - نصر عارف: مرجع سابق، ص2.

"براندت لاند"<sup>(\*)</sup>، فالتمية المستديمة هي التمية التي تستجيب لحاجات الأجيال الحاضرة دون تعريض قدرات الأجيال القادمة للاستجابة لحاجاتها.

وجملة الدواعي التي أدت إلى ظهور هذا المفهوم الجديد (التمية المستدامة) تتلخص في الأوضاع الاستعجالية في مختلف الجوانب الايكولوجية والاجتماعية (كالتغيرات المناخية، تراجع وتناقص الموارد الطبيعية خاصة النفطية، الكوارث الطبيعية والصناعية المتزايدة، النمو الديمغرافي، تباعد الهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية...الخ). فالتمية المستديمة في بعدها الزمني تعني أن لنا الحق في استعمال موارد الأرض ولكن الواجب يحتم علينا ضمان البقاء والاستمرار للأجيال القادمة، أما في بعدها الفضائي (المجالي) فنعني أن كل إنسان عنده نفس الحق في موارد الأرض (مبدأ شمول المنافع).

وللتذكير فإن أول مرة يظهر فيها مفهوم التمية المستدامة كان في التقرير المعنون "الاستراتيجية العالمية من أجل المحافظة" الذي صدر عن الاتحاد العالمي للمحافظة على الطبيعة سنة 1980 وقد كرس المفهوم بعد ذلك سنة 87 في قمة الأرض الثانية في ريودجانيرو سنة 1992 ثم في ندوة الأمم المتحدة حول التغيرات المناخية في كيوتو سنة 1997 ثم في قمة جوهانسبورغ سنة 2002 للمحافظة على الموارد الطبيعية وتنوع الأحياء<sup>(1)</sup>.

وآخر هذه القمم كان في دافوس المنعقد ما بين 27 إلى 31 جانفي 2010 تحت عنوان "تحسين حالة الكوكب" وقد تم في إطار هذا الموضوع معالجة "تعزيز المساعدة الاجتماعية والتحسن الاقتصادي" وتخفيف المخاطر و"ضمان التمية المستدامة" و"تحسين الأمن" وهي في

\* براندت لاند: (اسم الوزيرة الأولى النرويجية السابقة وقد شغلت رئيسا للجنة العالمية حول البيئة).

<sup>1</sup> – Développement durable : NN, Article de Wikipédia, l'encyclopédie libre, 2009, PP(1-4).

مجمّلها تمثل اختياراتنا الجوهرية بخصوص التمية منذ عقود وتتأكد حاجتنا إليها يوماً بعد يوم<sup>(1)</sup>.

وبالنظر لكون هذه التمية تستهدف الإنسان في حاضره ومستقبله، فلا بد أن يكون الإنسان هو الفاعل المركزي في تحريك دواليبها، فهي تنمية بالإنسان وللإنسان، منه وإليه، ومن هنا ظهر مفهوم التمية البشرية كمكمل وريّف للتمية المستدامة، وليعيد الاعتبار للبعد الإنساني في أي عملية تنموية، ذلك أن البشر هم هدف التمية ووسيلتها.

وفي ختام هذه المحصلة للتطور المفهومي لمصطلح التمية، ينبغي التنبيه إلى أن هذا المنطق الكرونولوجي ليس محل اتفاق بين جميع الدارسين والباحثين، فهناك من يدمج ويجمع بين التمية الاجتماعية والتمية الشاملة على اعتبار أن الاجتماع الإنساني كل متكامل باقتصاده وسياسته وثقافته وغيرها<sup>(2)</sup>.

كما أن هناك من لم ير فرقا بين التمية الشاملة والتمية المستقلة، رغم كون هذا المفهوم الأخير قد حظي باهتمام كبير لدرجة أن بعض الهيئات الأكاديمية قد خصصت له ندوات وملتقيات خاصة به للتعلم في دراسته والوقوف على أبعاده<sup>(\*)</sup>.

والذين لم يفرقوا بين مفهومي التمية الشاملة والتمية المستقلة، انطلقوا من قاعدة أن الدول الحديثة العهد بالاستقلال حين تبنت خيار التمية الشاملة كان رأس أهدافها وأولوياتها

<sup>1</sup> – Moez Fekih: **Confirme le Bien fondé de nos choix de développement**, web manager center.com, 15/02/2010, H : 07 : 18

<sup>2</sup> – إبراهيم حسن: **دراسات في التمية والتخطيط الاجتماعي**، دط، دار المعرفة، مصر، 1990، ص 70.  
\* – أنظر كتاب: **"التمية المستقلة في الوطن العربي"**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، جانفي 1987.

تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي بعد أن تحقق لهم الاستقلال العسكري، ومن ثم كان هدف التنمية فك الارتباط مع مراكز النظام الرأسمالي الامبريالي.

وسبقت الإشارة إلى أن هناك من يجعل التنمية البشرية رديفاً ومكملاً للتنمية المستديمة أو العكس، فنقطة الاتفاق الوحيدة بين الدارسين في هذا الشأن تتمثل في كون أن رحلة التطور المفهومي لمصطلح التنمية بدأت في أولها داخل الإطار الاقتصادي ثم توالى التداركات لتلافي النقص الحاصل والقصور البين في حصر الدلالة التنموية وقصرها على البعد الاقتصادي فقط.

### ثانياً: لماذا التنمية الشاملة؟

سبقت الإشارة في الفصل الأول وبالضبط أثناء تحديد مفهوم التنمية الشاملة<sup>(\*)</sup>، إلى أن معظم التعريفات الكلاسيكية - باستثناء التعريفات الاقتصادية - المقدمة للتنمية تنص على أن التنمية هي عملية شاملة، ونذكر هنا بأن التعريفات الحديثة هي الأخرى تنص على شمولية العملية التنموية، فعلى سبيل المثال نذكر ما ورد في مقدمة الإعلان العالمي عن حق التنمية الذي اعتمده ونشر في 4 ديسمبر 1986 والذي يعتبر أن التنمية هي "عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرهم والأفراد جميعهم على أساس مشاركتهم النشطة والحرّة والهادفة، في التنمية وفي التوزيع العادل للفوائد الناجمة عنها"<sup>(1)</sup>.

\* - انظر الفصل الأول، ص 20.

<sup>1</sup> - أحمد نبيل فرحات: مفاهيم التنمية والتنمية البشرية الاجتماعية، المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، 2008/24/11، ص: 14 و 10د.



أما إذا رجعنا لأحدث هذه المفاهيم والأكثر تداولاً في أيامنا ونعني به " التمية المستدامة" فسندج بأن المفهوم على حد ذاته تعرض لبعض الانتقادات، ومفاد هذه الانتقادات أن أهداف التمية المستدامة إذا كانت موضوعاً محل إجماع، فإن تطبيقاتها هي التي تصبح مصدر معارضة...فإحدى الأسئلة التي يطرحها موضوع التمية المستدامة هي معرفة ما يقصد بـ "مستدامة"، ففي هذه الحال فإن الطبيعة يمكن أن ينظر إليها بطريقتين أو بكيفيتين، فمن جهة يوجد رأس المال الطبيعي غير المتجدد في المقياس البشري ( كموارد النفط مثلا ) ومن جهة أخرى موارد متجددة (مثل الخشب، الماء...).

وأمام هذا المعطى الطبيعي فإنه لا يمكننا الحديث عن ديمومة أو استدامة مع المصادر التي من طبيعتها الفناء وعدم التجدد، وأما بالنسبة للمصادر المتجددة، فالأمر يتعلق بالنموذج التقني الاقتصادي، بمعنى أنه في كل مرة يعترض سبيلنا مشكل بيئي يتعلق بحل تقني، فإن الحل لا يكون موجوداً إلا في عالم مزدهر اقتصادياً، ومن ثم فلا إمكانية للحديث عن استدامة في العوالم غير المزدهرة اقتصادياً، فالحل لا يكون متاحاً لها، وبالتالي فالديمومة تكون ضعيفة، لأن الركيزة الاقتصادية تشغل مكانة مركزية وقوية<sup>(1)</sup>.

وبالنسبة للتيار المعارض لأصحاب المقاربة التقنواقتصادية، وقصد التأكيد على إكراهات المحيط الحيوي، يفضل أنصار هذا التيار ومعظمهم من المنظمات غير الحكومية والجمعيات البيئية استخدام التمية المدعومة بدل التمية المستدامة، بمعنى التفكير في البدائل المتاحة والمتسادة انطلاقاً من إيمانهم بأن مجال النشاطات الاقتصادية متضمن في مجال النشاطات

<sup>1</sup> -Le Développement durable:NN, Op, Cit, PP( 8-9).

الإنسانية وهي بدورها متضمنة في المحيط الحيوي، إن الذي يعنينا في كل هذا أن مفهوم "التمية المستدامة" على حد ذاته تعرض للانتقادات وهو محل مراجعة ولو على مستوى التسمية.

وبعيدا عن كل هذا كله فإن التوجه نحو التمية المستدامة، إنما تولد في البيئة الغربية، وكان بدافع التغيرات البيئية والمناخية الكبيرة التي أحدثتها حركة التصنيع الغربية، والتي أدت كذلك إلى استنزاف كثير من الموارد الطبيعية، وإذا كانت التغيرات المناخية والبيئية قد مست الكوكب الأزرق بكامله، فالأمر ليس هو نفسه بالنسبة لاستنزاف الموارد الطبيعية، فمناجم الفحم -على سبيل المثال- التي استنزفت في الغرب لا تزال عندنا تشكو العذرية، وبالتالي فالشروط الموضوعية التي دعت للتوجه نحو التمية المستدامة في البيئة الغربية، ليست هي نفسها في الدول النامية والدول العربية على وجه الخصوص.

وانطلاقا من كل ما سبق نرى بأن مفهوم التمية الشاملة هو الأكثر التصاقا ببيئتنا العربية، ولا تزال حججه قائمة، وهو الأنسب للتعبير عن أهدافنا التنموية وطموحاتنا القومية والحضارية.

وإذا كانت التمية المستدامة قد جاءت بجديد لم تنص عليه التمية الشاملة فلا بأس من إعادة صياغة مفهوم التمية الشاملة فنضمنه جديد التمية المستدامة، كأن يصبح تعريف التمية الشاملة على النحو التالي: هي عملية واعية مقصودة تضم جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والروحية والفكرية، تؤدي في شكل معقد من الإجراءات والعمليات المتكاملة والمتتالية والمستمرة، يهدف إلى إعمار الأرض وتحقيق الأمن والرفاه لشعوبها في حاضرهم ومستقبلهم.

ثالثاً: أهداف التنمية الشاملة

يمكن أن نستشف أبرز الغايات القريبة والبعيدة المدى لاستراتيجية التنمية الشاملة من خلال التعريفات المحددة لحقيقة هذه التنمية، وهي في مجملها تسعى إلى تحسين الأوضاع المادية للأوطان وشعوبها، وتحرير طاقات الأفراد نحو الخلق والإبداع والإفادة، وربط الدول العربية ببعضها البعض من خلال منظومة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسة تحقق لها الشهود الحضاري.

وهذه الغايات الكبرى تتحقق من خلال جملة من الأهداف العامة لعل هذه أبرزها: (1)

-تكوين قاعدة اقتصادية وإنتاجية صلبة تقوم على الصناعات التحويلية.

-تخفيض الاعتماد على النفط وإخضاع إنتاجه لاعتبارات التنمية.

-إخضاع النفقات العامة لمعايير الجدوى الاقتصادية.

-إصلاح الإدارة الراهنة وتميئتها.

-بناء قاعدة علمية - تقنية ذاتية متطورة.

-إصلاح التعليم وربطه بمتطلبات التنمية.

-توفير البيئة الملائمة لتنمية ثقافية اجتماعية واعية ومتماسكة.

<sup>1</sup> - علي خليفة الكواري: نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1986، ص ص (12-22).

-تحرير الطاقات البشرية من خلال توفير مناخ سياسي متفتح على الآراء المخالفة وبتعاطى معها بإيجابية.

-تفعيل المشاركة الشعبية باعتماد نظام فعال للحوافز .

-تعزيز الشعور القومي من خلال السعي الجاد لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي.

إن جملة هذه الأهداف العامة يمكن تفريعها إلى مجموعة أهداف جزئية إجرائية توضح كيفية تجسيدها، ولكن يمكن القول إجمالاً بأن هذه الأهداف " لا تتحقق إلا من خلال تغييرات جوهرية في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع، تعيد ترتيب علاقاته الداخلية كما تعيد تحديد موقعه في نظام تقسيم العمل الدولي، وهذه التغييرات الجوهرية لن تتم بشكل تلقائي، وإنما بالضرورة محصلة نضال سياسي، ونتاج إرادة واعية، وتخطيط محكم، وهنا يبرز دور الدولة في تحقيق التنمية من خلال سياسات تدخل حكيمة وخطط محكمة كما يبرز أيضاً دور البشر والإنسان في هذه العملية النضالية التي لن تتم بدون تضحيات وآلام" (1).

#### رابعاً: أبعاد التنمية الشاملة

إن تحديد أبعاد أي مفهوم يتوقف على التعريفات والتحديدات الدقيقة للمفهوم، ومن ثم فإن الدارسين والباحثين في تحديدهم لأبعاد المفهوم نفسه قد تتباين وتختلف آراؤهم تبعاً لاختلافهم في تعريف المفهوم، فعلى سبيل المثال فإن الذين يتبعون التعريف الاقتصادي للتنمية والذين يرونها عملية شاملة لن تكون الأبعاد عندهم نفسها.

<sup>1</sup> - علي حيدر: التنمية الشاملة والتطوير الاستشرافي للمفهوم، موقع مجلة النبأ الالكترونية العراقية، عدد 72، تشرين الأول 2004.

ومن خلال التحليل المفهومي لمصطلح التمية الشاملة، والذي نستند فيه للتعريف المتبني إجرائياً في هذه الدراسة، كتعريف مؤقت- فإن أهم الأبعاد التي يمكن استخراجها هي التالية<sup>(\*)</sup>:

(أ)-البعد الإنساني (البشري)

سبق الذكر أثناء معالجة التطور التاريخي لمفهوم التمية<sup>(\*\*)</sup>، وبالضبط عند الإشارة لظهور مفهوم التمية البشرية، بأن الاتجاه يسير نحو إعادة الاعتبار للإنسان في أي عملية تمومية ذلك أن البشر هم هدف التمية ووسيلتها.

فمفهوم التمية البشرية يشير إلى حركة متصلة تتواصل عبر الأجيال زماناً وعبر المواقع الجغرافية والبيئية "مكاناً" مما يستدعي النظر إلى الإنسان هدفاً في حد ذاته حين تتضمن كينونته والوفاء بحاجاته الإنسانية في النمو والنضج والإعداد للحياة.

والمفهوم ذاته يقتضي أن ننظر للإنسان "وسيلة" ذلك أن الإنسان هو محرك الحياة في مجتمعه ومنظمتها وقائدها ومطورها ومجددها، وعلى هذا فالتمية البشرية تتضمن -هي بدورها- كما يقول الدكتور رجائي عبد الرسول، ثلاثة أبعاد هي: <sup>(1)</sup>

\*تمية الناس بالتركيز على تكوين وبناء القدرات البشرية.

\*تمية من أجل الناس لما تؤكد من ضرورة استخدام هذه القدرات في أنشطة إنتاجية تضمن استمرارية التمية والتوزيع العادل لثمارها.

\* - جملة الأبعاد المحددة هنا مستنبطة من التعريف الاجرائي وسنقارن بينها وبين أبعاد التمية الشاملة عند مالك بن نبي في فصل النتائج.

\*\* - انظر صفحة 87 من هذا الفصل.

<sup>1</sup>- محمد منير حجاب: مرجع سابق، ص75.

\*تتمية بواسطة الناس لأنها تعتمد إلى توسيع اختياراتهم وتعميم مشاركتهم في اتخاذ القرارات وعطفا على هذا البعد الثالث الذي ينص على كون التتمية تتم بواسطة الإنسان، يأتي الاهتمام بالتمية البشرية من منطلق أن التتمية" عبارة عن سلوك مجموعة من الأفراد والجماعات سلوكا منظما مقصودا هادفا مخططا لتحقيق غايات ايجابية نافعة تخدم الأهداف العامة للمجتمع"<sup>(1)</sup>.

ومن هنا يمكن القول بأن تتمية الإنسان هي جوهر التتمية الشاملة فلا يمكن تحقيق أبعاد التتمية الأخرى بمعزل عن الإنسان، إن جدلية أن الإنسان هو هدف التتمية ووسيلتها يمكن تعقيدها في بساطتها، فلا أحد ينصب ويرغب لتحقيق رفاهية الآخر، وينسحب هذا على الأفراد كما ينسحب على المجموعات والمجتمعات، والسعي لخير الآخر لا يكون إلا على وجه التساند والاعتماد المتبادل، إن التتمية التي تستهدف الإنسان لتحقيق رفاهية وأمنه النفسي والغذائي، على الإنسان نفسه أن يسخر جهده ووقته لبعثها وأن يكون هو ذاته أدواتها حتى تكون به وله.

#### ب)البعد الروحي والنفسي:

هذا البعد شديد الالتصاق بالبعد الأول -البعد الإنساني- ذلك أن الإنسان عند جميع الملل وفي جميع النحل هو جسد وروح، روح علوي وجسد سفلي " فللجسد مطالب من جنس عالمه السفلي، وللروح مطالب من جنس عالمها العلوي"<sup>(2)</sup>.

والذين غيبوا البعد الروحي عند الإنسان-عن جهل أو عمد- حكموا عليه بالنعاسة والحيرة والقلق رغم الثراء المادي والنعيم الوفير الذي وفرته له المدنية الحديثة، فقد نشر رئيس تحرير مجلة (روزاليوسف)، وهي مجلة لا تتهم بالتحيز للمعنويات والقيم الروحية تحقيقا صحفيا

<sup>1</sup> - عبد الرحمان محمد العيسوي: سيكولوجية التتمية والانتاج، ط1، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2001، ص252.

<sup>2</sup> - يوسف القرضاوي: العبادة في الإسلام، ط2، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دس ن، ص274.

تحت عنوان " أهل الجنة ليسوا سعداء" وأهل الجنة الذين يعينهم هم سكان السويد الذين يعيشون في مستوى اقتصادي يشبه الأحلام، ولا يكاد يوجد في حياتهم خوف من فقر أو شيخوخة أو بطالة أو أي كارثة من كوارث الحياة، فإن الدولة تضمن لكل فرد يصيبه شيء من ذلك إعانات دورية ضخمة، بحيث لا يجد مواطن مجالاً للشكوى من العوز أو الحاجة الاقتصادية بحال من الأحوال"<sup>(1)</sup>.

هذا واحد من أمثلة كثيرة جاءت على السنة الكثير من المنصفين والباحثين من أهل الشرق والغرب يدل على شقاء المجتمعات التي أغرقت في المادية وأهملت الجوانب الروحية لدرجة وصف فيها الأستاذ كولن ولسون عمران نيويورك وازدهارها المادي، بأنه " غطاء جميل لحالة من التعاسة والشقاء"<sup>(2)</sup>.

إن التنمية الحق، هي التنمية الشاملة، التي تحقق للإنسان التوازن بين مختلف مكوناته الروحية والمادية، أمنه الغذائي وأمنه التقني، مثل هذه التنمية " لا بد لها من نسق أخلاقي قويم يساندها ويؤازرها ويحمي عائداتها ومردوداتها ويحميها من براثن الفساد والتسيب والانحراف"<sup>(3)</sup>. تنمية تهتم " بصنع الإنسان المتكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش في كنفه، والقادر على الاسهام الايجابي والفاعل في معركة الانتاج والتنمية والخلق والإبداع والمهياً للبدل والعطاء والمتحرر من الأمراض والأزمات والصراعات والتوترات تلك التي تمتص طاقته وتبدد جهده"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - يوسف القرضاوي: الايمان والحياة، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1983، ص 84.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 86.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان محمد العيسوي: مرجع سابق، ص 215.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 215.

إن التنمية التي تتجاهل البعد الروحي والنفسي للإنسان، إما أن تجعل منه آلة متحركة، مجردة من الضمير الأخلاقي تعمل تحت الرقابة، ومهيأة للانحراف والفساد متى غابت عين الرقيب، أو تجعل منه طاقة معطلة تعيش فريسة لوساوسها وهواجسها ومنكفئة على نفسها يأسرها الرعب والقلق والخوف من المستقبل المجهول.

### ج) البعد الاجتماعي:

لقد سبق الذكر أثناء تحليل تطور مفهوم التنمية ، بأن الاهتمامات الأولى انصبحت حول البعد المادي والاقتصادي للعملية التنموية وتبعاً لذلك جاءت جميع المؤشرات لقياس النمو في أي بلد مستندة للأبعاد الاقتصادية، لكن الدراسات والأبحاث بينت قصور هذا الاتجاه، وأكدت على أنه لا يمكن حصر التنمية في الحدود الضيقة للنمو الاقتصادي، ودعت إلى إيلاء مختلف الجوانب الإنسانية مزيداً من الاهتمام، ومن هنا بدأ الحديث عن التنمية الاجتماعية بكل شمولاتها التي ذكرها هيجنز في تعريفه للتنمية حيث قال بأنها " عملية استثمار إنساني تتم في المجالات أو القطاعات التي تمس حياة البشر مثل التعليم والصحة العامة والإسكان والرعاية الاجتماعية... الخ"<sup>(1)</sup>.

لقد ساعد هيجنز المنظرين والدارسين على وضع أياديهم على نقاط الضعف في المنظورات التكنو اقتصادية وتبين أوجه القصور فيها، وإن هو الآخر قد عاد في آخر التعريف ليقول بأن الاهتمام بمختلف هذه الجوانب هو من أجل استثمارها في العملية الاقتصادية، وهو

<sup>1</sup> - إبراهيم حسن: دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي، دط، دار المعرفة، مصر، 1990، ص 70.



بذلك يجعل الجوانب الاجتماعية خادمه للاقتصاد وليس العكس حيث قال في آخر تعريفه السابق " بحيث يوجه عائد تلك العملية إلى النشاط الاقتصادي الذي يبذل في المجتمع"<sup>(1)</sup>.

وحتى لو سايرنا أصحاب الاتجاه الاقتصادي، فإنه بات من المسلم به لديهم ولدى غيرهم بأن الحركة الاقتصادية في أي دولة من دول العالم لا يمكن أن تشهد أي نشاط أو تعرف نموا في مجتمع يبيت أفراده على الطوى، وأضوت أجسامهم الأسقام والعلل، ويوجه الجهل سلوكياتهم ويحكم تصرفاتهم.

إن الاهتمام بمختلف الجوانب الاجتماعية من صحة وتعليم وغيرها يتطلب إحداث تغييرات هيكلية تمس مختلف المؤسسات والأبنية الاجتماعية التي تقدم خدماتها للإنسان والارتقاء بها حتى تصبح قادرة على تنمية قدرات الفرد في الاعتماد على ذاته وإيجاد شخصية تنموية فاعلة للمشاركة الجادة في التنمية وتوجيهها.

(د)البعد السياسي:

إن الإنسان ليس كما تدعي بعض الطروحات الفلسفية حيوان ناطق، يسعى كباقي الحيوانات غير الناطقة إلى تأمين ضروراته الحياتية من مأكّل ومشرب، فالإنسان آجل وأعظم من ذلك، فهو أكمل المخلوقات وأرقاها وأشرفها مصداقا لقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾<sup>(2)</sup>، وقوله أيضا: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>-ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص70.

<sup>2</sup>- القرآن الكريم: سورة التين الآية 4.

<sup>3</sup>- القرآن الكريم: سورة الإسراء الآية70.

وتبعا لهذا التفضيل الرباني، فإن مطالب الإنسان تعلو وتسمو فوق مطالب الحيوان وإن كان المآكل والمشرب عنصرين ضروريين لا غنى للمرء عنهما، ومن هنا فإن التنمية الحقيقية هي التي تتجاوز الاهتمام بإشباع الحاجات الافتقارية لعموم الناس بل تتعداها لإشباع حاجاتهم الارتقائية كما وضح ذلك أبراهام ماسلو في هرمه المحدد للحاجات الإنسانية<sup>(1)</sup>.

إن مسار التنمية الصحيح هو الذي لا يتوجه فقط لتحسين أوضاع الفرد في المجتمع في جوانبها المادية فحسب، بل هو المسار الذي يعمل على توسيع خيارات الناس وتعزيز قدراتهم من أجل استثمار أمثل وأعم وأشمل وفقا للواقع المعيش، وحتى تستكمل عملية التنمية الشاملة للمجتمع تحقيق أهدافها، فلا بد لها من شروط أساسية لنجاح خططها واستراتيجيتها، ويعتبر تحرير الإنسان من الخوف وحمایته من التهديد وتوفير بيئة آمنة ومستقرة، متطلبات لازمة لتحسين الأمن الإنساني كحالة ضرورية يشعر من خلالها الإنسان بأن حياته وممتلكاته وحقوقه المعنوية والأدبية والثقافية والإنسانية مضمونة ومحمية ويقع توفير متطلباتها ضمن إطار الدولة راعية الحقوق والواجبات.

إن توفير الشروط السالفة يعني باختصار تحرير الفرد من كل أشكال القهر وتضييق الخناق على أفكاره وإبداعاته وعكس ذلك تماما ينبغي إشراكه بشكل فعال في اتخاذ القرارات المؤثرة في حياته وحياة أبنائه من بعده، وتجسيد التنمية في بعدها السياسي يقتضي تخطي مجموعة من العقبات أو العوائق نوجزها على النحو التالي: (2)

<sup>1</sup> - سيد محمد خير الله وممدوح عبد المنعم الكتابي: سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق، دط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1996، ص 185.

<sup>2</sup> - دلال ملحس استثنائية: مرجع سابق، ص ص (181-183).

\*ضعف الإيديولوجية التنموية: إن معظم دول العالم النامي في تبنيتها للاختيار والنهج الاشتراكي كانت مدفوعة بدافع الكره للحركة الاستعمارية الامبريالية التي شنتها الدول الرأسمالية على دول العالم الثالث، وبالتالي فالاختيار لم يكن في عمومه رشيدا ولا عقلانيا.

إن الاختيار إذا لم يكن وليد دراسة عقلانية متأنية تشوبه عدة شوائب يأتي في مقدمتها عدم الوضوح، وعدم الوضوح يجعلها قاصرة عن تلبية حاجات المجتمع، ومما يؤكد عدم سلامة الاختيار وضعف الإيديولوجية التنموية، أنه بمجرد سقوط المعسكر الشرقي، تهاوت أنظمتها الاشتراكية في معظم دول العالم النامي.

\*عدم الاستقرار السياسي: فتحقيق التقدم والازدهار ووجود الاستقرار السياسي هما طرفا معادلة لا تتحقق في غياب أحدهما، فالدول التي تصنف على أنها متقدمة ومزدهرة لم تبلغ هذا المرتقى إلا بعد أن استتب الأمن فيها وأخمدت نيران الحروب والفتن الأهلية داخلها، ومن ثم تفرغت أنظمتها للبناء والتشييد، يضاف إلى هذا أن عدم الاستقرار يؤدي إلى هجرة الأدمغة وهذا يحرم الأوطان من الاستفادة من كفاءاتها.

\*السياسة الامبريالية: إن الأنظمة الامبريالية التي غادرت مستعمراتها مكرهة تحت ضربات المقاومة، لم تصرف أعينها كليا عن تلك المستعمرات بل وضعت خططا واستراتيجيات لإبقاء تلك العوالم دائرة في فلكتها وبالتعبير الاقتصادي فهي أسواقها التي ستصرف فيها بضائعها هذا من جهة ومن جهة ثانية فهي مصدر ثرواتها الخام وحماها المصون، ولذا وجب على الساسة القائمين بشؤون التنمية في دول العالم النامي أن يحصنوا أنفسهم وأوطانهم ضد تلك الاكراهات بتحقيق الشرعية التي تمنحهم القوة، وتسد ظهورهم بالمشاركة الشعبية القوية.

\*الحروب الخارجية: سبق الذكر في النقطة السالفة المتعلقة بالسياسة الإمبريالية بأن الدوائر الغربية لم تنفض يدها من أمور مستعمراتها كليا ولم تغمض أعينها عنها، وبالتالي فقد عملت قبل الخروج منها على خلق أجواء داخلية وإقليمية جد مضطربة، داخليا بتمزيق النسيج الاجتماعي الى طوائف وفرق متناحرة وإقليميا بتثبيت أنظمة حكم متناقضة ومتعادية، ومن ثم فقد بدأت النزاعات مباشرة بعد حصول المستعمرات على استقلالها، ولا يخفى على أحد أن هذه النزاعات سواء أخذت شكل الفتن الأهلية الداخلية أو شكل الحروب الجوارية<sup>(\*)</sup>، تستنزف ثروات الأمة المادية والبشرية وتضيع عليها أوقات ثمينة كان الواجب استغلالها في المشاريع التنموية والنهضوية.

إن التمية الصحيحة الواعية هي التي لا تغفل مثل هذه العوائق بل تضعها نصب عينها وتعبئ الأفراد ضدها و"بهذا تؤكد على اليقظة السياسية والالتزام الايجابي للمواطنين الذين يشاركون في صنع القرارات ولا يقتصر دورهم على الاستجابة للتعبئة الإعلامية"<sup>(2)</sup>.

هـ) البعد الاقتصادي:

كانت النظرة في البداية إلى أن التمية في بعدها الاقتصادي تهدف إلى رفع وزيادة في الناتج القومي السنوي ويصاحبه رفع نسبة الدخل الفردي السنوي وزيادة الإنتاجية... إلخ<sup>(3)</sup>.

\* - ومن أمثلة ذلك الحروب الأهلية في لبنان، السودان، الجزائر واليمن، ومن أمثلة الحروب الجوارية العراق وإيران، حرب الخليج... وغيرها كثير.

<sup>2</sup> - نور الدين زمام: القوى السياسية والتنمية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص195.

<sup>3</sup> - عادل خليفة: اقتصاديات الدول العربية وتحديات التنمية، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 1996، ص140.

ولكن بعد الانتقادات التي تعرضت لها هذه المؤشرات ومن ورائها أصحاب المنظور الاقتصادي للتمية توسعت هذه الأبعاد لتشمل الإنسان والموارد والبيئة ككل.

-تشمل الفرد من حيث كونها تسعى لتحقيق تحسن مضطرد في رفاهية الفرد وفي توزيع عادل لثمار التنمية، ضمان العمل، استقرار الأسعار<sup>(1)</sup>.

-وتشمل الموارد فتحافظ عليها من التلف أو الاستنزاف فتخضع إنتاجها لاعتبارات واحتياجات التنمية في إطار خطة متوازنة ومدروسة بحيث لا يطغى مجال على آخر كأن يغزوا الاسمنت المسلح لأي غرض كان المساحات المزروعة خصوصا إذا كانت الدولة تشكو قلة وضيق هذه المساحات.

-وتشمل البيئة وهو العنصر الذي سنعالجه في البعد الأخير من أبعاد التنمية الشاملة.

(و)البعد البيئي:

يمكن القول ودون تحفظ بأن المدنية الغربية كانت وعلى امتداد قرنين من الزمان يدا للبناء من جهة ومعولا للهدم من الجهة الثانية، يدا للبناء بما أنتجته وقدمته للإنسان تحقيقا لرفاهيته وتسهيل عيشه فوق هذا الكوكب ولسنا بحاجة هنا لتعداد مظاهر الرفاه هذه، أما من الجهة الثانية فقد كانت معولا للهدم طال البيئة بكل مكوناتها " فقد أدت ممارسات الإنسان الخاطئة الى افقار الحياة على سطح الارض مما أحدث اختلالا في الموازين الدقيقة للطبيعة وزاد من حركة التصحر نتيجة لإهمال زراعة السهول ولقطع الغابات وللبناء على الأراضي الزراعية ولاستخدام الكيماويات بصورة عشوائية واغراق الموارد المائية الطبيعية بالفضلات

<sup>1</sup> -Michel Bialés et autres: Op, Cit, P362.

البشرية و عادم الصناعة مما أدى إلى التلوث الإشعاعي نتيجة التكنولوجيا المتطورة التي صنعها الإنسان لتصير تهديدا دائما له وللحياة ذاتها<sup>(1)</sup>.

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا بأن ما يشهده الكوكب الأزرق اليوم من كوارث طبيعية كالفيضانات والأعاصير وظاهرة الاحتباس الحراري، ما هي إلا صرخة الأرض والسماء في وجه الإنسان المخرب، والسؤال الحاسم هنا هو هل يمكن للإنسان أن يستمر في تجاهله للتدمير الذاتي الذي يباشره منذ قرنين من الزمن عبر اعتماده أنماطا اقتصادية متوحشة تدمر الإنسان والحيوان والنبات والمياه والبيئة بكل أبعادها؟

والجواب على هذا السؤال حملته إلينا مختلف القمم والندوات<sup>(\*)</sup>، التي عقدت هنا وهناك في أرجاء هذه المعمورة وتحت مسميات متعددة " قمة الأرض"، " مستقبلنا المشترك"، فقد كانت هذه اللقاءات بمثابة استفاقة الإنسان وإحساسه بتفاقم الوضع وقرعه لناقوس الخطر حول ما يتهدد ببيئتنا.

إننا نعيش في كوكب واحد، أمر لا مفر منه، ولكن يمكننا نحن دول العالم النامي أن نتدارك جزئيا هذا الوضع في بيئاتنا الخاصة ونعمل على صونه وتحسينه وذلك بأن لا نكرر نفس التجارب الكارثية التي أقدم عليها المجتمع الصناعي الغربي، فلا نقفوا خطاه في هذا التدمير، فنحفظ مواردنا وننميها، فلا نسرف ولا نتلف وإنما نأخذ بقدر الحاجة والضرورة، ونستند في جهدنا هذا إلى ما تزخر به ثقافتنا من نصوص مقدسة تدعو لحماية البيئة والحفاظ على مكوناتها ولو كان الإنسان في أوقات وظروف استثنائية كالحرب فقد روى عن أبي بكر

<sup>1</sup> - محمد منير حجاب: مرجع سابق، ص71.

\* - ذكرنا بعض هذه القمم أثناء الحديث عن التنمية المستدامة، من هذا الفصل تحت عنوان تطور مفهوم التنمية، ص86.

رضي الله عنه أنه وصّى أسامة حين بعثه إلى الشام فقال له: " لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيئا كبيرا ولا امرأة ولا تعفروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله..."<sup>(1)</sup>.

وثمة أحاديث شريفة كثيرة تنهي عن قطع أغصان الشجر أو قتل الحيوان لمجرد العبث وأحاديث تنهي عن تعكير المياه أو توسيخ أماكن استضلال الناس وغيرها، بل جاءت النصوص المقدسة مرغبة ومحبة في العناية بالبيئة ومكوناتها حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرضا فيأكل منه طيرا أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"<sup>(2)</sup> رواه البخاري.

إن التنمية الشاملة التي نستهدفها هي التي تأخذ بكل هذه الأبعاد وغيرها، فتتشد إسعاد الإنسان في حاجاته المادية وحاجاته المعنوية، وتتشد إعمار الأرض وإصلاحها والترفق بكل مكوناتها وعناصرها الحية.

### خامسا: ركائز التنمية الشاملة ومقوماتها

لقد سبق الذكر في مواضع من هذا الفصل والذي سبقه بأن التنمية هي عملية شاملة وموسعة لكل مناحي الحياة الإنسانية، وأنها تتطلب تضافر جميع القوى الفاعلة في المجتمع، ولا بأس أن نذكر من جديد بعض تعريفاتها حيث يقول محمد توفيق صادق بأن: "التنمية عملية مجتمعية تراكمية تتم في إطار نسيج من الروابط بالغ التعقيد، بسبب تفاعل متبادل بين العديد من

<sup>1</sup> - السيد سابق: فقه السنة، ج3، ط3، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1981، ص61.

<sup>2</sup> - أحمد محي الدين العجوز: منهاج الشريعة الإسلامية، ج3، دط، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1983، ص281.

العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية، الإنسان هدفها النهائي ووسيلتها الرئيسية<sup>(1)</sup>.

وتبعاً لهذا فإن جملة الركائز التي تنهض عليها التنمية، والمقومات التي تستند إليها تكون هي الأخرى ذات أبعاد متشعبة ومتشابكة ولكن يمكن إيجازها على النحو التالي: (2)

(أ)- الاستقلال الاقتصادي:

فلا معنى للتنمية تبقى رهينة التبعية لمراكز النظام الرأسمالي العالمي، ولا تعمل على فك الارتباط معها فهذا يعني أن السيادة الوطنية أو القومية تبقى منقوصة وأن مصالح الشعوب تأتي من حيث الاهتمام في الدرجة الثانية، فالاستقلال الاقتصادي ضريبة حتمية للخروج من قبضة التخلف وأسمى مقومات هذا الاستقلال العوامل التالية:

\* قرار وطني نابع من مصلحة الشعب وليس مصلحة فئة بورجوازية محلية ذات علاقة بالرأسمالية العالمية أو فئات محلية لا ترى غير مصالحها الذاتية.

\* بناء دولة المؤسسات والقانون وفتح المجال أمام الوطنيين الغيورين الذين يمثلون مصالحه على أكمل وجه.

\* بناء اقتصاد متوازن عن طريق تغيير مضمون الإنتاج وتوزيعه والتحرر من اقتصاد المحروقات.

<sup>1</sup> - إبراهيم حسين العسل: التنمية في الفكر الإسلامي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، 2006، ص 25.

<sup>2</sup> - عادل خليفة: مرجع سابق، ص ص (145-146).



\*تقوية القطاع العام وتطويره -بدل تصفيته- فهو الأجدر بحكم الخبرة لتحقيق النمو الاقتصادي، وهذا لا يتعارض مع تشجيع القطاع الخاص الوطني للمساهمة في العملية التنموية.

(ب)التمفصل الاقتصادي:

فبجوار الاستقلال الاقتصادي يأتي التمفصل الاقتصادي دعامة ثانية تشد إزر الأول من أجل انجاح العملية التنموية والتمفصل يعني خلق نوع من التفاعل القوي بين القطاعات الثلاثة الصناعة والزراعة والتجارة، بحيث يخدم كل واحد منها الآخر، وثلاثتها تلبي الاحتياجات الضرورية فلا تتطلع أسواقنا دوما للواردات الأجنبية، فمن غير المعقول في ظل شساعة أراضينا أن نستورد أبسط المنتوجات الزراعية كالبطاطا، ومن غير المقبول أن تنتج أراضينا الطماطم الوفيرة التي لا تستوعبها طاقة مصانعنا الصغيرة، فلا بد إذن من معالجة هذا الخلل في البنية الاقتصادية لدولنا.

وإلى جانب هاتين الركيزتين (الاستقلال الاقتصادي، التمفصل الاقتصادي) تجدر الإشارة إلى أن العمل التنموي لا بد له من مقومات بشرية تتمتع بمعارف علمية وخبرات فنية، كفاءات بشرية يمكن الاطمئنان إليها والاعتماد عليها في أي مشروع تنموي ونهضوي جاد، وإلى جانب المعرفة العلمية والخبرة الفنية لا بد أن تتمتع هذه الكفاءات بجملة من القيم الأخلاقية تجعلها تتحلى بروح المسؤولية وتتحمل في سبيل النهضة المنشودة كل الصعاب، فتضحي وتعطي وتبذل كل ما في وسعها<sup>(1)</sup>.

وباختصار فإن العمل التنموي ينهض ويقوم على جملة مقومات منها العامل البشري المتسلح بعلوم العصر ومعارفه والمتحلي بقدر رفيع من الوعي وروح المسؤولية ومنها

<sup>1</sup> - عبد الرحمان محمد العيسوي: مرجع سابق، ص231.

السياسات الحكيمة والرشييدة التي يضعها وينفذها القادة الوطنيون الذين ينشدون سيادة البلاد وعزة شعبها.

### التمية المشاركة:

تعتمد التمية الشاملة على المشاركة الشعبية الجادة في كل خطواتها ومراحلها وتوجيه عملياتها، ومفهوم الشمولية هو الذي يستدعي مبدأ مشاركة الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين الملقبين أيضا بـ " القوى الحية" أو " المجتمع المدني"<sup>(1)</sup>.

إن المشاركة الجادة والفاعلة تؤدي عدة وظائف تجاه كل من الأفراد والدولة وكذا المشاريع التنموية، فمن جهة الأفراد فالمشاركة تقلل من شكوكهم في أغراض البرامج الموضوعية وتلقي عليهم مسؤولية تنفيذها<sup>(2)</sup>، يضاف إلى هذا أن المشاركة " تعزز إحساسهم بذواتهم وتجعلهم أكثر وعيا بمشكلاتهم وبقيمة إسهامهم في حياة مجتمعهم انطلاقا من ضرورة تكاتف كل الجهود الشعبية والرسمية في شتى مراحل العمل التنموي"<sup>(3)</sup>.

إن المشاركة في التمية هي العملية التي يلعب الفرد من خلالها دورا في الحياة السياسية والاجتماعية لمجتمعه وتكون لديه الفرصة في أن يشارك في وضع الأهداف العامة، وكذلك أفضل الوسائل لتحقيق وإنجاز هذه الأهداف.

<sup>1</sup> - Maryse Brimont Mackowiak : Op, Cit, PP (205-206) .

<sup>2</sup> - محمد عبد الفتاح محمد عبد الله: تنمية المجتمعات المحلية، دط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006، ص 63.

<sup>3</sup> - إحسان حفطي: مرجع سابق، ص311.

أما من جهة الدولة فالمشاركة تعبر عن وجود دولة قوية ومجتمع قوي<sup>(1)</sup>، فالدولة القومية هي التي لا تتحرج من الاستفادة مما لدى الآخر بل تشركه في اتخاذ مختلف القرارات الوطنية والمحلية وهذا من شأنه أن يخفف من الأعباء الملقاة على عاتق الدولة وكما يقال في الأمثال، الحمل إذا توزع خف، فالواجب على الدولة إذن أن تعمل على حفز ودفع الجماهير إلى المشاركة في عملية التنمية " فالقرار السياسي الذي يصدر من أعلى سلطة في المجتمع يمكنه أن يخرج الجماهير من ضعفها وسلبيتها وينقلها إلى حالة من التعاون والمشاركة الفعالة في كافة الجهود المبذولة لتنمية المجتمع"<sup>(2)</sup>.

إن الدولة التي تشرك جماهيرها في العمل التنموي، تعتبر بذلك عن وفائها للإدارة الشعبية التي اختارتها ولذا فإن " انبثاق الحكومة عن إرادة الشعب لا يعني أن تختزل خطأ في بضعة وعشرين شخصا من أعضائها يجلسون على طاولة واحدة، بل إن هؤلاء إنما يرأسون المؤسسات الإدارية بينما تشمل الحكومة سائر الموظفين الشرفاء في البلاد بأسرها"<sup>(3)</sup>.

فلقد أثبتت التجارب المتتالية أن المشاريع التنموية التي لم تحض بمشاركة شعبية كان مآلها الفشل الذريع ذلك : "أن الدولة في العالم العربي قد توحشت على المجتمع وسلبته تدريجيا مختلف قواه وفعاليتيه وفي الوقت نفسه أثقلت كاهله بكل شيء، فأدى ذلك إلى فشلها وعدم قدرتها على أداء أدوارها الطبيعية، أو الأدوار التي سلبتها المجتمع"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - طلعت مصطفى السروجي: التنمية الاجتماعية من الحداثة إلى العولمة، دط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2009، ص21.

<sup>2</sup> - إحسان حفطي: مرجع سابق، ص311.

<sup>3</sup> - محمد خاتمي: التنمية السياسية الاقتصادية والأمن، ترجمة سرمد الطائي، ط2، دار الفكر، دمشق، 2004، ص34.

<sup>4</sup> - نصر عارف: مرجع سابق، ص07.

وأما من جهة المشاريع التنموية، فإن اشراك المواطنين في تخطيط برنامج معين إنما يضمن اختيار ما يتلاءم مع طبيعة هذا المجتمع<sup>(1)</sup>، ذلك أن المواطنين هم في العادة الأقدر على تشخيص أدواء مجتمعهم والأعرف بما يصلح له من برامج تنموية بحكم التصاقهم الوثيق ببيئاتهم، وبالتالي فاختيارهم لنوعية المشاريع وارتضاؤهم لها يعد مؤشرا فعالا يمكن للقادة أن يستأنسوا به، إذ يوجههم الوجهة الحسنة والتي تكفل لهم تساند جهودهم وجهود الجماهير العريضة.

إن التمية بالمشاركة لا يقتصر دورها على تمكين الفرد من تحقيق ذاته وشعوره بأهميته وقيمه في المجتمع، بل تعمل كذلك على إبراز قيادات مجتمعية مؤهلة للعب أدوار جد إيجابية في العمل التنموي وإلى جانب كل هذا فهي تحقق ما يعرف بالرقابة الشعبية على الأداء الحكومي وهذا من شأنه تعزيز الأداء الحكومي.

### سادسا: مؤشرات التمية الشاملة

أثناء تعرضنا لتحليل التطور المفهومي لمصطلح التمية، ذكرنا حينها بأن العملية التنموية في البداية تم التعامل معها في بعدها الاقتصادي فقط ومن ثم تحددت المؤشرات والمقاييس للحكم على مدى تقدم أي دولة من الدول النامية من خلال حساب الناتج القومي الإجمالي أو الناتج المحلي الإجمالي ويشترك منه مؤشرات فرعية كمتوسط نصيب الفرد ومعدل النمو السنوي في نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عبد الفتاح محمد عبد الله: مرجع سابق، ص 63.

<sup>2</sup> - إبراهيم العيسوي: مرجع سابق، ص 101.

هذا وقد تعرضت هذه المقاييس من زوايا متعددة ومن داخل هذه المقاييس إلى نقد في مدى إفصاحها وتعبيرها عن الارتباط الوثيق بين الدخل وتحسين الرفاهية الاجتماعية، كذلك إلى أي مدى يمكن اعتبار الزيادة في الناتج المحلي كزيادة حقيقية ومستمرة ومعبرة عن مقدرة المجتمع على الإنتاج وغيرها هذه من الانتقادات التي تعرضت لها الأساليب التقليدية في قياس التنمية.

إن الذي يعنينا هنا ليس هو التعمق في دراسة تلك الانتقادات، وإنما الذي يعنينا هو النظر لها كمؤشرات ناقصة وغير معتبرة لاقتصارها على البعد الاقتصادي فقط، أما التنمية التي نقصدها ونعالجها في هذه الدراسة هي التنمية الشاملة ذات الأبعاد المتعددة ومن ثم وجب البحث في جملة مؤشرات تغطي كل تلك الأبعاد.

وانطلاقاً من مسلمة تعدد معايير قياس التنمية بتعدد خصائصها ومقوماتها ومعوقاتنا من دولة إلى أخرى، بمثل ما قد تتعدد في الدولة الواحدة على حساب درجة التنمية المطلوبة، من هذا المنطلق عقد المؤتمر الذي حمل عنوان "منهجية متكاملة لمؤشرات عربية للتنمية" والذي يعقد للمرة الثانية وكان الأول في سورية، تحت رعاية الجامعة العربية، وقد ناقش الخبراء المؤتمرون المشكلات المتعلقة بالبيانات والمؤشرات لوضع العلاج لها ومن ثم وضع إحصائية متكاملة ومتطورة ملائمة للدول العربية وتتوافق مع احتياجات المجتمع العربي<sup>(1)</sup>.

وقد سعى الملتنقى لوضع مؤشرات عربية للتنمية الاجتماعية لا تختلف عما هو متعارف عليه في المنظمات الدولية وإنما تأخذ الخصوصية العربية بعين الاعتبار في عملية القياس، ووضع مؤشرات قابلة للمقارنة بين الدول العربية وداخل الدولة القطرية ذاتها، ومن بين

<sup>1</sup> - ميساء الجردي وبراء الأحمد: نحو منهجية متكاملة لمؤشرات عربية للتنمية، موقع يومية الثورة السورية 2008/11/19، س: 11 و 15، ص 1.

المعوقات التي اعترضت سبيل الملتقى في تحقيق أهدافه، طبيعة التركيبة الاقتصادية والاجتماعية للدول العربية التي تنقسم إلى دول غنية-خليجية، ودول بالغة الفقر والحرمان، ودول وسط بين البينين، ومن ثم فهناك تباين كبير بين الدول العربية من حيث القدرة الشرائية وبرامج السياسات السكانية، ثم البنية التحتية والتجهيزات الأساسية والتمايز على أساس الخدمات الصحية وغيرها.

وقد قدمت أثناء الملتقى بعض التصورات والأطروحات في شكل بدائل لمؤشرات عربية للتنمية كذاك الذي قدمه الدكتور الطاهر محمد نور الذي ركز على مفهوم الحرمان البشري، والجهود لا تزال متواصلة لتحقيق إجماع أو توافق عام<sup>(1)</sup>، وبعيد عن كل الإشكالات المطروحة سابقا يمكن تقديم أهم مؤشرات التنمية الشاملة بصفة مختصرة وعلى النحو التالي: <sup>(2)</sup>

أ) مؤشرات العوامل الاقتصادية:

- المعدل السنوي لنمو السكان.

- دليل التنمية البشرية ( طول العمر، المعرفة، مستوى المعيشة).

- نصيب الفرد من الناتج المحلي.

- العاطلون عن العمل ومعدل البطالة.

- العمالة حسب النشاط الاقتصادي ( نسبتها في الزراعة والصناعة والخدمات).

- الواردات من السلع والخدمات.

- الصادرات من السلع والخدمات.

- مجموع خدمة الديون.

<sup>1</sup> - ميساء الجردى: المرجع السابق، ص ص(2-5).

<sup>2</sup> - ابراهيم حسين العسل: مرجع سابق، ص ص(39-45).

ب) مؤشرات العوامل الاجتماعية:

- العمر المتوقع عند الولادة.

- معدل الأمية.

- الإنفاق على التعليم.

- معدل وفيات الرضع.

- معدل وفيات الأطفال.

- معدل وفيات النساء.

- معدل الأطباء والمستشفيات.

- الإنفاق العام على الصحة.

- ضحايا الجريمة.

ج) مؤثرات العوامل السياسية والإدارية:

- سكان الحضر.

- السكان الذين يستخدمون مرافق صرف صحي ملائمة.

- نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء.

- خطوط الهاتف الرئيسية، والمشاركون في خدمة الهاتف المحمول.

- موقع الاستقبال على الانترنت.

- العلماء المهندسون العاملون في مجال البحث العلمي.

- الإنفاق العسكري.

- مستوى الحرية السياسية في البلاد.

- مستوى المشاركة الشعبية في التنمية (عدد جمعيات المجتمع المدني...).

خلاصة:

حاولنا من خلال جملة مضامين هذا الفصل أن نبين رحلة التطور المفهومي لمصطلح التمية بدءاً من التمية الاقتصادية وانتهاء -حالياً- عند التمية المستدامة وإبراز جملة الدواعي والمتغيرات التي استدعت في كل مرة تسويق مصطلح جديد بمضامين مضافة لما سبقها.

كما حاولنا تبيان حاجة أوضاعنا في عالمنا العربي إلى تبني مفهوم التمية الشاملة فهو أكثر التصاقاً ببيئتنا لدواعي ثقافية وحضارية ومن ثم فهو الأنسب للتعبير عن أهدافنا التنموية وطموحاتنا القومية والإنسانية. ثم ذكرنا بجملة أهدافها وأبعادها والتي تسعى بالخصوص إلى تحرير الطاقات البشرية وتفعيل المشاركة الشعبية، والاستغلال الأمثل لثرواتنا وتوظيف ثمارها في النهوض بجميع القطاعات والمجالات من أجل تحقيق عزة الأفراد وسيادة التراب.

بعد هذا وقفنا عند جملة الركائز التي يجب أن تستند عليها التمية الشاملة والتي من بينها الاستقلال الاقتصادي، والتمفصل الاقتصادي وتحقيقاً لهذا تحتاج التمية الشاملة إلى العنصر البشري المتمسك بعلوم العصر ومعارفه والمتحلي بقدر رفيع من الوعي وروح المسؤولية، يحضى باهتمام وتوجيه في ظل سياسات حكيمة ورشيده تشد عزة البلاد وتحفظ سيادتها، ومن هنا جاءت الإشارة إلى أهمية الفعل التشاركي في العملية التنموية فمتلماً يحتاج الفرد إلى دعم الدولة واهتمامها به تحتاج هذه الأخيرة، لتفهمه وتعاونها الإيجابي مع سياساتها وخططها في القول والفعل.



## الفصل الثالث

واقع التنمية في الدول العربية، بين

التحديات والآفاق

## الفصل الثالث: واقع التنمية في الدول العربية، بين التحديات والآفاق

-تمهيد.

أولاً: الواقع التنموي العربي.

ثانياً: تحديات ومعوقات التنمية في الوطن العربي.

رابعاً: مقومات التنمية العربية وآفاقها.

خامساً: التجارب التنموية في العالم الغربي والاسلامي.

خلاصة.

## تمهيد:

بعد تلك اليقظة -النهضة الأولى- التي حدثت فيما يمكن تسميته بالوطن العربي في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين نتيجة الصدمة الثقافية والعلمية التي أحدثتها حملة نابليون على مصر وبلاد الشام، وبعد تلك الاخفاقات التي منيت بها جملة المشاريع التنموية في الدول العربية المختلفة في الاتجاه والشدة.

يتطلع العرب اليوم إلى نهضة ثانية، تنتشلهم من الهوة السحيقة التي تردوا فيها وتبوءهم مكانة لائقة بين الأمم، تطلع إلى نهضة ثانية تأتي في ظل متغيرات دولية كبيرة لعل أبرزها تلك التحولات السياسية الكبرى في طبيعة وتركيب النظام الدولي أو النظام العالمي، تحولات اختلطت معها الأوراق وتغيرت المعادلات ، تحولات انسحبت واثرت على كل النظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

في ظل هذه الأجواء التي تهيمن عليها عولمة متغترسة يحاول العرب أن يشقوا لهم طريقا نحو الغد الأفضل، طريقا لن يهتدوا إليه إلا بعد مدارس واعية وموضوعية لواقعهم الحالي فيعرفوا نقاط الضعف والخلل فيه ويحاولوا الكشف عما يمتلكونه من نقاط قوة ومقومات تصلح أن تكون أسسا متينة لبنائهم الجديد.

هذا ما سنحاول معرفته والوقوف عنده من خلال جملة العناوين المؤسسة لهذا الفصل.

أولاً: الواقع التنموي العربي

إن توصيف الواقع التنموي العربي الراهن يضعنا في موضع الطبيب الحكيم الذي يقبل على تشخيص أدواء مرضاه بكل صدق وأمانة، وهو يدرك الفروق الجوهرية بين جسم الصغيرين (الطفل والشيخ) وبين جسم الكبير وما يحتاجه جسم كل واحد منهم من وسائل للتشخيص الدقيق وما يتناسب معه من أدوية ناجعة، وإلى جانب كل هذا فهو لا يغالط نفسه ولا يغالط مرضاه بشأن خطورة المرض أو بساطته، لأن ذلك ينبني عليه جدية تعاطي المريض مع ما يوصف له من دواء.

ونحن في توصيفنا للواقع التنموي العربي، علينا أن ننطلق من النظرة السالفة فنملك الشجاعة الكافية لنذكر أنفسنا من نحن؟ وفي أي عالم نعيش؟

فنحن جنس عربي كان يستوطن الصحراء العربية الكبرى، في شكل قبائل متناثرة ومنتازعة، ترضى بالكفاف من العيش وترتضى الائتمار بالآخر -غير العربي- وتستعديه على أخيها العربي كما كان شأن ( الغساسنة والمناذرة) في ائتمارهم (بالروم والفرس).

وأما من حيث العالم الذي نعيش فيه فنحن ننتمي لشعوب جنوب الكرة الأرضية وبالتحديد فنحن ننتمي إلى مجموعة دول تنعت بدول العالم الثالث<sup>(\*)</sup>، ويحلو للبعض بتسمية جزء منها بالدول النامية، وهذه التسمية قد تضللنا ولا تعيننا على قراءة واقعنا قراءة معمقة، ذلك لأن مفردات اللغة غير بريئة كما ذكر أندري لووات حيث قال بأن "الكلمات ليست محايدة، عندما تكون الحقيقة قاسية وتوشك ان تصدم نغير الكلمات خطأ للتمكن من تغيير الحقيقة، فنتكلم

\* - هذه التسمية التي أطلقها الاقتصادي الفرنسي ألفريد صوفي لا تعبر عن حالنا بدقة، لأن صاحبها قصد بها مجموع الدول غير المنحازة لا إلى المعسكر الاشتراكي الشيوعي ولا إلى المعسكر الليبرالي الرأسمالي، فلم يعد هنا وجود فعلي للمعسكر الشرقي، بل حتى المصدر الذي استوحى منه صوفي التسمية وهو الفئة الثالثة المحرومة في المجتمع الفرنسي ما قبل الثورة 1789 لا نصدق علينا من كل الأوجه.

عن "موظف منزل" وبالأحرى "خادم" وعن "بصير" وبالأحرى "أعمى" وعن "وكيل البيئة" وبالأحرى "مراقب" وفي "الحارة الصعبة" وبالأحرى "الضاحية المهملة" وعن "دول في طريق النمو" وبالأحرى "دول متخلفة"<sup>(1)</sup>.

والظاهر أن ماضيها قد انسحب بنقله على حاضرنا، فكما كنا بالأمس قبائل متناثرة ومتعادية فنحن اليوم كذلك أوطان مجزأة متنافرة في أغلب الأحيان، وكما كنا بالأمس نرضى بالكفاف من العيش، فنحن اليوم لا نبذل من الجهود ما يجعل حاضرنا أفضل من أمسنا ويؤهلنا للغد الأفضل.

وإذا ما شئنا التدليل على صدق ما ذهبنا إليه يكفي أن نقتبس بعض الشهادات من هيئات علمية أكاديمية غير متهمة أو من رجال باحثين موصوفين بالأمانة والحس الصادق، فهذه الأكاديمية العربية للعلوم في رائعتها الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، وفي معرض حديثها عن أزمة التنمية العربية بعد أن شرحت الوضع وفصلت فيه تفصيلا لخصت هذا الوضع بالقول و" إجمالاً فإن كافة أوجه التنمية العربية ببياناتها وأرقامها، إن في ما يتعلق بكفالة الأمن الاقتصادي، أو الخصائص السكانية، أو العدالة الاجتماعية، أو الحقوق السياسية والمدنية، أو الإطار الثقافي، تشير إلى أن الأقطار العربية، حتى التي أحرزت مكتسبات قطاعية عرفتها بلدان نامية أخرى، هي من أكثر المجموعات عجزاً في العالم، عن تحقيق التنمية، ما دامت المحصلة: (83%) من حاجتها الغذائية مستوردة، 70 مليون عربي أمي، 90 مليوناً يعيشون تحت خط الفقر، (52%) من السكان يعانون شحاً خطيراً من المياه، أكثر من 10 ملايين لا يحصلون على طعام يكفي، المرتبة الأخيرة على مستوى العالم من حيث الحريات المدنية

<sup>1</sup> - André Louat : **Le sous-développement, stratégies et résultats**, Ellipses Editions, Paris 1999, P3.

والحقوق السياسية واستقلال الإعلام، المرتبة قبل الأخيرة من تمكين المرأة، أدنى مستوى في الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تزايد عجز التعبير باللغة القومية وتلوث بيئي متصاعد<sup>(1)</sup>.

وبغية تشريح أعمق لهذا الوضع التنموي العربي الموصوف بالمتري، سنتجاوز قليلا القواعد المنهجية بخصوص حدود الاقتباس، فننقل عن الأستاذ محمد جواد رضا توصيفا صارخا عن الوضع التنموي العربي، حيث أكد أننا " خلال نصف القرن الماضي لم ننجز إنجازا حضاريا واحدا نابعا من تفكيرنا بأنفسنا ومصالحتنا، لم نبين شبكة من طرق المواصلات على الأرض العربية تيسر نقل منتجاتنا الزراعية والحيوانية بين الأقطار العربية الممتدة على قارتين عظيمتين، لم نبين أسطولا تجاريا يتحرك بين المدائن العربية عاملا على تحقيق الوحدة الاقتصادية بين الأقطار العربية ويسهل التبادل التجاري بينها ويوفر فرص العمل للألاف من الرجال والنساء، لم نبين مؤسسة صناعية تصنع منتجاتنا الزراعية والحيوانية وتفتح لاقتصادنا الاسواق العالمية، لم نؤسس نظاما يؤدي الى خلق التناظر الفكري والكفاءة الانتاجية بين الاجيال العربية، لم نقم مؤسسة طبية متكاملة بين أقطار الامة العربية ترتفع بالمستوى الصحي للأمة الذي هو أساس السعادة العامة والانتاجية العالية، لم نؤسس نظاما مصرفيا موحدا يقرب بين أنواع النقد العربية وييسر سيولة المال العربي بين الاسواق العربية ويسهم في نمائها الاقتصادي والاجتماعي. لم نبتدع نظاما قانونيا يحمي حقوق المستثمرين ويشجعهم على توظيف رساميلهم في عمران الوطن العربي، لم نفعل شيئا من هذا، وقد ضاعت كل الفرص لفعله الآن"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - الأكاديمية العربية للعلوم: الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث، ط1، مكتب اليونسكو الاقليمي، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007، ص ص (78- 79).

<sup>2</sup> - أسامة عبد الرحمن: تنمية التخلف وإدارة التنمية إدارة التنمية في الوطن العربي والنظام العالمي الجديد، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2003، ص ص (193- 194).

إن الصورة تبدو قائمة مسودة حين نقرأ أن الأقطار العربية من أكثر المجموعات عجزا في العالم، عن تحقيق التنمية، وحين لا نسمع سوى مفردات لم ننجر، لم نبين، لم نؤسس، لم نبتدع، لم نفعل شيئا!! فماذا عسانا أن نقول؟.

إن من المتعارف عليه في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، أن القضايا والظواهر المعالجة تكون محل خلاف وتباين لوجهات النظر بين مختلف الدارسين والباحثين، ولا ضير فهذه طبيعة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولكن أن تكون ظاهرة معينة محل إجماع واتفاق فهذا خلاف المعهود، وقد يكون هذا إحدى المؤشرات القوية على صدق نتائج الدراسات والأبحاث، إذ لا يمكن ولا يتصور عقلا ولا شرعا أن يجمع الكل على باطل، أو امر غير حقيقي ولا واقع، إذ يستحيل أن يكون رأى العالم وغير العالم المتخصص والعادي، رأيا واحدا، إلا أن يكون الأمر هو عين ما وصفوا.

وإضافة إلى النعوت التي وصف بها الوضع التنموي العربي اليوم، في الاستشهادين السابقين لن نجد - لو قمنا بمسح جميع الأدبيات التنموية المنشودة- سوى ألفاظ من عيار ثقيل مثل، تنمية التخلف والتنمية المفقودة وتلاشي الأمل<sup>(1)</sup>، كما نجد مفردات من نحو التخلف والهوة السحيقة والتشردم<sup>(2)</sup>، وأخيرا وليس آخرا وصف الوضع وما حدث فيه بالفشل الذريع والخطأ التاريخي البالغ<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - أسامة عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ص (204 - 205).

<sup>2</sup> - عادل خليفة: اقتصاديات الدول العربية وتحديات التنمية رؤية جديدة، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ص 149.

<sup>3</sup> - طلال أبو غزالة وآخرون: النظام العربي والعولمة، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 2004، ص147.

وبعد توصيف حال هذا الجسم المريض للدول العربية، يصبح لزاماً علينا أن نتساءل وننظر في جملة العوائق والمسببات التي أدت به إلى هذه الحال غير المرغوبة، وهذا ما سنحاول معالجته في العنوان التالي:

### ثانياً: تحديات ومعوقات التنمية في الوطن العربي

توصف الظواهر الاجتماعية بكونها معقدة، ووجه التعقد فيها ناشئ من تفاعل عدة عوامل في إنتاجها وظهورها، وظاهرة التنمية في الدول العربية خير دليل وأصدق مثال يمكن أن نقدمه لتبيان صحة ما سبق ذكره بخصوص الظاهرة الاجتماعية، فقد تجمعت عدة عوامل وتفاعلت فيما بينها لتشكل في النهاية مجموعة كوابح قوية أوقفت قطار التنمية العربية منذ أكثر من خمسة قرون ومن وقتها إلى يومنا هذا فهو لا يبرح مكانه ولا يريم.

وتتوزع هذه العوامل المعيقة للفعل التنموي في الدول العربية بين عوامل اقتصادية وأخرى اجتماعية وثالثة سياسية وثقافية وغيرها، وبعض تحدياتها داخلي والبعض الآخر خارجي.

فمن جملة العوائق الداخلية نذكر الاستناد إلى نماذج تنموية مستوردة، غياب الديمقراطية وتدني مستوى المشاركة، مشكلة الأمية، عدم فعالية النظم التعليمية، هجرة الكفاءات العلمية، مشكلة التسلح، التجزئة بين الأقطار وصراع الأدوار، تصدع قيم العمل والإنتاج... وغيرها، وأما عن جملة التحديات الخارجية فنكتفي بذكر العولمة والهيمنة فهي تغنيها بذاتها عن كثير من تفرعاتها، وما من تحد خارجي إلا وهو مستظل بردائها.



وطلبا للتعلم أكثر في فهم الظاهرة نحاول فيما يلي الوقوف دون إطالة عند أخطر هذه العوائق حسبما نعتقد لتبيان آثارها الكارثية على العملية التنموية.

أ- الاستناد إلى نماذج مستوردة(\*):

استعملنا في عنوان الدراسة لفظة الدول العربية بدل الوطن العربي للإشارة إلى حالة الانقسام الحاصلة بين مفردات هذا الوطن، فتواصل الجغرافيا لم يستطع أن يقاوم مقصات السياسة ورياح الاقتصاد، والكثير من الدارسين حين يحدثوننا عن العالم العربي يجعلوننا نعتقد "أننا نتحدث عن عالم يتبع منهجا واحدا متماثل، لأنه عربي وإسلامي، ولكن الواقع يؤكد أننا في عالمنا العربي قد جربنا كل المناهج المستقاة من العالم، غربا وشرقا، ولم نفلح حتى الآن في أن نحسم قضية المنهج أو الهوية، رغم ما في تراثنا من مبادئ ومفاهيم لو اتبعناها لما تاه منا الطريق وما وصلنا إلى هذا المنعطف الخطير في تاريخ الأمة<sup>(1)</sup>.

إن هذه الحال المتمثلة في جرى الدول العربية وراء مناهج الغرب، هي حال نفسية بامتياز، وقد شرحها لنا من خبر البيئة العربية دراية ودراسة وتجربة، ونعني به العلامة عبد الرحمن بن خلدون حين حدثنا عن عقدة تقليد المغلوب للغالب، هذه الحال التي تجعل المغلوب فردا كان أو أمة يستشعر الانهزام الداخلي في مقابل ما يرسمه للغالب من الهالة والإكبار والتعظيم، فإذا استشعرت النفس هذا الانهزام أو " غالطت بذلك واتصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء"<sup>(2)</sup>.

\* - سنعود إلى هذا الموضوع في فصل النتائج.

<sup>1</sup> - أحمد يوسف أحمد وآخرون: متطلبات الإصلاح في العالم العربي، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 2006، ص 44.

<sup>2</sup> - ابن خلدون: مرجع سابق، ص 147.

إن هذا الاقتداء أو التبعية -بالمصطلح الحديث- تبعية الدول العربية لتجربة الإنسان الأوروبي الرائد للحضارة الحديثة قد تم التعبير عنه بأشكال وصور متعددة سياسية واقتصادية وثقافية... الخ.

وبالنظر لكون تجربة الانسان الأوروبي في بناء نهضته كانت مزدوجة المنحى - يمينية ويسارية-، وبالنظر لجملة عوامل داخلية لدى مجموع الدول العربية، كان في مقدمتها الخضوع المباشر للاستعمار أو عدم الخضوع، فإن تعامل الدول العربية مع المناهج المستوردة كان هو الآخر مزدوج المنحى أي رأسمالي في جهة واشتراكي في جهة أخرى وسواء كان التبني لهذا النهج أو ذلك " فإن هذه الاختلافات لم تكن دائما إلا اختلافا حول اختيار الشكل العام للمنهج من بين الأشكال المتعددة التي اتخذها المنهج في تجربة الانسان الأوروبي الحديث، فاختيار المنهج الذي سلكته التجربة الرائدة للإنسان الأوروبي الحديث كان موضع وفاق..."<sup>(1)</sup>.

وبعيدا عن المبررات التي يتذرع بها هذا الفريق أو ذلك في اختياره لهذا الشكل في المنهج أو ذلك ومدى موضوعية وعلمية تلك المبررات فإن الغريب في الأمر أن " يعتمد كل من الاتجاهين في تفسيره لما يبنى به من فشل في مجال التطبيق على الظروف المصطنعة التي يخلقها المستعمرون في المنطقة لكي يعرفوا فيها عمليات النمو، ولا يسمح لنفسه على اساس ذلك أن يفكر حين الاحساس بالفشل في أي منهج بديل للشكلين التقليديين اللذين اتخذتهما التجربة الأوروبية الحديثة في الغرب والشرق بالرغم من وجود بديل جاهز لا يزال يعيش نظريا

<sup>1</sup>- محمد باقر الصدر: اقتصادنا، ط2، المجمع العلمي للشهيد الصدر، دمشق، سورية، 1408هـ، ص10.

وعقائديا في حياة الأمة وإن كان منعزلا عن مجال التطبيق وهو المنهج الإسلامي والنظام الاقتصادي في الإسلام<sup>(1)</sup>.

#### ب- غياب الديمقراطية:

عظفا على ما سبق ذكره في العنوان السابق من تبني الدول العربية للمناهج الغربية، فإن القسم الذي تبنى النهج الرأسمالي عن قناعة راسخة أو إعجاب أسر، لم تكن لديه نفس القناعة في أن الديمقراطية هي البيئة الخصبة التي يعمل فيها النظام الرأسمالي، فكان الناتج نظاما اقتصاديا رأسماليا محكوما وموجها بسياسة دكتاتورية فجاءت النتائج خلاف المتوقع اخفاقا كبيرا وتأزما في الأوضاع مؤذنا بالخراب.

وفي المقابل فإن القسم من الدول العربية- الذي تبنى النهج الاشتراكي، رغم الطموح الذي كان لديه في تحقيق العدالة الاجتماعية ومناهضة الظلم الذي يرمز للحقبة الاستعمارية إلا أن القيادات المتزعمة آنذاك كان لديها قصور في الفهم وعدم وضوح في الرؤية فـ" زعمت تلك النظم أنه يمكن تحقيق الاشتراكية دون مشاركة شعبية، أي اشتراكية سلطوية تأتي من رأس الهرم السياسي، أي أن تلك النظم حاولت فعليا إعدام المجتمع المدني المستقل حيث لا صوت يعلو على صوت النظام"<sup>(2)</sup>.

ولعله من المضحك أن تعدم الديمقراطية بوصفها صورة من صور النظام الرأسمالي، وتبعاً لذلك شهدت تلك الدول " نمو متعاضدا للأجهزة الأمنية القمعية تحت مظلة ملاحقة ذيول الاستعمار والاقطاع، وتحت وطأة هذه المظلة جرى طمس حقوق الإنسان، وقمع حرية التعبير، ورفض مبدا المشاركة المجتمعية أو الديمقراطية بدعوى أن المرحلة تقتضي مواجهة تحديات

<sup>1</sup> - محمد باقر الصدر: المرجع السابق، ص12.

<sup>2</sup> - طلال أبو غزالة وآخرون: مرجع سابق، ص 147.

الاستعمار وذيوله، وكذلك الاقطاع وتعبئة كل الطاقات والموارد، وحتى الآراء في سبيل تحقيق ذلك<sup>(1)</sup>.

كل هذا حدث ويحدث في ظل غياب قنوات حزبية تعكس مصالح قوى اجتماعية مؤثرة، وعدم ملاءمة الأطر الدستورية لدعم عملية التحول الديمقراطي واستمرار العمل في العديد من هذه الأقطار بقانون الطوارئ، ولعل الأخطر من هذا كله فقدان تلك النظم للإحساس بالروح الوطنية، وبدل أن نجد في تحقيق الأهداف الثورية التي قامت من أجلها وتحكم باسمها، وتعمل جاهدة على تلبية مطالب الجماهير وفي مقدمتها حقها في الحرية والعيش بكرامة، بدلا من هذا عملت تلك النظم على تحصين نفسها بترسانة من القوانين تضمن أمنها واستمرارها في الحكم، ومن هنا كان "اعتماد عدد منها على استيراد أمنها من الخارج، لتكون المحصلة إنتاج وإعادة إنتاج التبعية، كشرط لحماية السلطة، وبديل عن شرعيتها الداخلية المفقودة"<sup>(2)</sup>، وتحت هذه الذريعة أو تلك غيبت الديمقراطية في مجموع الدول العربية<sup>(\*)</sup>.

إن التأكيد على أهمية الديمقراطية في تحقيق العملية الانمائية ليس فريضة أو حتمية لا مناص منها، وإنما هو من باب توفير البيئة الأنسب، فالديموقراطية للتنمية بمثابة التربة الخصبة المساعدة على انتاش البذرة، وإنما يأتي التأكيد الذي يرتقي لمستوى الحتمية تتاغما مع روح العصر، حيث يتقدم مطلب الحريات على جميع مطالب الإنسان وآماله وتطلعاته، ومن هنا جاءت تأكيدات الدكتور يوسف صايغ في كتابه "التنمية العسية" وأهمية الحرية والديموقراطية في العمل التنموي حيث قال: "يمكن لنا أن نحاج بقوة أن الحرية وحقوق الإنسان والديموقراطية

<sup>1</sup>- أسامة عبد الرحمن: مرجع سابق، ص48.

<sup>2</sup>- الأكاديمية العربية للعلوم، مرجع سابق، ص77.  
\* - أنظر ملحق رقم: (06) FREEDOM HOUSE.

معا ضرورة حيوية ليس فقط لتجدد أو لانبعاث المجتمع ونهضته وإنما كذلك لكي يكون للسعي الإنمائي حظ كبير بالنجاح<sup>(1)</sup>.

وإنه لمن المؤسف عندما تقدم الهيئات الدولية المتخصصة دراساتها حول الأوضاع الاقتصادية والتنموية لمختلف دول العالم، أن نجد عالما العربي والإسلامي بكامله مصنفا ضمن الدول المتخلفة، وأسوأ من هذا عندما تقدم الدراسات حول مستوى الحريات التي يتمتع بها شعوب العالم، أن يصنف عالما ضمن جغرافية الدول التي يكون هامش الحريات فيها ضعيفا أو منعدما والتقارير الصادرة عن هيئة FREEDOM HOUSE<sup>(\*)</sup> توضح وتؤكد حقيقة ما ذهبنا إليه.

### ج- التجزئة بين الأقطار وصراع الأدوار:

إن واقع التجزئة بين الأقطار العربية بوصفه واحد من التحديات المعيقة للعملية التنموية كان في البدء عاملا خارجيا خطت له قوى الاستكبار العالمي، وبتعبير آخر فإن حال التمزق والتشتت التي يعيشها عالما العربي الإسلامي هي بعض ما ورثناه عن تلك الحقبة الاستدمارية حيث أن المستعمرين راعوا خلال مرحلة الاستعمار وقبل الجلاء أن يجعلوا في كل قطر جيوب مشاكل سياسية تستنفذ طاقة القطر من ناحية، ومن ناحية أخرى تؤثر على سير الإسلام سياسيا: مشاكل حدود، مشاكل جوار، مناطق وضعها الطبيعي أن تكون لأقطار وضعت بيد أقطار أخرى، أقلية يوضع بيدها الحكم... تقوية الاتجاهات الممزقة لوحدة المسلمين<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - أسامة قاضي: إشكالية الديمقراطية والتنمية الاقتصادية في العالم الإسلامي، مجلة دراسات استراتيجية، العدد الثالث، شهر فيفري مركز البصيرة للبحوث، الجزائر، 2007، ص14.

\* - فريدوم هاوس: منظمة غير حكومية مستقلة تأسست في 1941، مقرها واشنطن ولديها تمثيلات في مختلف دول العالم وهي تساعد على تنمية الحريات وتدرس توسع وانتشار الديمقراطية في العالم، أنظر الملحق رقم 06.

<sup>2</sup> - سعيد حوى: جند الله ثقافة وأخلاق، دراسات منهجية هادفة في البناء، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979، ص13.

وإمعانا في هذا التمييز وضمانا بالألا تلتئم الجراح ولا ترأب الصدوع بين أقطار عالمانا، سعت تلك الدول الاستعمارية لـ " ايجاد الأنظمة المختلفة المتجاورة، نظام رأسمالي بجانبه نظام اشتراكي، نظام ملكي بجانبه نظام جمهوري بجانبه نظام ديكتاتوري، وأقاموا أنفسهم أو جعلونا في وضع يكونون فيه حراسا وحكاما ووسطاء وأوصياء..."(1).

وبعيدا عن قصد تلك الدول الاستعمارية وسعيها الحثيث لتفتيت عالمانا فإن مجرد " عملية استعمار العالم الاسلامي من جهات متعددة كافية لإيجاد عوازل ما بين أقطاره لأن كل قطر صبغته الدولة المستعمرة على طريقتها الخاصة وأوجدت فيه ما تريده، فيكفي أن تستعمر قطرا بريطانيا، وقطرا فرنسا، حتى يوجد بين القطرين من العوازل الشيء الكثير، طريقة التفكير، الجهاز الإداري، سلاح الجيشين، تكوين الجيشين، أجهزة الارتباط الخفية، كل شيء يختلف في أحد القطرين عنه في القطر الآخر"(2).

وإذا كان هذا يدخل ضمن التآمر العالمي الرهيب على عالمانا العربي والإسلامي، فإننا نستطيع أن نفهمه وإن كنا لا نرتضيه أو نتقبله، ولكن ما لا يقبل بحال من الأحوال هو أن يستمر هذا الوضع في التمييز والتشتيت حتى بعد اندخار تلك القوى الغاصبة وجلاتها عن أوطاننا، بل وأكثر من ذلك أن تستمر تلك الحال من التجزئة على أيدي حكومات الاستقلال والتي يفترض أنها جاءت لتصحح الأوضاع التي أقامها المستعمر، وتعيد بناء ما دمر، وتعمير ما خرب، لكن الذي حدث كان خلاف المتوقع، حيث تلاشى وهج الشعارات التي رفعت باسم الوطنية حيننا وباسم القومية حيننا آخر، فاطمأن بذلك المستعمر على سلامة البذرة التي غرسها في أرضنا، وأيقن بأن هناك نكوصا لدى حكومات الاستقلال عن التوجه الصادق نحو تحقيق الوحدة العربية

1- 2 - سعيد حوى: المرجع السابق، ص14.

ولو من خلال التكامل الاقتصادي، فلقد غدت " الخلافات العربية- العربية، والانكفاء القطري، والانقسام والتجزئة، توجهات متجذرة في العديد من الأقطار العربية، بحيث بدت حتى النيات وإن صدقت من قبيل الوهم"<sup>(1)</sup>.

وليت هذه الحال من التمزق والتشتت كانت بدافع صادق على القطرية والسيادة الوطنية ولو في مفهومها الضيق، فالأمر خلاف لذلك، والحقيقة الجوهرية هي "أن مرض حب الزعامة عند العديد من القادة العرب كان دائماً وراء الكثير من المآسي التي عرفها العالم العربي في العصر الحديث، وخير دليل على ما نقول تلك المنازعات الحدودية التي قامت هنا وهناك بين الدول العربية قبل وبعد الحرب العالمية الثانية ولا زالت مأساتها مستمرة وقائمة إلى اليوم في الوطن العربي"<sup>(2)</sup>، ويكفي هنا أن نشير إلى الحرب التي قامت بين العراق وإيران، والعراق والكويت، للتدليل على النتائج الكارثية التي تسببها النزاعات الحدودية مذكاة بالروح النرجسية لدى جل الزعامات العربية.

إن الزعماء العرب يتحملون وزر الانقسامات الحاصلة بين الدول العربية اليوم، ولكن ثمة من يشاركهم ثقل هذا الوزر ذلك أن العقبات التي حالت دون تحقيق التكامل العربي الاقتصادي " كانت في الأساس سياسية شاركت فيها النخب العربية الحاكمة التي دعمها متفقو السلطة، وهؤلاء هم الآن دعاة المشروع الشرق أوسطي الصهيوني- الأمريكي بلا منازع"<sup>(3)</sup>.

هذه بعض أهم العوامل المعيقة للعملية التنموية في الدول العربية، وكل عائق منها تتجر عنه عوائق أخرى، فمثلاً عائق التجزئة بين الأقطار وصراع الأدوار ينجر عنه عائق كثرة

<sup>1</sup>- أسامة عبد الرحمن: مرجع سابق، ص 187.

<sup>2</sup>- عبد الحميد دغبار: تسوية المنازعات الإقليمية العربية بالطرق السلمية، د ط، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 59.

<sup>3</sup>- أسامة عبد الرحمن: مرجع سابق، ص 188.

الإنفاق على التسلح، وتجاوز الحد في الانفاق على التسلح فيه هدر لموارد الأمة، وإبقاء على شبح الحرب قائماً بين الدول الشقيقة.

وعائق غياب الديمقراطية، تتجم عنه عوائق أخرى كعدم الاستقرار في البلاد وهجرة الأدمغة والكفاءات، وكل وضع يفتقر للعقول المفكرة وبيئته السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الدوام متوترة، مؤهل ليطول ليله ويتأخر نهاره.

أما عائق الاستناد إلى نماذج مستوردة، فينجم عنه إخماد جذوة الابداع عند رجال الأمة، حيث توضع الحواجز السياسية والايديولوجية في وجه الأفكار الوطنية الأصيلة<sup>(\*)</sup>، ومحاصرة الأفكار هي إعدام لأشخاصها، وهكذا يستشعر أبناء الأمة الاغتراب في أوطانهم، وفي مقابل هذا فإن الأفكار والنماذج المستوردة، المفسوح لها المجال، ستؤدي دورها المنوط بها في تشوية ثقافة الأمة وتحويلها عن نهجها القويم، لتكون المحصلة تخريب أوطان ونتاج أجيال تعيش بازدواجية الشخصية، إن لم يكن الأسوأ، فصام نكد وقطيعة مبرمة وانسلاخ كلي عن الهوية الثقافية الحضارية.

### ثالثاً: السياسات التنموية العربية والاستراتيجيات

سعت الدول العربية غداة الاستقلال بشكل انفرادي في معظمه، ووحدي في مناطق محدودة، نحو تحقيق المشروع النهضوي في شكل تجربة انمائية شاملة والقضاء على الآثار الكارثية التي ورثناها عن الحقبة الاستعمارية في جميع المجالات.

ولكن ما يؤخذ على تلك المبادرات التنموية التي سعت لتحقيقها تلك الأنظمة السياسية الناشئة، أنها انتهجت نهجا خاطئاً منذ الوهلة الأولى، حيث سلكت سبيل الانقلابات السياسية

\* - هذا بعض ما حصل للمفكر مالك بن نبي حيث حوصرت أفكاره ومشروعه الثقافي وعاش نوعاً من الاغتراب، ولم ترجع له مكانته إلا في أواخر الثمانينات



والعسكرية وهي بعد في بداية الطريق وحديثة العهد بالاستقلال كما " زعمت أنها تستطيع تحقيق الثورة بغير ديمقراطية وكان ذلك خطأ تاريخيا بالغا"<sup>(1)</sup>.

وهذا الزعم الخاطئ جرها إلى زعم آخر ليس أقل سوء من الأول، فادعت أنه: " يمكن تحقيق الاشتراكية دون مشاركة شعبية، أي اشتراكية سلطوية تأتي من رأس الهرم السياسي، أي أن تلك النظم حاولت فعليا إعدام المجتمع المدني المستقل، حيث لا صوت يعلو على صوت النظام"<sup>(2)</sup>.

إن هذا النهج الاستثنائي بالقرار السياسي في إدارة الحكم وإقصاء الجماهير عن كل أشكال المشاركة، كانت له تبعات ثقيلة على المستوى الاجرائي في رسم المنظومة الاقتصادية، ويمكن تلمس ذلك في جملة النقاط التالية:

#### أ-الاعتماد على النفط وإهدار إيراداته:

لقد بنت أنظمة الاستقلال تصورها للمشروع النهضوي على الاعتماد الكلي والمفرط على الإيرادات النفطية وغيبت من حسابها كل المصادر غير النفطية، وهذا بحد ذاته خطأ استراتيجي فادح، وكان الأمر من الممكن تبريره لو أن هذه الأنظمة أحسنت التصرف في هذه الإيرادات النفطية الهائلة، إلا أن الأمور جرت عكس ما هو متوقع، فأهدرت المبالغ الضخمة التي كان من شأنها أن تدفع المشروع التنموي خطوات طويلة على طريق النمو لتحقيق التقدم، والأمثلة هنا تكثر ويطول سردها ولكننا مكتفين بمثال واحد يغنيننا عن الكثير، فهذه المملكة السعودية أكبر الدول النفطية تخصص للخطة التنموية الثالثة (1980-1985) 783 مليار ريال سعودي أي ما يعادل 230 مليار دولار أمريكي إضافة إلى 36 مليار دولار للخطة الأولى

<sup>1-2</sup> - طلال أبو غزالة وآخرون: مرجع سابق، ص147.

و32 مليار دولار للخطة الثانية، ورغم جسامه رأس المال المستثمر إلا أن الفوائد المرجوة منه كانت جد ضئيلة ولم يستفد من ريعها إلا شرائح صغيرة من السكان<sup>(1)</sup>، إن المملكة العربية السعودية في هدرها لهذه الإيرادات النفطية وسوء توظيفها في تحقيق التنمية الشاملة ليست استثناء، فما يقال عنها يمكن سحبه على باقي الدول النفطية.

وجه آخر من وجوه إهدار الإيرادات النفطية، تخصيص مبالغ مذهلة وانفاقها على عملية التسلح، وحسب ما تقوله مصادر البنك الدولي فإن ما ينفق في كثير من الدول العربية على التسلح يعادل ضعف ما تنفقه على التعليم والصحة معا<sup>(2)</sup>.

ولعله من العجيب أن تثير صفقة بيع معدات عسكرية تزيد قيمتها عن 60 مليار دولار، تثير جدلا في الأوساط السياسية الأمريكية، بينما تحضى بالرضى في الشارع السعودي، علما بأن هذه الصفقة تفيد الاقتصاد الأمريكي وتضخ فيه 3.5 مليار دولار سنويا حسب المتحدث باسم البيت الأبيض<sup>(3)</sup>.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا بأن أسوأ أوجه الإهدار للإيرادات النفطية تلك المبالغ الضخمة التي تتجاوز مئات المليارات التي تحصل عليها البلدان العربية المنتجة والمصدرة للنفط ثم تقوم بتوظيف قسم مهم من تلك الإيرادات النفطية خارج الوطن العربي" بما يخرجها من معادلة تحقيق التطور الاقتصادي، وتوظيف العمالة في داخل الدولة العربية المصدرة للنفط، أو في أي دولة في المنطقة العربية، وتتفاوت التقديرات بشأن الأموال العربية العامة والخاصة

<sup>1</sup> - جميل جريسات: إدارة التنمية العربية في ظل السياسة اللامنهجية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، 1998، ص65.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص87.

الخميس 29 ديسمبر 2011، س:17 و01 Bbcarabic.net -<sup>3</sup>

المستثمرة في الخارج وإن كانت التقديرات الوسطية المعتدلة تشير إلى أنها بلغت نحو 1400 مليار دولار في بداية العقد الحالي (بداية الألفية الثالثة)، وهو رقم مذهل بالفعل<sup>(1)</sup>.

إن كثرة الهموم تنسي بعضها البعض، فإذا كان من الممكن تناسي هذا الإهدار بتوظيف الرأسمال الوطني في الخارج وأحسن التصرف في عائداته، و" افتراضنا أن الدول العربية حصلت، لمدة خمس سنوات متتالية، على استثمارات مباشرة بقيمة الفائدة أو العائد فقط في هذه الأموال المستثمرة في الخارج، فإن مثل هذه الاستثمارات التي ستتراوح بين 350 و 400 مليار دولار، يمكن أن تحدث تحولاً هائلاً في اقتصادات المنطقة العربية بأسرها، وفي مستوى تشغيل قوة العمل، وفي مكافحة الفقر في البلدان العربية"<sup>(2)</sup>، فلا نحن وظفنا بداية هذه الراسمىل في أوطاننا ولا نحن وظفنا عائداتها المذهلة في استثمارات مباشرة، بل تركنا الراسمىل وعائداتها في البنوك الغربية ليستفيد منها غيرنا وتحجز ونحرم منها تحت دعاوى كثيرة، نذكر منها دعاوى محاصرة التمويل المالي للجماعات الأصولية، أو تضيق الخناق على هذا النظام أو ذاك ممن لا يرضى الغرب عنهم، أو لتكون عرضة للضياع كما حدث مع أرصدة منسوبة لزعماء عرب بعد أحداث الربيع العربي.

#### ب- اعتماد الخبرة الأجنبية:

سبق أن ذكرنا تحت عنوان تحديات التنمية في الدول العربية، استنادها لنماذج مستوردة فيما تعلق بالمناهج المعتمدة في التنمية، وهنا نذكر وجهاً آخر للاعتماد على الأجنبي اعتماداً يجعلنا مفتقرين إليه على الدوام، وخاضعين لإملاءاته الهادفة لخدمة مصالحه.

<sup>1-2</sup> - أحمد يوسف أحمد وآخرون: مرجع سابق، ص 107.

لقد تبنت أنظمة الدول العربية سياسة الاعتماد الكلي على إيرادات المخزون النفطي، وكان الأمر من الممكن استيساغه لو كنا ننتفع من هذه الإيرادات إلى حد كبير، إلا أن الواقع على عكس ذلك، لأن الدول العربية المالكة لاحتياطيات النفط والغاز كانت ولا تزال تهدر "قسما كبيرا من هذه الثروة كتكلفة للتخلف العلمي والتقني لهذه البلدان، التي تضطر لدفع جزء مهم من احتياطياتها النفطية للشركات الأجنبية، التي تقوم بالتنقيب والاستكشاف والحفر والاستخراج..."<sup>(1)</sup>.

وإذا أخذنا في الحسبان تأسيس الشركات الوطنية وإقدام عدد من الدول العربية على تأميم القطاع النفطي "إلا أن الشركات النفطية الأجنبية ظلت موجودة. فضلا عن أن الكثير من الشركات الوطنية، وبالذات في بلدان الخليج، تعتمد بشكل شبه كامل على الخبرات الأجنبية في إدارة شركاتها وتسييرها"<sup>(2)</sup>.

إن كل مبتدئ في أي مجال من مجالات الحياة يحتاج إلى خبرة من سبقه ومن هو أمهر منه في هذا العلم أو الفن ولا ضير في هذا، ولكن أن تظل هذه الأنظمة العربية معتمدة في هذا المجال الحيوي -الطاقة النفطية- على خبرة الأجنبي بعد مرور أكثر من نصف قرن أمر مشين أخلاقيا، لأنه يطعن في ذواتنا وفي مدى أهليتنا لقيادة أنفسنا، ومضر بل مخرب اقتصاديا لأنه يهدر الكثير من إيراداتنا النفطية، ونحن في أحوج ما نكون لكل مواردنا من أجل النهوض بحاضرنا والتطلع لمستقبل إن لم يضعنا في صف واحد مع من سبقنا في الركب الحضاري، فليس أقل من أن نكون في عدادهم من المشاركين في هذه المدنية الحديثة، لا من المتكففين لما يأكلون أو يلبسون.

<sup>1-2</sup> - أحمد يوسف أحمد وآخرون: المرجع السابق، ص106.

## ج- الاستدانة:

إذا كانت بعض الدول العربية قد نعمت وتتمتع بموارد طبيعية يتصدر النفط قائمتها، فإن البعض الآخر من الدول يشكو الندرة والافتقار لكثير من الموارد الطبيعية، الأمر الذي جعل خياراتها التنموية محدودة وألجأها إلى البحث عن التمويل الأجنبي كالقروض أو المساعدات المباشرة، وسواء كان هذا التمويل الأجنبي قروضا أو مساعدات فإنها تصل للدول الفقيرة وهي تستبطن الكثير وتفصح عن الكثير من الأهداف الغربية، وتعرض السيادة الوطنية للارتهاق للغرب الممول، فهذا الدكتور رمزي زكي المستشار في معهد التخطيط القومي بالقاهرة يبين خطورة مسألة الديون فيقول: " أنه تحت وطأة هذه الديون وعجز الأنظمة السائدة... عن إيجاد مخرج لأزماتها، فإن تلك البلاد قد وضعت تحت نظام أشبه " بالإدارة المركزية الخارجية لاقتصاداتها، فلم يعد لدى صناعات القرار الاقتصادي في هذه البلاد سلطة تذكر في وضع سياسات الموازنة العامة... وسياسات الإنتاج والاستثمار. بل تجبر الان هذه البلاد... بالتخلي عن أهدافها الاقتصادية والاجتماعية وأمانها في التحرر والتنمية والتقدم... تحت دعاوى " التكيف" و"الإصلاح" و"الانفتاح" و"التحديث" و"التحرير"<sup>(1)</sup>، وإذا كانت مجمل الديون العربية في أوائل عقد التسعينات قد زادت عن 150 مليار دولار فإن مقابلة هذا الرقم بالأموال العربية العامة المودعة في البنوك الغربية والتي زادت عن 1400 مليار دولار، هذه المقابلة تجعلنا ندرك عظم المهزلة التي تردى إليها الوضع العربي.

لقد تعمدنا في هذه الدراسة توظيف مصطلح الدول العربية بدل الوطن العربي، للإشارة إلى هذا التشرذم والتمزق في جسم الأمة، لدرجة أن بعض دولها يموت جوعا، والبعض الآخر

<sup>1</sup> - ابراهيم مشورب: قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 1418هـ / 1997م، ص 81.

ترتهن المديونة سيادته، في حين أن البعض الآخر يتكرم بفائض إيراداته على البنوك الغربية لينعم الأجنبي ويشقى الأخ العربي.

فإذا كان لزاما على الدول العربية الفقيرة أن ترهن سيادتها نتيجة لجوئها في الأول للاستدانة وعجزها ثانيا عن تسديد الديون ومستحققاتها من الفوائد، أما كان من الأولى أن ترتهن هذه السيادة العربية لممول عربي من الدول العربية ذات الفوائض الهائلة المودعة في الغرب؟! ويبقى لنا أن نؤكد في ختام الحديث عن موضوع السياسات والاستراتيجيات التنموية، أن مجموع الدول العربية اسقطت من حسابها أو تغافلت عن جملة مبادئ ومقومات لا يستقيم موضوع التنمية إلا بها:

\*فقد أغفلت أن تأخذ في الاعتبار نوع المجتمع الذي تريد تنميته وخصوصيته التاريخية وقيمه الاجتماعية وأهدافه السياسية والاقتصادية واسلوب حياة الانسان ونظرته إلى الحياة<sup>(1)</sup>.

\*أغفلت أن النمو يحدث نتيجة لتفاعل عناصر ومقومات متعددة أهمها النظام السياسي، وثقافة المجتمع، وطرق التفكير وتقاليد الاجتماع، وقدرة القائمين على شؤون الأمة علميا وسياسيا، وثقة المجتمع المحلي، وسمعتهم محليا ودوليا<sup>(2)</sup>.

وإذا أخذنا في الحسبان أن بعض الدول العربية قد راعت جزئيا هذه المبادئ والمقومات في رسم سياساتها ووضع استراتيجياتها التنموية إلا أنه وفي " كثير من الحالات يتم الأخذ بسياسات اقتصادية أو تنموية دون أن ترتبط هذه السياسات برؤية استراتيجية اقتصادية تنموية

<sup>1</sup>-إحسان حفصي: مرجع سابق، ص ص (93، 94).

<sup>2</sup>- المنظمة العربية للتنمية الإدارية: إدارة سياسات التنمية، ط1، منشورات م ع ت د، القاهرة، مصر، 1999، ص315.

محددة، ويؤدي عدم بلورة أو وضوح هذا التوجه الاستراتيجي إلى أن تتعارض هذه السياسات في توجهها وأن تتضارب الآثار التي تستهدفها...<sup>(1)</sup>.

إن السياسات التي انتهجتها أنظمة الاستقلال في الدول العربية، والتي تنتهجها الأنظمة السائدة اليوم هي المسؤولة عن الوجه الشاحب للتنمية في وطننا العربي، وبأيدينا لا بأيدي الغير يمكن أن يشرق هذا الوجه من جديد، إذا ما عقدنا العزم على التغيير، ودفعنا مراكبنا نحو التقدم بمحركات العقل لا بمحركات الهوى... وإلى أن يتحقق هذا تبقى ملامح التنمية في مجموع الدول العربية شاحبة ونتائجها هزيلة والشواهد على ذلك كثيرة ويكفي أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر المكانة التي تحتلها الجامعات العربية في الترتيب العام الدولي، وأكثر من ذلك فنحن لم نفلح حتى في تحسين مراتبنا حتى على مستوى الألعاب الرياضية والعالمية<sup>(\*)</sup>.

#### رابعاً: مقومات التنمية العربية وآفاقها

لا يختلف اثنان حول كثرة وتعدد مقومات التنمية في الدول العربية بصفة خاصة وفي العالم الإسلامي بصفة عامة، ولكن قبل أن نعرض على ذكر هذه المقومات ينبغي الإشارة إلى أن نقطة الانطلاق في أي مشروع نهضوي جديد يجب أن تستند إلى تشخيص للوضع القائم في مجموع دولنا، تشخيصاً دقيقاً وعلمياً، تصحح فيه بعض المفاهيم المغلوطة التي روجت لها بعض الدوائر الغربية لإيهامنا بأن التخلف هو حالة متأصلة فينا، أو أن هذا التخلف مرده إلى معوقات كامنة في مركبات العناصر الثقافية والحضارية لأمتنا، وأنه ينبغي علينا للانتقال إلى حالة التقدم الانسلاخ عن كل تلك العناصر المؤسسة لهويتنا الشخصية.

<sup>1</sup> - المنظمة العربية للتنمية الإدارية: المرجع السابق، ص ص (55- 56).  
\* - أنظر الملحق رقم (04) الخاص بترتيب الجامعات والملحق رقم (05) الخاص بترتيب الدول في الألعاب الأولمبية.

إن التخلف عندنا كما هو عند مجموع دول العالم الثالث ليس -إطلاقاً- حالة ثابتة أو متأصلة فينا، بل هو -على وجه اليقين- محصلة جملة ظروف وأوضاع تاريخية تفاعلت فيما بينها لتنتشئ حالة التخلف هذه، ومن هنا يصبح الاهتمام بالبعد التاريخي لحالة التخلف واجبا علميا لكل دارس موضوعي وهذا ما أكده أندريه جوندر فرانك أحد كبار الاختصاصيين في الفكر التنموي المعاصر حين قال: "إن أية محاولة لإقامة نظرية أو وضع سياسة خاصة بالدول المتخلفة يجب أن تستند على فهم عميق لتاريخها على العملية التاريخية التي جعلت منها دولا متخلفة، وأن أية محاولات نظرية لا تنفذ إلى العمق التاريخي للمجتمعات المتخلفة، لا بد وأن تكون سطحية، ولا تستطیع بالتالي أن تقدم لنا رؤية شاملة لمستقبل هذه المجتمعات"<sup>(1)</sup>.

بعد هذه الإشارة الهامة لتصحيح نقطة الانطلاق في أي مشروع نهضوي جديد، نخرج الآن على ذكر أهم مقومات التنمية في الدول العربية، ويمكننا منهجياً تقسيمها إلى مقومات مادية بشرية، ومقومات فكرية، والثانية هي الموجه والضابط للأولى.

#### أ-المقومات المادية البشرية:

##### 1/مقومات بشرية:

إن مقومات أي تقدم انساني هي الإنسان نفسه<sup>(2)</sup>، والوطن العربي الذي يناهز تعداد سكانه اليوم الأربعمئة مليون نسمة يزخر بطاقات شبابية هائلة إلا أن هذا المورد البشري الهائل ظل ينزف -باتجاه الغرب- منذ عقود كثيرة بتركيبته المنوعة من مهندسين وأطباء واساتذة وفنيين وادباء ومفكرين وحرفيين في مختلف التخصصات فانتفع الغرب بمهاراتهم وخبراتهم

<sup>1</sup>- ابراهيم مشورب: قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث، مرجع سابق، ص147.

<sup>2</sup>-زغلول راغب النجار: قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، ط1، سلسلة كتاب الأمة، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، قطر، 1988، ص131.



وحرّم منها الوطن الأم، بدوافع كثيرة يأتي في مقدمتها العوامل السياسية والاقتصادية ومع هذا تبقى هذه الطاقات المهاجرة والمقيمة في الداخل جاهزة للبدل والعطاء متى تغيرت الأوضاع في الداخل وانطلق قطار الإصلاح الشامل.

## 2/ مقومات مادية:

إن ما يتوفر لدى الدول العربية من مقومات مادية يسمح لأي دولة في العالم بأن تتربع على عرش التقدم شريطة أن تحوز على قيادة سياسية رشيدة وحكيمة وأمينّة وصادقة، فمن مقومات أرضية إلى مقومات بحرية فالمقومات الاقتصادية، حيث تتربع الدول العربية على مساحة تقدر بـ 14.291.469 كلم<sup>2</sup> أي نسبة 10.2% من اليابسة، يبلغ أقصى امتداد لها من الشرق إلى الغرب 6000 كلم ومن الشمال إلى الجنوب 4000 كلم<sup>(1)</sup>، يتوسط هذا الموقع للدول العربية قارات العالم وهو بهذه الميزة فقط يعد موقعا استراتيجيا هاما، فما بالك إذا أضفنا له اطلاله واشرافه على أهم المضائق والممرات المائية، كمضيق هرمز بين عمان وايران، ومضيق باب المندب بين اليمن وجيبوتي وقناة السويس في مصر وجبل طارق بين المغرب واسبانيا.

ورغم أن القسم الأكبر من مساحة الدول العربية تغطيها الصحراء الحارقة إلا أن هناك تجارب أثبتت إمكانية الاستصلاح كما هو حادث في السعودية في استنبات القمح حيث أصبحت تصدر كميات إلى مصر وروسيا وقد توصلت المملكة العربية إلى هذا النجاح بالاعتماد على المياه تحت السطحية والتي تتمتع بمخزون ضخم منها<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - موقع وكبيديا 2012/07/23 س: 6 و 30د.

<sup>2</sup> - زغلول راغب النجار: مرجع سابق، ص 133.

أما المقومات الاقتصادية فيطول الحديث عنها وليست هذه الدراسة مجالها، ولكننا نجمل القول عنها بأنها تتنوع بين مقومات زراعية وحيوانية عديدة تكفي الإشارة هنا إلى ان الخبراء يعدون السودان لوحده سلة الغذاء العربي إذا ما توجهت الاستثمارات إليه في إطار مشروع تنموي عربي وحدوي طموح.

وأما مصادر الطاقة فالدول العربية -إجمالاً ودون تفصيل- تعد بفضلها من أغنى دول العالم وتمتلك أكبر الاحتياطات العالمية من النفط والغاز، تضاف إلى هاتين الطائفتين الطاقة الجديدة طاقة المستقبل ونعني بها الطاقة الشمسية، حيث بدأت الأنظار تتوجه صوب العالم العربي للاستثمار في هذا المجال، ونختم الحديث هنا بإشارة عجلى إلى الثورة المعدنية التي لا يكاد وطننا العربي يخلو من أي منها، فمن الذهب والفضة إلى الحديد والنحاس والألمنيوم، والزنك والرصاص... الخ.

إن كل هذه المقومات المادية، ما ذكرنا منها وما لم نذكر، التي تمتلكها الدول العربية، إذا لم تحصن بمقومات فكرية تضيع منا بسهولة -كما هو حاصل اليوم- فينتفع منها الآخر ولا ننال منها إلا الفتات ومثالنا في هذا مثال الطفل الصغير الذي يحمل بين يديه قطعاً ذهبية فيتعرض له محتال فيشبهه ويغريه ببضع حبات من الحلوى ويأخذ بدلها تلك القطع الثمينة، فحالنا اليوم مع الغرب كحال الطفل مع المحتال.

#### ب- المقومات الفكرية:

سبقت الإشارة في بداية الحديث عن جملة المقومات التي يمتلكها الوطن العربي، إلى أن نقطة الانطلاق في أي مشروع نهضوي جديد يجب أن تستند إلى تشخيص دقيق للوضع القائم،

وذكرنا حينها أن التخلف في دولنا ليس حالة أصلية أو ثابتة وإنما هي وليدة ظروف تاريخية أنشأتها وعملت على تكريسها القوى الاستعمارية العالمية.

ونحب أن نؤكد هنا أن قوام أي فكر تنموي جديد يجب أن ينهض على دعائم قوية وراسخة قوامها الايمان العميق بالذات وأصالتها، والوعي الثاقب بالواقع وكل مكوناته ويمكن تلخيص هذا في جملة النقاط التالية:

\*الإيمان بأن التبعية شر مستطير وشرك مميت يجب أن نتحرر منه.

\*وجوب تغيير المناهج التي اعتمدت في التنمية من منطلق الايمان بأن " التنمية ليست مجرد نمو اقتصادي بحت، بل هي عملية حضارية تطال مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية"<sup>(1)</sup>.

\*ضرورة أن ينهض الفكر التنموي الجديد على مبدأ " الاعتماد على الذات" الذي يمثل حسبما قال الدكتور اسماعيل صبري عبد الله "...النقيض الكامل لموقف التبعية الفكرية- الذي يتمثل في ازدياد القدرات الذاتية، والتطلع دوما إزاء أي مشكلة نحو الدول المتقدمة، بحثا عن الحل الجاهز إنه موقف ثقة بالنفس وبالشعب، واحترام للتراث الحضاري للشعوب وقدراتها على الابداع والاختراع"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>- ابراهيم مشورب: قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث، مرجع سابق، ص149.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص150.

ويمكن الحديث عن جملة المقومات التي تمتلكها الدول العربية لبناء نهضتها الجديدة، باختصارها في مقوم واحد جامع مانع هو الفضاء الحيوي وهو بحسب جان بول سارتر " موجود منذ وجد الكون والانسان، وهو يتسع ويضيق في علاقته الدينامية مع تطور الانسان وادراكه"<sup>(1)</sup>. وللفضاء الحيوي تعريفات شتى نقتصر هنا على ذكر واحد منها حيث يعرف على أنه " إطار مادي يتفاعل فيه الناس والأشياء، فتعين الفضاءات بحسب طبيعة مضمونها، فهي سياسية أو بشرية أو دينية أو اقتصادية تستند إلى مفهوم شمولي مركب يستند إلى المدلول الرياضي"<sup>(2)</sup>. إن الفضاء الحيوي قائم على شبكة من العلاقات وبالتالي فلا يمكن تحديدها بالاستناد إلى عنصر واحد. " فليست المنطقة الجغرافية هي التي تحدد طبيعة المجال، بل تحددها المادة الرئيسية للتشكيلة وانبنائها وهذه المادة قد تكون: السكان، الاقتصاد، الدستور، الانتماء الاثني، الخصائص النفسانية الاجتماعية"<sup>(3)</sup>.

وبعد هذا التقديم الموجز لمفهوم الفضاء الحيوي، لسنا بحاجة إلى التأكيد على أن الدول العربية تتمتع بفضاء حيوي يمكن أن يلعب دورا كبيرا في إعادة بعثها إلى الوجود، وإحلالها المكانة اللائقة بسابق مجدها، شريطة أن تفعل مكونات هذا الفضاء الحيوي وجعلها تتساند وتتكامل وظيفيا.

#### خامسا: التجارب التنموية في العالم الغربي والاسلامي

إن تجارب الأمم- في الغرب كما في الشرق- في سبيل تحقيق نهضتها، متعددة ومتباينة في فلسفاتها كما في أساليبها وإجراءاتها التطبيقية، ونحن نقف تجاهها موقف المنبر تارة وموقف الحائر تارة أخرى، أي هذه التجارب الأقدار والأنسب لانتشالنا من هوة التخلف التي

<sup>1</sup> - <sup>2</sup> - <sup>3</sup> - طلال أبو غزالة وآخرون: مرجع سابق، ص42.

تردينا فيها؟ والعاقل هو الذي لا يعطل نعمة العقل المودعة فيه، بل يشغل مادتها الرمادية ليستهدي بها الى طريق الخلاص.

إن كل كبير في عالم التنمية اليوم، كان في يوم ما صغيرا ووقف موقف التلميذ على أستاذ أعجب به فحذا حذوه وسلك نهجه- بما في ذلك الغرب المتفوق اليوم- ونحن اليوم في موضع الطفل المتلميذ، ولكن الأطفال في تتلمذهم يتمايزون، ففيهم التلميذ الثاقب الفكر الذي يأخذ عن أستاذه مع بقاء صورته حاضرة، وفيهم التلميذ التبعة الذي لا يرى نفسه إلا متماهية في أستاذه، وفيهم البليد الغبي الذي لا يحس الانتفاع بما سمع عن أستاذه، فلا يخطو خطوة إلى الأمام ولا يرتقي درجة في سلم التطور المعرفي.

ونحن إذا ما شئنا أن ننهض بحاضرنا ونقف على أقدامنا لنخطو تجاه مستقبلنا، فليس أمامنا إلا مثال التلميذ الواعي الثاقب الفكر، ومن هنا علينا أن نتأمل في هذه التجارب التنموية المعروضة أمامنا، فنفحصها ونمحصها لنأخذ منها ما يصلح أن يكون تريبا لاداء تخلفنا عن الركب الحضاري وفي مايلي عرض موجز لبعض التجارب التنموية.

#### أ-التجارب التنموية الغربية:

ظهر العديد من الكتابات في الغرب -عقب نهاية الحرب العالمية الثانية- حول التنمية في دول العالم الثالث، وسعت هذه الكتابات لإيهام القادة السياسيين ونخبة المثقفين بأن سبيل التقدم نهج واحد هو ذاته السبيل الذي انتهجته الحضارة أو المدنية الغربية.

وشر البلية أن هذه الخدعة انطلت على العديد من المفكرين والاقتصاديين في العالم الثالث، فراحوا يروجون للمدنية الغربية عن قناعة لدى قلة منهم وانهزامية لدى الأكثرية،

وأصبحوا في دفاعهم عن هذه المدنية أكثر غريبة من الغربيين أنفسهم، ولقد فات هؤلاء المنخدعين جملة الظروف التاريخية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي تفاعلت فيما بينها لتكون عاملاً حاسماً في نشوء تلك المدنية الغربية.

ويمكن أن نوجز تلك الظروف في ولادة طبقة اجتماعية جديدة هي البورجوازية على انقاض النظام الاقطاعي الذي كان سائداً في أوروبا، وهذه البورجوازية مقارنة مع ما سبقها كانت تحمل أفكاراً تقدمية ساهمت في تطوير دولها، وقد ترافق مع ظهورها بروز حركة علمية وفكرية أعلت من القيم العقلانية ومجدت الحرية الفردية، كانت نتيجتها الحتمية القطيعة بين سلطة الكنيسة وسلطة الحياة الواقعية، وبتعبير آخر الفصل بين الدين والدولة.

وإذا أضفنا إلى ما سبق ذكره التفوق في التراكم الرأسمالي الدولي الذي كان نتيجة الكشوفات الجغرافية التي أدت إلى فتح أسواق العالم تجاه الغزاة الغربيين ونهب ثروات الأمم المغزوة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، إذا أخذنا كل ما سبق بعين الاعتبار نصل إلى نتيجة حتمية وهي أن ولادة الطبقة البرجوازية في المجتمعات الغربية هي ولادة طبيعية مرتبطة بالتطور الرأسمالي<sup>(1)</sup>.

ولا يخفى على أحد أن جملة الظروف التي أدت إلى نشأة النظام الرأسمالي الغربي، لا نجد ما يطابقها أو يماثلها في دول العالم الثالث<sup>(\*)</sup>، بشكل عام وفي الدول العربية بشكل خاص، وهذا ما يجعلنا نعتقد عدم ملاءمة النموذج الغربي لأوضاع العالم الثالث، خصوصاً إذا أمعنا النظر فيما تعرضه هيئات ومؤسسات النظام الرأسمالي على دول العالم الثالث للخروج من

<sup>1</sup> - ابراهيم مشورب: اشكالية التنمية في العالم الثالث، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ص ص (20-24).

\* - فالرأسمالية المتواجدة عندنا مثلاً أو في مجموع دول العالم الثالث لم تنشأ بفعل التطور الموضوعي الداخلي في بلدانها، فهي إما أنها نشأت بدعم من الرأسمال الأجنبي، أو بفعل الفساد السياسي والمالي في بلدانها، وفي الحالين فقد أوجدت في بيئات ليست مهيأة لها.

أزماتها، حيث يتم اختزال قضية التنمية إلى مجرد إصلاحات اجتماعية واقتصادية وسياسية على النمط الغربي مغفلة تماما العوامل الموضوعية التي أدت إلى تخلف دول العالم الثالث التاريخية منها والثقافية والاجتماعية...الخ.

#### ب-التجارب التنموية الآسيوية:

لقد تعددت وتباينت التجارب التنموية في القارة الآسيوية، بالنظر إلى المنطلقات الفلسفية التي استندت إليها تجربة كل دولة من تلك الدول، بين عقيدة اشتراكية (ومثالها التجربة الصينية)، وأخرى رأسمالية (ومثالها التجربة اليابانية)، وثالثة يمكن توصيفها بالإسلامية (ومثالها التجربة الماليزية).

ومع هذه التباينات الجوهرية بين هذه التجارب الثلاث، يمكننا أن نتلمس خيطا رفيعا ولكنه قوي في الآن نفسه، يجمع أو يحدث تقاطعات بين هذه التجارب، والأمر هنا يتعلق بالبعد الثقافي الذي يطبع هذه التجارب الثلاثة لدرجة تبدو فيها أصيلة في ذاتها لا صورا مستنسخة عن غيرها.

#### 1-التجربة الصينية:

لقد مرت في تجربتها التنموية بمرحلتين:

\*مرحلة التجربة الاشتراكية الخالصة: وفي هذه المرحلة كانت الصين دولة اشتراكية شيوعية بامتياز، متبنية للمبادئ الماركسية ومدافعة عنها وعاملة على تجسيدها في الواقع، حيث كانت مثال الدولة الشعبية، فتظافرت فيها جهود القادة وأفراد الشعب فـ" استخدموا مئات وآلاف، بل مئات الألوف، من العمال لتنفيذ مشروع واحد، لقد فرضوا الحياة البسيطة على أعلى المستويات،

وبدلاً من استيراد أفخم الملابس والسيارات من أوروبا، أصبح شعار الصين ارتداء الملابس الوطنية الخشنة(\*) والاعتماد على المركبات المحلية<sup>(1)</sup>.

وفي هذه المرحلة وإن لم تحقق الصين الشعبية نجاحاً اقتصادياً باهراً، فقد ربحت معركة الإنسان من خلال الثورة الثقافية وهو الأهم، فأصبح للصين جيش بل جيوش بشرية معبأة بالإيمان بالصين وضرورة النهوض بها.

\*مرحلة الإصلاحات ودولة النظامين: في هذه المرحلة عملت الصين على تدارك وتصحيح أخطاء مرحلة الثورة الثقافية (1966-1976)، ودخلت في مرحلة إصلاحية عام 1977 بقيادة دينغ سياوبنغ، وأحدثت تغيرات جوهرية في البنى الاقتصادية والعسكرية والعلمية، وفتحت أبواب الصين على العلوم والمعارف والاستثمارات الغربية، و"طرحت الصين في عهد الانفتاح الاقتصادي الذي بدأ عام 1978 وما زال مستمراً حتى الآن، نظرية علمية في غاية الأهمية تم تلخيصها على الشكل التالي: "نظامان اقتصاديان في دولة واحدة"، أي تعايش نمط الإنتاج الرأسمالي مع نمط الإنتاج الاشتراكي ضمن دولة مركزية واحدة"<sup>(2)</sup>.

والذي نحب أن نركز عليه هنا أن الصين الشعبية في تجربتها التنموية سواء في مرحلة الثورة الثقافية أو مرحلة الإصلاحات ارتكزت على مبدأ الإيمان بالإنسان من حيث هو الرأسمال الأكبر في عملية التنمية، والتمسك بالقيم الثقافية(\*) لجميع الصينيين وتفعيلها في واقع الحياة،

\*وأحسن مثال يذكر هنا أن القادة الصينيين تشبهوا بأفراد الشعب ولبسوا كما هم ما يعرف بـ Bleu de shanghai

<sup>1</sup>- وحيد الدين خان: الإسلام والعصر الحديث، ترجمة ظفر الإسلام خان، ط1، المختار الإسلامي للطباعة، القاهرة، 1396هـ / 1976م، ص31.

<sup>2</sup>- طلال أبو غزاله وآخرون: مرجع سابق، ص212.

\*- كالأمثال الشعبية: بدل أن تعطيني سمكة علمني كيف أصطادها، عدم ازدياد الموروث العلمي كالوخز بالإبر.



وهكذا تخطت الصين تخلفها وأصبحت دولة متطورة جدا بنسبة نمو تتراوح بين 9.7% وهي الأعلى في العالم.

## 2- التجربة اليابانية:

تعد اليابان أنموذجا فريدا وتجربة رائدة من بين كل التجارب التنموية التي لفتت انتباه الباحثين والخبراء في المجال الاقتصادي ونظرائهم في علم الاجتماع وفي العلوم السياسية.

من المعروف أن اليابان تحطمت تحطما كاملا في الحرب العالمية الثانية، وضربت بأعتى وسائل الدمار، حيث دكت ناجازاكي وهيروشيما بقنبلتين نوويتين، وتحطمت طوكيو وغيرها من المدن، وفرض على الدولة توقيع معاهدة استسلام (أوت 1945) دخلت بموجبها الجيوش الأمريكية الأرض اليابانية وبنيت فيها قواعد عسكرية وأصبحت هي المسؤولة الأساسية عن الدفاع عن اليابان وحتى بعد جلاء القوات الأمريكية (1952)، بقيت تحتل جزيرة أوكيناوا وتقيم فيها قاعدة عسكرية.

ومع كل ما أصاب اليابان من ويلات هذه الحرب المدمرة، لم نسمع لها نحيبا، كما انتحبت وتنتحب كثير من الدول في العالم الثالث بوجه عام والعالم العربي بوجه خاص، هذه الدول التي لا تنفك تعزو تخلفها إلى الحقبة الاستعمارية وما جناه عليها أولئك الغزاة.

إن البكاء في مثل هذه الحال علامة ضعف وذلة وهوان، واليابانيون يرفضون أن تكون هذه أوضاعهم، فلملموا شتاتهم، وداسوا على جراحاتهم، وعزموا على أن يصنعوا من الضعف قوة، وأن يحولوا الانكسار إلى انتصار، فكان لهم ما أرادوا.

ولأنهم أذكىاء، لم يشحنوا قلوبهم بالحقد على المستعمر ولم يحصروا جل تفكيرهم في كيفية الخلاص منه، على العكس من ذلك، فقد عزموا على أن ينهضوا مرتكزين على ذات العصا التي ضربتهم فأسقطتهم أرضاً، فاستلهموا من عدوهم سر قوته وعزموا على أن يقهروه بها.

ورغم الانكسار رفض اليابانيون أن يذوبوا في القادم القاهر، أو أن يكونوا نسخة مشوهة منه، وإنما أرادوا الانتفاع بأفكار الآخر ثم الاعتماد على أنفسهم في بناء نهضتهم، ومن ثم لم تجر اليابان وراء نماذج تطبقها، ولم تستورد خبراء من الخارج ليقوموا بالعمل عوضاً عن أبنائها، ولكنها توسعت في الابتعاث إلى الخارج، ليتفاعل أبنائها مع الحضارة الغربية، ولينهلوا من العلوم الحديثة، وهم في شغل شاغل للإجابة عن سؤال مهم هو: ما سبب تقدم تلك البلدان علينا؟<sup>(1)</sup>.

وتحقيقاً لذلك وتبعاً له "تبنّت اليابان أكبر حركة للترجمة، شملت جميع المعارف والعلوم، فكانت النتيجة انصهار الأفكار مع إمكانات الإنسان الياباني، بتقاليده، وتراثه وقيمه في بوتقة واحدة، نقلت المجتمع الياباني إلى الصف الأول وبدون خسائر تذكر"<sup>(2)</sup>، ورغم أن اليابان جغرافياً دولة فقيرة في مواردها الطبيعية، إلا أنها بشريا غنية بإنسانها الرجل الياباني "الهمة"، ولعله - بل أكيد - أنه أعظم أكبر اكتشاف حققته دولة اليابان.

ومن أجل بناء هذا الرجل الياباني المعجز رسمت الدولة اليابانية استراتيجية تجاهلت فيها" وجود الاحتلال الأمريكي وركزت كل جهدها على بناء الوطن من جديد وزادت من أهمية

<sup>1- 2</sup> - محمود محمد سفر: دراسات في البناء الحضاري، ط1، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، قطر، 1409هـ، ص86.

التعليم حتى أعطت المدرسين مرتبات الوزراء، ومنحتهم صلاحيات وكلاء النيابة، وكانت النتيجة أن أصبحت اليابان في عقدين من الزمن بلداً من أكثر البلدان تقدماً في التعليم<sup>(1)</sup>.

لقد استطاعت اليابان من خلال اهتمامها بالتعليم لبناء الرجل الياباني المتميز أن تقدم للعالم درسا بليغا في كيفية بناء شعب شديد الالتزام والتمثل لثقافته الأصيلة، منفتح دون تعقد على جميع الثقافات العصرية، شعب مبدع، متقن، فنان وعلى قدر عال من الخلق، فعلا لقد استطاعت اليابان أن تقدم الاجابة الكافية لمن سأل عن السؤال الشافي حول إشكالية الأصالة والمعاصرة وعرفت كيف تموقع نفسها بين مدخلين متميزين تجسدهما ثنائية "الغربي" و"الشرقي" وبدلا من بناء الحدود الفاصلة، كان مد الجسور الواصلة، فتحققت نهضة ولا أروع!

إنها النهضة اليابانية النموذج التي سعت لـ " البحث عن جذور محلية ملائمة لبناء حداثة سليمة لا تتعارض مع التراث الايجابي للشعب الياباني، والدعوة إلى تبني مقولة الاستمرارية والتغير التدريجي او البطيء، والايمان التام بدور الثقافة والتعليم في بناء النهضة الجديدة"<sup>(2)</sup>.

### 3- التجربة الماليزية:

تعد تجربة التنمية الاقتصادية الماليزية من أكثر التجارب التنموية تميزا في العالم، وذلك لما حققته من نجاحات باهرة على أكثر من صعيد، وعندما تذكر ماليزيا يذكر معها مجموع رابطة دول جنوب شرق آسيا (أندونيسيا، الفلبين، تايلاند، ماليزيا، سنغافورة...)، كما يذكر مجموع دول النمرور الآسيوية (كورية الجنوبية، هونج كونج، تايوان).

<sup>1</sup> - وحيد الدين خان: مرجع سابق، ص52.

<sup>2</sup> - طلال أبو غزالة وآخرون: مرجع سابق، ص209.

إن وجه التميز في التجربة الماليزية يكمن في تلك السرعة الفائقة التي انتقلت فيها البلاد من بلد زراعي استهلاكي إلى بلد صناعي مصدر، وأصبحت تحتل المرتبة السابع عشرة بين أكبر المصدرين في العالم طبقاً لتقرير منظمة التجارة العالمية لعام 2000 وارتفعت فيها جميع مؤشرات النمو وتحسنت فيها أوضاع الشعب تحسناً كبيراً، فما هي عوامل نجاح هذه التجربة؟

بعدما تصدعت مكونات النظريات التنموية الكلاسيكية، انتقلت اهتمامات علماء اجتماع التنمية خاصة المتخصصين منهم في سوسيولوجيا العالم الثالث إلى التركيز على دراسة وتحليل النماذج الإقليمية التنموية الحديثة التي باتت تفرض ذاتها على المهتمين بقضايا التنمية بمفهومها الشامل وذلك أن هذه التجارب التنموية عملت على تغيير الكثير من المفاهيم الاقتصادية الكلاسيكية التي عرفت من أيام آدم سميث وجون كينز ومن جهة أخرى فإن هذه التجارب التنموية لم تنتهج في بناء نهضتها أساليب مطابقة لتلك التي عرفتتها التنمية الاقتصادية الرأسمالية الأوروبية.

ورغم عدم وجود سمات أو خصائص جامعة وموحدة نستطيع معها التحدث عن النموذج الآسيوي للتنمية، نظراً للتباينات القائمة بين مختلف هذه الدول خاصة على المستوى البنائي، إلا أن كثير من المحللين أكدوا على ضرورة الاهتمام بمفهوم العوامل الداخلية وكذا العوامل الخارجية التي تفسر بوضوح عمليات التنمية الشاملة في هذه الدول الصناعية الحديثة<sup>(1)</sup>.

إن الحديث عن جملة العوامل الداخلية والخارجية لنجاح هذه التجارب التنموية الآسيوية يطول وليست هذه الدراسة مجاله ولكننا سنكتفي بالوقوف عند أهم العوامل التي أدت إلى نجاح واحدة من أبرز هذه التجارب ونعني بها التجربة الماليزية.

<sup>1</sup> - عبد الله محمد عبد الرحمن: دراسات في علم الاجتماع، ط1، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2000، ص ص (128-129).

أ- تراكم رأس المال البشري:

على غرار التجربة الصينية والتجربة اليابانية اهتم الساسة الماليزيون بقطاع التعليم الذي سيتولى تقديم مخرجات بشرية تنهض بحاضر الأمة الماليزية وتحقيقا لهذا "أولت الحكومة عناية فائقة بالتعليم، وخاصة التعليم الأساسي والفني، ووضعت اعتمادات مالية كبيرة في مجالات العلوم والتقنية، كما دعم القطاع الخاص خطة الدولة التعليمية، وقامت الحكومة باستقدام خبرات أجنبية لدعم مؤسسات التعليم العالي والتقني لتلبية احتياجات سوق العمل المحلية، الأمر الذي أدى إلى رفع مهارة قوة العمل وزيادة إنتاجيتها، وهو ما عزز من الكفاءة الاقتصادية والانتاجية الكلية"<sup>(1)</sup>، وتبعاً لذلك زادت نسبة التعليم من 60% عام 1974 إلى 98.5% عام 2003.

ب- اقتناء المعرفة التقنية واستيعاب دورها في إطار التنمية:

في إطار مراكمة رأس المال البشري، عمدت الدولة الماليزية لاقتناء المعرفة التقنية وليس الوسائل أو المنتجات التقنية لأن من يقنتي الثانية يكون عرضة الاستهلاك أما الأول فهده امتلاك المعرفة، وتحقق هذا لماليزيا "عن طريق امتلاك تراخيص السلع الرأسمالية، والحصول على التعليم والتدريب في الخارج، وكان الانفتاح نحو الاستثمارات الأجنبية يستهدف نقل الدراية الفنية إلى جانب التقنية نفسها... وتعتبر ماليزيا اليوم أكبر المصدرين في العالم لأشباه الموصلات "الرقائق الالكترونية"، وتحتضن شركات عالمية متخصصة في مجال الالكترونيات مثل PHILIPS , SHARPE, ... كما تمتلك الدولة أسهما في شركات ومراكز بحوث أجنبية في الخارج مثل شركة SILICON VALLEY الأمريكية المتخصصة في مجال الكمبيوتر"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>- علي جمعة محمد وآخرون: الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، مجلد2، ط1، دار السلام، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص562.  
<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص564.

ج- الثقافة القومية والروحية:

يعد العامل الثقافي من أبرز وأقوى العوامل في نجاح الدول الآسيوية المعروفة بالنمو الآسيوية أو دول التين الآسيوي وماليزيا كواحدة من هذه الدول سعت إلى "تأسيس مجتمع قيمي كامل، يكون فيه المواطنون على درجة من التدين القوي والقيم المعنوية والمعايير الأخلاقية الرفيعة"<sup>(1)</sup>، وللعلم فإن الدولة الماليزية تضم تركيبة سكانية تجمع في إطارها أربعة أعراق وخمس ديانات أساسية، ونحن مشيرون هنا وفي اقتضاب إلى أبرز القيم المعنوية التي لعبت دورا حاسما في تحقيق النهضة الماليزية<sup>(2)</sup>:

\* الاعتماد على الذات: منطلقا من الاستثمارات الأجنبية غير معتمدة على المساعدات المادية من العالم الخارجي.

\* المحاكاة المبصرة: من خلال تقليد التجارب الناجحة وفي إطار سياسة " النظر شرقا".

\* الموضوعية السياسية والتصحيح: وهي سمة عرف بها الساسة الماليزيون، فلا مجال للمكابرة في حال الخطأ بل الاعتراف الصريح والبحث عن الحل البديل.

\* البساطة وعدم الاسراف: وهذا من شأنه المحافظة على الثروة القومية وتعبئة الموارد الذاتية وحسن استغلالها وتوظيفها وقد أفاد هذا المبدأ البلاد في الأزمة المالية 98/97.

\* التسامح والوئام القومي، وقد كان هذا أرضية صلبة للاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي.

\* الاعتداد بالقومية: وقد أفادت هذه الروح الشعب وشحذت همته في وجه المستعمر الغاصب وقد وظفت هذه الروح من قبل الساسة توظيفا حسنا لخدمة الصالح العام.

<sup>1</sup> - علي جمعة محمد وآخرون: المرجع السابق، ص 568.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص (571-569).

وقبل أن نختم الحديث عن هذه التجربة، تجدر الإشارة إلى أن هذه التجربة من أكثر التجارب التنموية الإسلامية نجاحاً، وأن الفضل في نجاحها وتقديمها كنموذج لباقي دول العالم الإسلامي يعود للرئيس الأكثر شهرة من بين مجموع الرؤساء و الزعماء الآسيويين إنه رابع وزراء ماليزيا الرئيس محاضر محمد.

### ماليزيا...نكهة مهاتيرية ومقاربة اسلامية

**مهاتير محمد** ولد في ماليزيا سنة 1925 طبيب وكاتب واستاذ جامعي، طبيب تحول إلى خبير اقتصادي، وحاكم تحول إلى مفكر عظيم وصاحب نظرية للطفرة الآسيوية. استمرت فترة حكمه 22 عاما (1981، 2003) " أدار حكومته على أساس ما يطلق عليه "ثقافة الجودة".

ويتمتع محاضر محمد بالواقعية في التعامل مع التحديات التي تواجهه ويمكن وصف سياسته الخارجية بالاستقلال والحياد الايجابي.. ومن أبرز سمات محاضر القيادة: المبادرة إلى طرح أفكاره السياسية عبر شعارات جذابة، وسرعان ما يترجمها إلى مشروعات عمل طموح، مثل ما أطلق عليه سياسة النظر شرقاً<sup>(1)</sup>.

العبقري الذي أخرج بلاده من ظلمات التخلف إلى نور التقدم - بلاد مساحتها تعادل 320 ألف كلم<sup>2</sup> كانت في النكرات فأصبحت ضمن المعارف بارتقائها إلى القمم السامقة- رجل مثل هذا يعتزل السياسة وهو في أوج عطائه وقمة انتصاراته، اعتزال أدهش العالم، وصدمة السياسة العرب الذين قاتلوا شعوبهم دفاعاً عن العرش، يخرج مهاتير بإرادته تاركاً لمن خلفه طريقاً معبداً، خرج وهو يقول: (وقتي انتهى... لن أتولى أي مسؤوليات رسمية بعد 31 أكتوبر 2003م لأنه من المهم أن يتولى قيادة ماليزيا جيل جديد بفكر جديد)، ومما زاد مشهد الاعتزال

<sup>1</sup> - علي جمعة وآخرون: مرجع سابق، ص590.

روعة وجمالاً أن يودع الرجل المعتزل كل هدية تسلمها أثناء فترة عمله بالسياسة من أي فرد أو مؤسسة أو دولة كل شيء ابتداء من الأواني الفضية زهيدة الثمن إلى التحف الفاخرة والسيارات الثمينة في متحف أراده الشعب عنواناً للاعتراف بالجميل فسموه متحف مهاتير محمد<sup>(1)</sup>.

### الجمع بين الاسلام والتنمية في عهد مهاتير:

إن الذي يدرس مسيرة مهاتير محمد في حكمه يدرك بجلاء أنه رجل مسلم متشبع بفكر إسلامي أصيل، ومطلع على سير عظماء الاسلام في العصور الذهبية أو المتأخرة، وليس أدل على ذلك من مشهد اعتزاله فهو بتصرفه ذلك يتمثل قول الفاروق عمر بن الخطاب وهو يحاسب أحد ولاته على ما أهدي له.

لقد عمل مهاتير في رسمه لسياسة حكمه على "رفض مفهوم التحديث بالمعنى العلماني الغربي القائم على رفض القيم الدينية..، ورأى بأن بناء نموذج للتنمية يقوم على الاستفادة من المهارات التكنولوجية الغربية مع عدم التضحية بالقيم الثقافية الاسلامية وبالتقاليد المحلية هو المدخل الصحيح"<sup>(2)</sup>.

فلقد كانت القناعة حاصلة لدى الرجل بأن "الاسلام هو إطار مرجعي للتنمية، ولكنه لا يقدم نمودجا واحدا لهذه التنمية.. ويتطلب ذلك ضرورة البحث المستمر عن حلول تلبي احتياجات الواقع وتتفق مع مقاصد الشريعة الاسلامية، ومن ثم يرى محاضير أن التمسك بالاسلام يعني السعي لتحقيق أهدافه من خلال آليات لا تتعارض معه"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>- صلاح الدين أبو الحسن: ماليزيا.. نكهة مهاتيرية ومقاربة اسلامية، موقع المركز العربي للدراسات والأبحاث. نات، 25/ 02/ 2011 س 05 و 02.

<sup>2</sup>- علي جمعة محمد وآخرون: مرجع سابق، ص ص (589- 590).

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص591.



وتحقيقاً لهذه الفعالة وهذا التوجه قامت في عهد مهاتير محمد الحكومة بتبني النظام المصرفي الإسلامي إلى جانب النظام المصرفي التقليدي، فأسست البنوك ومؤسسات التأمين الإسلامية واستصلحت الإدارة ووضعت التعديلات الدستورية اللازمة بما يتوافق ومقاصد الشريعة الإسلامية، كل ذلك على أساس منهجية متدرجة ومتوازنة، لا متعجلة ولا متباطئة فجاء النصر وحصل النجاح.

#### مدى إمكانية استنساخ أو تعميم التجارب الآسيوية:

آثارت التجارب التنموية في الدول الآسيوية جدلاً كبيراً في الأوساط العلمية والدوائر البحثية في علم الاجتماع والعلوم السياسية والاقتصادية، ذلك أن هذه الدول التي تجمعت في تكتلات عرف بعضها بالنمور الآسيوية والبعض الآخر بالتنين الآسيوي، قد شقت طريقها تحت مظلة التبعية وأن ارتباطها بالغرب اقتصادياً وسياسياً وثيق الصلة، الأمر الذي حدا بالبعض إلى تصور التبعية كمدخل للتنمية.

والمدافعون عن هذا الرأي يقولون بأن هذه الدول تمكنت من تحقيق التنمية بسبب التبعية وليس رغماً عنها، ولكن ما ينبغي التأكيد عليه حسبما ذهب إليه يوسف صايغ أن تجربة هذه الدول هي حصيلة جهد جاد عموده الفقري الاعتماد على النفس، وبتعبير آخر أن هذه الدول كانت تمارس تنميتها وإن كانت تحت مظلة التبعية، لكنها كانت كما تمارسها بوعي وبصيرة، ودليل ذلك أنها بعد ما تجاوزت مرحلة الانطلاق فهي الآن بصدد تحرير نفسها من قيود التبعية عبر الاعتماد على النفس بحذر وذكاء<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - علي جمعة محمد وآخرون: مرجع سابق، ص ص (56-59).

فإذا سلمنا بصدق أو صواب ما سبق ذكره فهل يمكن للدول العربية أن تحذو حذو هذه الدول الآسيوية؟ والقبول بفكرة إمكانية الاعتماد على التبعية كمدخل للتنمية، المعارضون لهذا الرأي يستندون إلى جملة حجج أبرزها أن العوامل الداخلية والخارجية لمجموع الدول العربية هي مغايرة لتلك التي توفرت للدول الآسيوية وبالتالي فإن جملة هذه العوامل لا تهيء الأسباب لتحقيق تنمية مماثلة... حجة ثانية يسوقها المعارضون فيقولون بأن الدول الآسيوية " حظيت بظرف ايدولوجي استراتيجي كنموذج للرأسمالية المتقدمة يهزم النموذج الآخر... ولعل هذا ما يفسر إلى حد كبير ضآلة ما تحقق من تنمية فعلية تحت مظلة التبعية في أمريكا الجنوبية على مدى عقود طويلة"<sup>(1)</sup>.

وبين المؤيدين أو المعارضين يمكن أن نتلمس رأياً وسطاً مفاده أن هذه التجارب التنموية لدول الآسيان أو النمور الآسيوية هي تجارب لا يماري أحد في نجاحها، ولأنه توفر لها من الظروف المكانية أو الايدولوجية - مما لم يتوفر للدول العربية وباقي دول العالم الثالث- فإن هذا لا يدفعنا إلى التطرف والزعم بأنها نماذج غير صالحة للاقتداء بها، بل على العكس من ذلك يمكن أن نستفيد من إطارها العام واستخلاص ما يمكن من دروس على مستوى الفكر أو الأسلوب الاجرائي مما يساعدنا على بناء نموذج تنموي أصيل يلائم ظروفنا وأوضاعنا، ويحفظ لنا قيمنا وثقافتنا.

<sup>1</sup> - علي جمعة محمد وآخرون: المرجع السابق، ص61.

خلاصة الفصل:

لا يختلف اثنان من المعاشين للوضع العربي أو المهتمين به، بأنه وضع مزري وعلى أكثر من صعيد، وضع لا نحسد عليه، وأن السماء التي أشرقت لنا شمسها غداة جلاء القوات المستعمرة عن أراضينا وتحرر معظم أقطارنا العربية، سرعان ما تلبدت من جديد بالسحب الداكنة.

فلقد فشلت جميع التجارب التنموية في الوطن العربي و "أن الفشل التنموي العربي مقارنة بالتجربة التنموية في جنوب شرق آسيا، لا يعود إلى قصور المدخرات...بل إلى تبديدها، وليس إلى قلة الاستثمارات...بل لسوء توزيعها...وليس إلى ضعف رأس المال البشري...بل إلى نزيف العقول وتهجير السواعد" (1).

وسواء تعلق الأمر بالتبديد أو سوء التوزيع أو التهجير، فالأكيد أن المسؤول عنه هي السياسات العرجاء التي اعتمدها الأنظمة الاستبدادية وللتدليل على هذا يكفي أن نشير إلى تقرير التنمية الانسانية العربية لعام 2004 الذي جاء فيه أن تعويق النهوض العربي يعود أولاً إلى القيود السياسية التي تعوق أي تنمية إنسانية تمكن الوطن العربي من النهوض، أي أن موطن الخلل الكبير في الأوضاع العربية هو الخلل السياسي(2).

إن صورة هذا الحاضر الذي نعيشه كرها واشمئزازا هي التي ترسم ملامح المستقبل الذي نرقبه، فما لم نبادر إلى تغيير الصورة القائمة لهذا الحاضر، فإننا بذلك نحكم بحتمية المستقبل العليل، ولنكن على يقين إذا ما "كنا نطمح إلى التنمية الشاملة أو التحرر أو التوحيد القومي أو

<sup>1</sup> - محمود عبد الفضيل: العرب والتجربة الآسيوية الدروس المستفادة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000، ص 2007.

<sup>2</sup> أحمد بعلبكي: موضوعات وقضايا خلافية في تنمية الموارد العربية، الكتاب الأول، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2007، ص 2002.

العدالة الاجتماعية أو المركز القوى في حلبة العلاقات الدولية...أو إلى غير ذلك من الأهداف، بأن القرارات التي نتخذها اليوم، ترتهن المستقبل في اتجاه أو آخر"<sup>(1)</sup>.

إن مستقبلنا - الذي تأخرنا عنه طويلاً- هو حصيلة ما سنغرسه أو لا نغرس اليوم، وأن من انتهى الخمر فليغرس دوليها، ومن يزرع الأشواك فلن يجني إلا الجراح.

<sup>1</sup>- ابراهيم سعد الدين وآخرون: صورة المستقبل العربي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص11.

# الفصل الرابع

السياسات التتموية في الجزائر

ومراحلها

## الفصل الرابع: السياسات التنموية في الجزائر ومراحلها

-تمهيد

المرحلة الأولى: الخيار الاشتراكي ( الجزائر الاشتراكية)

-مرحلة التسيير الذاتي للمؤسسات

-مرحلة الاقتصاد المخطط

-مرحلة الاصلاحات الاقتصادية واعادة هيكلة المؤسسات

-تقييم

المرحلة الثانية: التوجه نحو اقتصاد السوق (جزائر التوجه الرأسمالي)

-انتهاج أسلوب الخصخصة.

-العوامل الدافعة نحو عملية الخصخصة.

-تقييم

-خلاصة

## تمهيد:

لا يجد الدارس للسياسات التنموية في الجزائر صعوبة في تحديد مراحلها وتوصيف مميزات وخصائص كل مرحلة، ويتعدى الأمر مجرد الوقوف عند تحديد جملة المراحل الى تحديد الاهداف الموجهة للمنطلقات، ليصل الدارسون الى اتفاق شبه كلي على تقييم تلك المراحل بل تقييم هذه السياسات التنموية التي انتهجتها الجزائر في محاولة بناء نهضتها.

ومع هذا الاتفاق لا يكون غريب أن تختلف الأسماء المعنونة لكل مرحلة إذا كانت المسميات هي ذاتها عند مختلف الدارسين، وقد يكون الاختلاف في ضبط عناوين كل مرحلة أو حتى الاختلاف الجزئي في تحديد جملة المراحل مرده إلى زاوية النظر التي تناول منها كل دارس للموضوع وكذلك اختلاف الاهتمامات في التركيز على هذا الموضوع أو ذاك لدى هؤلاء الدارسين.

فعلى سبيل المثال فالأستاذ الدكتور مصطفى بوتفنوشات يقدم تقسيما للمراحل يبدأ بحرب التحرير ثم التحرر، فالبناء الاجتماعي، إصلاح البناء الاجتماعي ثم الليبرالية والديمقراطية، ويرى بأن هذه المراحل المتتالية مختلفة في خصائصها ومميزاتها، ومتجانسة داخل كل مرحلة بذاتها<sup>(1)</sup>.

أما الأستاذ الدكتور عبد الحميد خروف فيقدم تقسيما للمراحل يبدأ بفترة ما قبل الاحتلال، فمرحلة الاحتلال، ثم مرحلة الاستقلال وأخيرا مرحلة التنمية والتحول الاجتماعي وضمن مرحلة

<sup>1</sup> –Mostafa Boutefnouchet : **La société Algérienne en transition**, Opu ,Ben Aknoun, Alger,2004, P51.

الاستقلال يقدم تقسيما آخر يشمل: مرحلة الانتظار، مرحلة الاقتصاد المخطط، ثم مرحلة المراجعة والتمهيد لاقتصاد السوق<sup>(1)</sup>.

وتماشيا مع طبيعة موضوع الدراسة الذي لا يتناول الجزائر كحالة فيتعين حينئذ التوسع في الموضوع والتعرض لكل النقاط التفصيلية، وإنما موضوع الدراسة يتناول الجزائر كنموذج فقط، وبناء عليه فلن نتناول من تلك المراحل إلا الفترة الممتدة من الاستقلال إلى أيامنا هذه، وسنسمح المراحل المتضمنة فيها دونما إغراق في التفاصيل، فالذي يعيننا أكثر هي الغايات والمرامي، ثم نختم كل مرحلة بتقييم عام يبرز مدى النجاح أو الفشل في تحقيق أهدافها، وبشكل عام يمكن أن نميّز بين مرحلتين مجسدتين لأسلوبين من أساليب التنمية، تم اعتمادهما من أجل تحقيق النهضة في الجزائر الاستقلال.

### المرحلة الأولى: الخيار الاشتراكي

#### أ- دوافعه:

خاضت الجزائر الحديثة واحدة من أعظم الثورات في العالم، وغدت نموذجا لكل الشعوب التائقة للتححر من ريق العبودية ونير الاستعمار البغيض، وغداة الاستقلال وجدت نفسها مدعوة لأن تخوض ثورة ثانية، ثورة للبناء والتشييد، وحينها كان أكثر النماذج التنموية حضورا ورواجا، النموذجان الاشتراكي والرأسمالي، ولم يفكر الساسة في الدولة الفتية طويلا لتحديد أي الخيارين يسلكون" إذ تم الشروع في انتهاج الاشتراكية بعد الاستقلال، والتوجه شرقا نحو الاتحاد السوفياتي، رائد المعسكر الاشتراكي الشرقي وقتذاك وقد رأى قادة الجزائر أن هذا

<sup>1</sup> - عبد الحميد خروف: سياسة التنمية في الجزائر، رؤية سوسيولوجية، مجلة الفكر السياسي، عدد 17، المؤسسة العربية السورية خريف شتاء 2002، ص 186.



الاتجاه يجعلهم في منأى عن الاستعمار القديم، ما يجعل التفكير في الخيار الرأسمالي تفكيراً رجعياً ينطوي على دعوة إلى إحياء الإمبريالية، وعودة الاستعمار، في شكلة الاقتصادية على الأقل<sup>(1)</sup>.

والجزائر في اختيارها لهذا النهج لم تشذ عن معظم بلدان العالم الثالث المستقلة حديثاً فهي كما يرى الدكتور عبد الحميد خروف أن ثمة جملة من المعطيات الموضوعية أمّلت عليها اختيار الطريق للرأسمالي لعل أبرزها<sup>(2)</sup>:

1- الارتباط الوثيق بين النظام الرأسمالي وبين الاستعمار الغربي الذي عانت من ويلات هذه البلدان، وما آل إليه من تخلف فيها.

2- ما أبداه الاختيار الاشتراكي - في نظر هذه البلدان - من قدرة على توفير أجوبة أكثر قناعة للمشاكل التي كانت سبباً في تخلفها.

3- حاجة هذه البلدان إلى تجربة رائدة تسترشد بها، وتبنى عليها تصوراتها المستقلة في إعادة بناء نفسها.

وغير بعيد عن التوجه شرقاً نحو الاتحاد السوفياتي كان للجزائر توجهها آخر غير مناقض للاتجاه الاشتراكي، هو الاتجاه القومي وهو اتجاه " يستدعي التواصل مع الدول العربية

<sup>1</sup> - ناصر يوسف: دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركبة - دراسة مقارنة بالجزائر وماليزيا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2010، ص ص (204 - 205).

<sup>2</sup> - عبد الحميد خروف: مرجع سابق، ص 192.

الأخرى بهدف تحقيق الوحدة، ولقد تغذى هذا الاتجاه القومي من فلسفة الاتجاه الاشتراكي في بعده الأممي الشيوعي<sup>(1)</sup>.

وقد لخص الميثاق الوطني دواعي التوجه نحو الخيار الاشتراكي، حيث جاء في بعض ابجدياته بأن: " التحرير الوطني والتحرير الاجتماعي هما شيئان متلازمان في عصرنا هذا، ذلك أن الرفض البات للاستعمار، يفضي حتما إلى رفض الرأسمالية، وعندما تدرك الجماهير أن كلا من الاستعمار والرأسمالية مرتبطان اشد الارتباط، وأن أحدهما ما هو إلا انعكاس للآخر، عندئذ تنشأ الظروف التي تجعل الوعي الوطني يتحول إلى وعي اشتراكي"<sup>(2)</sup>.

ب-مراحله: يمكن أن نميز في التجربة التنموية الجزائرية في ظل التوجه الاشتراكي بين ثلاث مراحل:

#### 1-مرحلة التسيير الذاتي للمؤسسات:

كانت مرحلة التسيير الذاتي للمؤسسات نتيجة حتمية لظروف استثنائية عاشتها البلاد غداة الاستقلال، حيث شهدت البلاد هجرة جماعية في أوساط المعمرين أحدثت أثرا بالغاً على مختلف المؤسسات التي أضحت بدون مسيرين أو مشرفين عليها، إضافة إلى أن " الحكومة الجزائرية في ذلك الظرف لم يكن لها الوقت الكافي الذي يسمح لها بتكوين جهاز إداري يشرف

<sup>1</sup>- ناصر يوسف: مرجع سابق، ص 205.

<sup>2</sup>- جبهة التحرير الوطني: الميثاق الوطني 76، د ط، المعهد الوطني التربوي، الجزائر، 1976، ص ص (30-31).

على تسيير وتدبير شؤون هذه المؤسسات الشيء الذي ترك المبادرة للعمال والفلاحين وبقية المواطنين من تنظيم أنفسهم لتولي تسيير المؤسسات المعطلة والمتوقفة عن العمل والانتاج<sup>(1)</sup>.

ورغم أن الفلاحين والعمال وعموم المواطنين هم من بادر لملء الفراغ الناتج عن هجرة المعمرين، إلا أن الحكومة الناشئة لم تكن غائبة كلياً حيث أصدرت بعض القرارات والمراسيم التنظيمية نذكر منها<sup>(2)</sup>:

\*قرارات أكتوبر 1962، التي أعادت الأراضي المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين.

\*قرارات 22 مارس 1963، قامت بتحديد الأسس التنظيمية والوظيفية للتسيير الذاتي للعمال والوحدات الانتاجية والأماكن الشاغرة، القائمة على التسيير المشترك للملكية الجماعية.

لقد قامت سياسة التسيير الذاتي للمؤسسات على جملة مبادئ نذكر منها الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ووضع الثقة في العمال، ومنحهم حرية اختيار الممثلين، واستقلالية المؤسسات مع العمل على التوازن بين القطاعات الاقتصادية، كما قامت السياسة ذاتها على جملة إجراءات من أجل ضمان السير الحسن لمختلف المؤسسات، كإنشاء مختلف المجالس للعمال وتحديد لجان التسيير وغيرها، إلا أن تظافر جملة عوامل وتفاعلها فيما بينها أدى إلى عدم تبلور هذه التجربة واكتمالها ونضجها، ومن بين هذه العوامل تردد الحكومة آنذاك حيال سياسة التسيير الذاتي حيث لم توضع كل المؤسسات تحت إشراف لجان التسيير الذاتي، إضافة إلى ظهور المدير كسلطة

<sup>1</sup> - أونيس عبد المجيد أونيس: إدارة العلاقات الإنسانية مدخل سلوكي تنظيمي، ط1، دار اليازروي العلمية، عمان الاردن، 2011، ص 284.

<sup>2</sup> - محمد بالرابح: آفاق التنمية في الجزائر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، 2007، ص58.

أقوى من مجلس الإدارة وتمتعه بحق الاعتراض على قرارات المجلس<sup>(1)</sup>، ثم كانت نهاية مرحلة التسيير الذاتي للمؤسسات عقب الإطاحة بنظام الرئيس أحمد بن بلة (1962-1965) ومجيء الرئيس هواري بومدين.

## 2-مرحلة الاقتصاد المخطط:

بدأت هذه المرحلة باعتلاء الرئيس هواري بومدين سدة الحكم، وبعد ان اطمأن لاستتباب الأمور السياسية الداخلية، عمل على بلورة النظام الاشتراكي وضبط معاملته الكبرى، ايدانا بالانتقال من مرحلة التسيير الذاتي التي فرضتها ظروف الدولة الناشئة، والانتقال إلى مرحلة التسيير الاشتراكي للمؤسسات وتحديد أساليب عملها وسيرها ومن هنا تم تحديد المحاور الكبرى لبناء الاشتراكية فكانت الثورات الثلاثة ( الثقافية، الزراعية، الصناعية) في مقدمتها.

### أ-الثورة الثقافية:

سعت هذه الثورة إلى إعلاء الشخصية الوطنية بعد الأضرار البليغة التي ألحقت بها طيلة الحقبة الاستعمارية فكان على" الدفع الثوري في المجال الثقافي، أن يساهم في رفع المستوى الفكري والتقني للجماهير، وتغيير العقليات بغية خلق الشروط النفسانية والايديولوجية والسياسية دعما للاستقلال الوطني والتطور الاقتصادي والاجتماعي"<sup>(2)</sup>، وبوجه عام كانت الثورة الثقافية تهدف إلى "إقامة مجتمع متوازن لا يكون فيه المواطن مبتورا عن أصوله ولا متروكا على هامش التقدم"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - أونيس عبد المجيد أونيس: مرجع سابق، ص ص (284-291).

<sup>2</sup> - جبهة التحرير الوطني: مرجع سابق، ص91.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص92.

وتحقيقا لهذا الهدف سعت الثورة الثقافية إلى بعث مشروع التعريب والاهتمام بقطاع

التربية والتعليم ومحو الأمية ومكافحة الانحرافات ومقاومة الآفات الاجتماعية وغيرها...

#### ب- الثورة الزراعية:

جاء في الميثاق بأن " الثورة الزراعية التي جاءت لتضع حدا لمظالم تاريخية نتجت عن

مناكر الاقطاعية والاستعمار، تحمل في طياتها كل آمال جماهير الفلاحين وتطلعاتهم"<sup>(1)</sup>، وتحقيقا

لهذا الهدف عملت الدولة على تحطيم أساليب الاستغلال الاستعماري والاقطاعي، وتمكنت من "

أن توزع على الفلاحين بدون أرض وعلى الرعاة المستغلين، وسائل الانتاج التي كانوا في حاجة

ماسة إليها ليعيشوا حياة كريمة"<sup>(2)</sup>.

ولقد كان من بين ما سعت إليه الثورة الزراعية القضاء على معظم الأكواخ والبيوت

القصديرية وتوفير السكن اللائق للفلاحين من خلال مشروع الألف قرية، وفيما يتعلق بالأرض

ذاتها فقد كانت استراتيجية الثورة الزراعية قائمة أولا على المحافظة على الأراضي المتوفرة

وحمايتها من التصحر، ومن ثم جاء مشروع السد الأخضر الذي أوكلت مهمة بنائه لشباب

الخدمة الوطنية، ثم تلت خطوة الحماية والمحافظة عملية استصلاح الأراضي المجذبة. وإجمالا

فإن الثورة الزراعية التي كان هدفها الأسمى القضاء على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، سعت

لأن تجعل من الفلاح عنصرا واعيا وأحد محركات التنمية، وأملت أن تبث فيه من روح الثقة ما

يحملة على تغيير محيطه" وصولا إلى "القضاء على التناقضات الاقتصادية والاجتماعية

الموروثة عن الاستعمار، وبالتالي خلق بنى جديدة للإنتاج تسمح بدخول مجموع الزراعة في

<sup>1</sup> - جبهة التحرير الوطني: المرجع السابق، ص 106.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 108.

السوق الوطنية<sup>(1)</sup>، وبهذا تكون الثورة الزراعية قد ساهمت في بناء الوطن والارتقاء به نحو الغد الأفضل على الأقل في بدايتها.

### ج- الثورة الصناعية:

على غرار الثورتين الثقافية والزراعية جاءت الثورة الصناعية لأحداث تغيير عميق في حياة الانسان وفي ذاته، وإعادة تشكيل المجتمع وتغيير ملامح البلاد، وقد ارتبطت السياسة التصنيعية في بدايتها" بما تركه المستعمرون من أملاك، ووحدات صناعية، فلم يقيم صانعو القرارات الاقتصادية حينذاك إلا بتطوير الشركات الأجنبية وتشبيدها، سواء بتجهيز قطاعاتها الانتاجية، أم بتعزيز استقلالها الاقتصادي<sup>(2)</sup>، وتحقيقا للاستقلال الاقتصادي شرعت القيادة السياسية في جملة من العمليات التأميمية، كتأميم المناجم سنة 1966، وتأميم المصارف سنة 1967، وتأميم المحروقات سنة 1971.

ورغم أن تطبيق الثورة الصناعية كان في مرحلة حكم الرئيس هواري بومدين إلا أن التوجه نحو السياسة التصنيعية كان سابقا على هذه الفترة، فقد حث ميثاق طرابلس 1962: " على التصنيع كوسيلة للتنمية بإنشاء الصناعات القاعدية الضرورية لإنجاز صناعة ثقيلة، توفر وسائل الإنتاج وتضمن تنمية طويلة الأجل"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - فوزية غربي: الزراعة العربية وتحديات الأمن الغذائي حالة الجزائر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2010، ص ص (130 - 131).

<sup>2</sup> - ناصر يوسف: مرجع سابق، ص 206.

<sup>3</sup> - محمد بالرابح: مرجع سابق، ص 57.

وباعتماد هذه البيانات اعتقد الرئيس بومدين أن الجزائر ستخرج بشكل كامل من دائرة التخلف وستصبح يابان الوطن العربي<sup>(1)</sup>.

وخلافا لمرحلة التسيير الذاتي فقد اعتمدت هذه المرحلة نظام التنمية المخططة الذي يقوم على وضع برنامج ورسم خطة تنموية محدودة الأجل ثم تقييمها عند نهايتها ومن ثمة الانتقال الى وضع ورسم خطة ثانية مكملة وهكذا.

وقد عرفت الجزائر مجموعة من المخططات نوجزها على النحو التالي<sup>(\*)</sup>:

المخطط	الأهداف
المخطط الثلاثي التجريبي 1969 /1967	انشاء قاعدة أساسية لنهضة حضارية واستكمال السيادة الوطنية من خلال تأسيس مجموعة من المشاريع الارتكازية والصناعية التحويلية وتخصص اعتمادات عالية لمختلف المشاريع بلغت قيمتها 96 مليار د ج.
المخطط الرباعي الأول 1973/1970.	التركيز على المسائل الاجتماعية والاقتصادية كالبطالة من خلال توسيع الاستثمارات وصدور المرسوم الخاص بالثورة الزراعية، والتأكيد على السيادة الوطنية من خلال تأمين المحروقات.
المخطط الرباعي الثاني 1977 /1974.	تنمية الاقتصاد الوطني من خلال التركيز على الاستثمارات الضخمة وتحقيق التوازن الاقتصادي

<sup>1</sup> - موسوعة ويكيبيديا العلمية، 15/06/2011، س:11:00د.

\*-الجدول من تصميم الباحث ومضامينه خلاصة تجميع معلومات من مصادر مختلفة.

الجهوي وتطبيق اللامركزية.	
تصحيح أخطاء المخططات السابقة، واتخاذ الاجراءات اللازمة للحد من التبعية الاقتصادية وتسديد الديون الخارجية والاهتمام أكثر بالزراعة (بناء سدود، تحسين طرق الري..) واعدت من أولويات النهوض بالاقتصاد والتوجه نحو تحسين الوضع الاجتماعي تحت شعار "من أجل حياة أفضل".	المخطط الخماسي الأول 1984 / 1980.
تحويل المزارع العمومية الى مستثمرات جماعية -العمل على تحقيق معدل تقدم سنوي يصل الى 3.4% -تحسين حالة التشغيل وتحسين وضعية استهلاك العائلات.	المخطط الخماسي الثاني 1989 / 1985.

ملاحظة: الفترة الممتدة من 78 الى 79 خصصت لتقييم المخططات السابقة ورسم المخططات

اللاحقة على ضوءه لتفادي أخطاء الماضي.

وخلاصة هذا العرض الموجز لمختلف المخططات الإنمائية، وإذا ما أردنا توصيفها فإننا

نقول بأنها سعت" من أجل تنمية شاملة ومنسجمة قائمة على أساس تخطيط علمي المفهوم

ديمقراطي التصميم، حتمي التنفيذ"<sup>(1)</sup>، وبين تناغم العملية والديمقراطية والحتمية وبين تناقضها

تناقضت خطى التنفيذ حتى بدا وكأنه يراوح مكانه.

<sup>1</sup>-جبهة التحرير الوطني: مرجع سابق، ص 42.



## 3-مرحلة الإصلاحات الاقتصادية وإعادة هيكلة المؤسسات:

منذ المخطط الخماسي الأول شرعت القيادة السياسية للبلاد بإدخال تعديلات على مخططاتها التنموية والقيام بإصلاحات تمس جوهر السياسة التنموية، وكان الباعث على هذا التوجه جملة دوافع اقتصادية كـ: (زيادة عبء المديونية، ضعف الاستثمار الوطني، تدهور اسعار البترول) وأخرى سياسية كـ: (التغير النوعي في هرم السلطة خاصة بعد أحداث أكتوبر 1988) وثالثه اجتماعية كـ: (تفاقم البطالة، وتعاضم مشكل السكن، ظهور الطبقة الاجتماعية)، هذه العوامل مجتمعة وغيرها دفعت أصحاب القرار السياسي في البلاد إلى التفكير في بديل تنموي يخفف عنها من حدة الضغوطات التي تواجهها ويحقق لها الاستقرار السياسي ويضمن استمرارها في حكم البلاد وإدارة شؤونها.

إن أهم ما ميز فترة الإصلاحات هو إعادة هيكلة المؤسسات الاقتصادية حيث صدر المرسوم 80-242 المؤرخ في 04/10/1980 الذي يؤكد على ضمان التطبيق الفعلي لمبادئ اللامركزية والاستعمال العقلاني للكفاءات والموارد المادية، وتسوية الأمور المالية لكل المؤسسات وتصفية ديونها وتبعا لإجراء إعادة الهيكلة جاء القانون رقم 88-01 المؤرخ في 12/03/1988 ليعمل على تجسيد استقلالية المؤسسات بمنحها الشخصية المعنوية واستقلالية الذمة المالية، وحرية إدارة علاقاتها التجارية واختيار شركائها ونوعية استثماراتها، فتحوّلت المؤسسات إلى شركات تساهمية مع بقاء ملكيتها للدولة<sup>(1)</sup>، إن مرحلة الإصلاحات الاقتصادية وإعادة هيكلة المؤسسات، أفصحت عن تغيير الايديولوجية الاقتصادية للدولة، وايدانا بانتهاء حقبة الجزائر الاشتراكية.

<sup>1</sup>- أونيس عبد المجيد أونيس: مرجع سابق، ص ص (318-320).

تقويم مرحلة الخيار الاشتراكي:

بالرغم من نبالة الأهداف التي رسمت لجزائر الخيار الاشتراكي، وبالرغم من تلك الشعارات المغرية المروجة للتوجه الاشتراكي مثل: من أجل تنمية شاملة ومنسجمة قائمة على أساس تخطيط علمي المفهوم ديمقراطي التصميم حتمي التنفيذ، والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان وليس العمل حقا فحسب بل هو أيضا واجب وشرف<sup>(1)</sup>.

وبالرغم من بعض الانجازات التي تحققت في ظل هذا الخيار مثل مجانية التعليم والاستشفاء واسترداد الثروات الوطنية وبناء قاعدة للصناعة الثقيلة وتحسين الوضع الاجتماعي للسكان خاصة بالنسبة للفلاحين، بالرغم من كل هذا، فقد أخفقت القيادة السياسية مبدئيا وإجراءيا في جملة نقاط جوهرية نوجزها على النحو التالي:

أ- الإخفاق مبدئيا:

لقد كان تبني الخيار الاشتراكي كنهج تنموي يمثل إخفاقا على المستوى المبدئي بوصفه نظرة عجلية وتوجه غير مدروس بعمق وبحيادية وموضوعية أملتة جملة معطيات سبقت الإشارة إليها<sup>(\*)</sup>، فالقيادة السياسية بتبنيها لهذا الخيار الاشتراكي وهو خيار ايديولوجي بامتياز - قامت بـ " استبعاد كل ماله علاقة بأسلمة التنمية الاقتصادية، الأمر الذي استدعى تهميش المنظرين للأسلمة، وإدراجهم في دائرة المعارضة، والحجر على أفكارهم"<sup>(2)</sup>، وقد كان نصيب المفكر مالك بن نبي من هذا الشيء الكثير، حيث اعتبرت كتاباته مبررة للاستعمار ومسوقة له.

<sup>1</sup> - جبهة التحرير الوطني: مرجع سابق، ص ص (39-43).

\* - أنظر دوافع الخيار الاشتراكي في هذا الفصل 160.

<sup>2</sup> - ناصر يوسف: مرجع سابق، ص 205.

وكما وقف التوجه الاشتراكي مانعا دون الاستفادة من الطروحات الإسلامية للتنمية، وقف كذلك التوجه قوميا نحو الدول العربية حاجزا آخر مانعا من الاستفادة من التجارب التنموية الإسلامية غير العربية، وبهذا اعتبرت الدول الإسلامية " غير معنية بهذا الاتجاه القومي، وهو ما أفضى إلى ترسيخ القطيعة الايديولوجية مع اندونيسيا غير العربية"<sup>(1)</sup>، وما قيل عن اندونيسيا ينسحب على ماليزيا وتركيا وغيرهم.

وإنطلاقا مما سبق يمكن القول بأن الخيار الاشتراكي لم يكن مرحبا به على الأقل عند النخبة المثقفة اسلاميا من علماء ومفكرين ومن ثم انبروا لمهاجمتها، وفي هذا الصدد نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب العلامة عبد اللطيف سلطاني وهو أحد أبرز رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -الموسوم بـ "المزدكية هي أصل الاشتراكية"<sup>(\*)</sup>.

#### ب-الإخفاق إجرائيا:

إن الهالة التي اضيفت حول التوجه الاشتراكي، وعدّه خيار لا رجعة فيه، ولا يقبل المساومة أو المزايمة، كل هذا أدى إلى وقوع البلاد في قبضة حديدية، ونشوء نزعة ديكتاتورية، ترفض النقد من أي جهة جاء ومهما كانت وجاهته، بل وتضع صاحبه في قفص الاتهام، مشكوكا في ولاءه وانتمائه.

<sup>1</sup>- ناصر يوسف: المرجع السابق، ص205.

\* - عبد اللطيف سلطاني، من أعلام الفكر والأدب في الجزائر وعضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولد في 08 يونيو 1902 بقريّة القنطرة ببسكرة، أحد رواد المدرسة الاصلاحية الدينية الجزائرية، جاهد بقلمه واعتقل ستة مرات، توفي في أبريل 1984 من مؤلفاته " سهام الاسلام" و " المزدكية هي أصل الاشتراكية" طبع بالمغرب سنة 1974.

ورغم أن القيادة السياسية كانت تجري تقييمات على مخططاتها الإنمائية إلا أن هذه التقييمات أو المراجعات لم تكن لتمس جوهر السياسة الإنمائية ذات التوجه الاشتراكي، ويمكن أن نوجز أهم الاخفاقات التي منيت بها مرحلة التسيير الاشتراكي في النقاط التالية:

\*تأمين جزء من أراضي ومواشي أصحاب الممتلكات الكبيرة فحيد دورهم الايجابي في التنمية الوطنية.

\*عدم الاهتمام بالفلاح في ريفه وتحويله إلى أجير في مستثمرة وساكن في قرية نموذجية.

\*المبالغة في الاعتماد على المحروقات وعدم تعزيز القطاعات الانتاجية الأخرى، لم يؤد إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي، وأبقى على تبعية البلاد للأجنبي لتأمين جميع احتياجاتها.

\*تحول التصنيع من وسيلة إنمائية إلى غاية ايدولوجية، والاهتمام به على حساب الزراعة.

\*غياب (في الأول) ومحدودية (لاحقا) الديمقراطية في إعداد المخططات الإنمائية.

### المرحلة الثانية: وجهة اقتصاد السوق

سبقت الإشارة إلى أن البلاد بعد مراجعة وتقييم لسياساتها التنموية في إطار المخططات المختلفة تبين لها خطأ بعض المبادئ وكذا بعض الاجراءات الاشتراكية التوجه، فشرعت في بعض الاصلاحات تحت مسمى إعادة هيكلة المؤسسات عضويا وماليا في سنة 1980 واستقلالية المؤسسات في نهاية الثمانينات 1988 إلا أن هذه الاصلاحات " لم تحقق الأهداف الأساسية المرجوة منها والمتمثلة خاصة في تحسين أداء الاقتصاد الوطني، ولم تؤد إلى تقلص في

المديونية الخارجية التي أصبحت تعيق كل المبادرات التنموية خاصة بعد الأزمة البترولية لسنة 1986<sup>(1)</sup>.

وأمام بقاء الأوضاع على حالها من تدهور على مستويات عدة: عجز مستمر في ميزانية الدولة، زيادة في الكتلة النقدية بدون مقابل، ندرة في السلع والمواد الضرورية، تدهور في قطاع الخدمات، وإذا أخذنا في الحسبان أن عمليات التطهير المالي للمؤسسات قد كلفت خزينة الدول أموالا طائلة مع كون النتائج المرتقبة كانت دون مستوى الأهداف المرجوة كل هذه الأوضاع آلمت على الدولة ضرورة اتخاذ التدابير التي تمكن من إصلاح الوضع، وهو ما أدى إلى اتخاذ إجراءات تمثلت خاصة في:

\* إجراء إصلاحات اقتصادية تكون مقبولة اجتماعيا وغير مفروضة.

\* وضع خطة عمل للتوجه التدريجي نحو اقتصاد السوق<sup>(2)</sup>.

وهكذا دخلت البلاد مرحلة جديدة مغايرة لما سبقها، حيث شرعت القيادة السياسية في خصوصية بعض المؤسسات الاقتصادية حينما تبين أن أسلوب الاستقلالية لم يحقق لتلك المؤسسات فعاليتها الكاملة.

<sup>1</sup> - عيسى مرزوقة: القطاع الخاص والتنمية في الجزائر، دكتوراه الدولة في العلوم الاقتصادية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية 2006-2007، ص139.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص118.

الخصوصية:

مثلا مثل كل المصطلحات في العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، فقد تعددت مفاهيمها وإن كانت تتقاطع في المعنى الجوهرى لها، وتماشيا مع طبيعة البحث فسندكتفي بذكر اثنين منها لعلهما الأكثر دلالة على جوهر المفهوم.

أ-الخصوصية لغة: من الفعل " خص، يخص خصا وخصوصا وخصوصية فهو خاص، الشيء تعلق بشيء معين عكس عم...ومنه الخاصة ج خواص، خلاف العامة"<sup>(1)</sup>، وبالاستناد لهذا المعنى اللغوي يكون معنى الخصوصية إخراج الملكية العامة من عموم القوم وقصرها على خواصهم، وهذا المعنى اللغوي لا ينأى بعيدا عن المفهوم الاصطلاحي حيث تعرف الخصوصية على أنها " توسيع الملكية الخاصة ومنح القطاع الخاص دور متزايد داخل الاقتصاد... وذلك من خلال قيام الدولة بتصفية القطاع العام كليا أو جزئيا، أو عن طريق عقود الايجار ومنح الامتيازات، كما يشير توسيع الملكية الخاصة إلى عدم الخروج السريع والمفاجئ أو بالانسحاب المباشر للقطاع العام من النشاط الاقتصادي، وإنما بانسحاب الدولة جزئيا وتدرجيا من التدخل في النشاطات الاقتصادية لصالح القطاع الخاص"<sup>(2)</sup>.

ب-المعنى الثانى للخصوصية يؤكد المعنى الأول ويضيف إليه تبيان الغاية من التحول من القطاع العام إلى القطاع الخاص فيعرف الخصوصية على أنها: " الوسيلة اللازمة للتخلص من

<sup>1</sup>-المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم: مرجع سابق، ص399.

<sup>2</sup>-أونيس عبد المجيد أونيس: مرجع سابق، ص340.

الوحدات والمؤسسات الاقتصادية العاجزة والمفلسة في القطاع العام، وتحويل هذه الوحدات والمؤسسات للقطاع الخاص سيؤدي إلى تحقيق إنتاجية وربحية معتبرة<sup>(1)</sup>.

وسواء أخذت الخصوصية هذا المعنى أو ذلك، فإنه مما لا شك فيه ولا خلاف حوله فإن الخصوصية تعني التحول من النهج الاشتراكي إلى النهج الرأسمالي سواء أكان هذا التوجه جزئياً أو كلياً.

#### عوامل الخصوصية:

لقد سبق الذكر في مطلع الحديث عن المرحلة الثانية (نحو اقتصاد السوق) بأن ثمة دوافع داخلية ساهمت في التوجه نحو خيار اقتصاد السوق، إلا أن جملة الدوافع الداخلية لم تكن بمعزل عن دوافع أخرى خارجية رجحت كفة التحول نحو الخيار الثاني (التوجه نحو اقتصاد السوق) على الثبات على الخيار الأول (الخيار الاشتراكي)، وتتمثل جملة هذه الدوافع الخارجية في ثقل المديونية التي ناهزت ستة وعشرين مليار دولار خاصة بعد الأزمة البترولية لسنة 86 حيث نزل سعر البترول إلى ما دون العشرة دولارات للبرميل الواحد.

ومن البديهي- في دولة اقتصادها يعتمد بدرجة شبه كلية على مداخيل المحروقات تصل نسبتها الى 98 و 99% أن تضعف الميزانية كلما تراجعت أسعار المحروقات في الأسواق الدولية، وهكذا وجدت البلاد نفسها مرغمة على اللجوء إلى المؤسسات المالية الدولية لتقترض منها ما يعينها على ترميم اقتصادها وإصلاح حالها.

<sup>1</sup>- أونيس عبد المجيد أونيس: المرجع السابق، ص340.

والمعروف لدى كل الدول أن هذه المؤسسات المالية الدولية، لا تبنى تعاملاتها مع الدول المستقرضة- على أسس إنسانية أو اجتماعية وإنما على ما تراه من شروط علمية وموضوعية يضمن لها هي من جهة استرداد أموالها ومردفة بفوائد، ومن جهة ثانية يمكن الدول المستقرضة- من تقويم مساراتها والنهوض باقتصادياتها.

وهكذا تهتبل المؤسسات المالية الدولية الفرصة لتملي شروطها على الدول المستقرضة ومن بين هذه الشروط، تخفيض قيمة العملة المحلية وتسريح عمال المؤسسات المفلسة، وتقليص عدد العمال في كل المؤسسات التي يفوق عدد عمالها العدد المقبول وفق المعايير العلمية لا الاجتماعية والانسانية.

وحيث أن هذه المؤسسات في كل ما تصدر عنه من مبادئ وتوجهات وكل ما يصدر عنها من قرارات وإجراءات إنما تعبر عن رؤى اقتصادية ذات توجهات رأسمالية، فإنه من أبرز التوجهات والتوصيات التي تؤكد عليها في إبرام عقودها مع الدول المستقرضة وجوب التوجه نحو اقتصاد السوق وفتح المجال نحو القطاع الخاص الداخلي والخارجي وكذا الدعوة إلى خصوصية القطاع العام للبلاد، ومن هنا كان التوجه نحو خصوصية المؤسسات في جزء منه قناعات داخلية أنشأتها المراجعة التقييمية لكثير من المؤسسات الاقتصادية والتي تبين عدم جدوى استمرارها بنفس الآليات التي كانت تسير بها، وفي الجزء الآخر كان التوجه نحو خيار الخصوصية بدوافع مملات فوقيا من قبل الهيئات والمؤسسات المالية الدولية التي ألجأتنا الحاجة إليها لاستقراض ما يمكن أن يساعد في قيام اقتصادنا المتعثر.



عوائق الخصوصية:

إن جملة العوامل الداخلية والخارجية -المشار إليها آنفا- التي حملت القيادة السياسية في البلاد على التوجه نحو اقتصاد السوق، وسلوك طريق الخصوصية بوصفه إحدى السمات البارزة للاقتصاد الرأسمالي التوجه، كل تلك العوامل لم توفر الشروط اللازمة والضرورية لنجاح عملية خصوصية المؤسسات.

وإذا أمعنا النظر في جملة الحواجز التي وقفت وتقف حاجزا دون نجاح عمليات الخصوصية، سنجد أن بعضها متعلق بطبيعة البناء الفكري- الفوقي والتحتي- لسكان البلاد، والبعض الآخر متعلق بجملة إجراءات تفتضيها عمليات الخصوصية - سابقة ومصاحبة لها- لم يشرع فيها بل ما تزال محل ريبه لدى صناع القرار.

وإذا عدنا للعوائق المتعلقة بطبيعة البناء الفكري فيمكن إرجاعه لـ: "الإرث التاريخي للجزائر في بناء مجتمع اشتراكي الذي كان يهدف إلى العدالة الاجتماعية، قد أصبح راسخا في الذاكرة الاجتماعية للجزائريين الذين ينظرون إلى المؤسسة العمومية على أنها ملك للمجتمع، كما أن بعض الأجهزة في السلطة لا زالت تنظر إلى المؤسسة الاقتصادية على أنها امتداد للسلطة السياسية، إضافة إلى عدم الاستقرار السياسي وتضارب الصلاحيات"<sup>(1)</sup>.

ومن المعلوم بداهة أن أي أمر يخوض فيه انسان أو جماعة أو دولة دون أن تكون هناك قناعة راسخة في جدواه لن يكتب له النجاح، بل سيكون محكوما عليه بالفشل من المنطلق إلا أن يحالفه الحظ أو تواتيه الصدفة، ولا مجال للحظ ولا للصدف في بناء الدول واعمارها.

<sup>1</sup>- عيسى مرزوقة : مرجع سابق، ص174.

إن التوجه نحو اقتصاد السوق بشكل عام وموضوع الخصخصة بشكل خاص كان من المفروض أن "يحظى برؤية تنموية شاملة ولا ينصرف الأمر فقط الى الملكية، إذ أن مستوى الكفاءة الانتاجية لا يرتبط وجوبا بكون الملكية عامة أو خاصة".<sup>(1)</sup>

أما على المستوى الاجرائي فان التوجه نحو اقتصاد السوق والخصخصة إحدى أبرز ملامحه، كان يقتضي استحداث تغييرات في جوانب عدة، تغييرات من شأنها أن توفر شروط نجاح الآليات الجديدة فكان ينبغي على الدولة " وضع سلسلة من الإصلاحات الملائمة تؤدي إلى تغيير السياسات الاقتصادية الكلية لأن الخصخصة في بيئة غير تنافسية يمكن أن تؤدي الى خلق مشاكل أكثر من تلك التي تعالجها".<sup>(2)</sup>

ومن بين الإجراءات التي كان من الواجب أن تصاحب عمليات الخصخصة، عدم احتكار الدولة للتجارة الخارجية وهذا لا يعني عدم مراقبتها كذلك عدم احتكار النظام المصرفي، وتخفيف القيود الجمركية من والى الجزائر، وقبل هذا كله كان من المفترض المرور بمرحلة انتقالية يعاد فيها النظر في آليات تسيير المؤسسات العمومية حتى تحسن من حالها وتصبح قادرة على دخول معترك الاسواق التنافسية وتقف على قدم المساواة مع مؤسسات القطاع الخاص الوطني أو الأجنبي.

#### مرحلة التسعينيات وما يليها:

مرحلة التسعينيات كان مخاضها في أواخر الثمانيات حينما شهدت البلاد احتقانا اجتماعيا نتيجة تردي الوضع الاقتصادي الناجم عن تدهور كبير في أسعار المحروقات، وكان ذروة ذلك

<sup>1</sup> - عيسى مرازقة: المرجع السابق، ص 179.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 180.

الاحتقان انفجار الوضع فيما عرف بانتفاضة 05 أكتوبر 1988، وقد كان لخطاب الرئيس الثاني الشاذلي بن جديد -رحمه الله- دور كبير في تهدئة الأوضاع حيث أعلن عن جملة إصلاحات اجتماعية واقتصادية وفتح الباب أمام الجمعيات السياسية إيذانا بانتهاء حقبة الحزب الواحد.

وبعد الأحداث المترتبة على انتخابات 91 ثم استقالة رئيس الجمهورية الرئيس شاذلي بن جديد، دخلت البلاد في مرحلة من الاضطرابات وعدم الاستقرار، بلغت ذروتها بالدخول في مرحلة من العنف المسلح.

وبدل أن تواصل البلاد مشروع الإصلاحات لإنعاش الاقتصاد المنهار، جاءت هذه المرحلة لتزيد في تفاقم الأوضاع حيث توقفت حركة النمو الاقتصادي من جراء التخريب الذي طال العديد من المؤسسات الاقتصادية وتدمير العديد من المنشآت والبنى التحتية، حتى المؤسسات التربوية طالها هي الأخرى كثير من التخريب والدمار، وظلت البلاد على هذه الحال سنينا طويلا، تشدد الأوضاع فيها حيناً وتخف حيناً آخر إلى غاية مجيء الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

#### مرحلة الرئيس بوتفليقة:

جاء الرئيس عبد العزيز بوتفليقة إلى سدة الحكم بعد فوزه في انتخابات 15 أبريل 1999 ووجد البلاد في حالة لا تحسد عليها، تردي في الأوضاع الاجتماعية، شلل في الأوضاع الاقتصادية وانسداد في الأوضاع السياسية، وفوق كل هذا استمرار العنف بين السلطة والجماعات المسلحة، فأدرك بثاقب فكره وخبرته وحنكته السياسية أن البلاد لن تسترجع عافيتها ولن تنهض من كبوتها إلا بعد عودة الاستقرار واستتاب الأمن في البلاد، فوضع هذا على رأس أولويات مشروعه للنهوض بالوطن ومما جاء في تصريحاته الأولى أثناء حملته الانتخابية قوله:

"جئت لأحمد نار الفتنة وسأخمدها" وكررها ثلاثا، " وبالتالي يجب أن يحظى الانشغال بالقضاء على العنف ويتجاوز الخلافات التي تشنبت بفعل الأزمة بالأولوية لدى السلطات العمومية"<sup>(1)</sup>.

وتحقيقا للإيمان بضرورة عودة الاستقرار قبل الخوض في أي مشروع تنموي، قدم الرئيس ميثاق السلم والمصالحة للتصويت عليه من قبل الشعب وكان ذلك بتاريخ 16 سبتمبر 1999، وهكذا أخذت البلاد تتعافى شيئا فشيئا، ومع هذا يبقى القطار التنموي منحرفا عن سكوته بفعل تحديات عدة كل واحد منها كفيل لوحده بعرقلة الانطلاقة التنموية سنينا، فهذه المديونية قد ناهزت الستة والعشرين مليار دولار، وإذا أضفنا لها الفوائد المترتبة عنها - خدمة الديون - تصبح عقبة كأداء تنسف أي مشروع تنموي.

التحدي الآخر يتمثل في تعرض " صورة الجزائر وسمعتها لاهتزاز بالغ من جراء الأزمة التي اجتاحتها وفرضت عليها الا تتعدى في الغالب المواقف الدفاعية أمام ضغوطات تعد من قبيل التدخل في شؤونها"<sup>(2)</sup>، فكان لزاما على من سيتولى إدارة شؤون البلاد العمل على "استرجاع ما يجب أن تتمتع به البلاد من تقدير في الخارج، وما يجب أن يبعثه الانتماء إلى الجزائر من الشعور بالفخر والاعتزاز في نفوس أبنائها"<sup>(3)</sup>.

ومع كل الجهود التي بذلت والتي نجحت في تخفيض الديون شيئا فشيئا وصولا إلى التخلص منها كليا -وقد ساعد في هذا ارتفاع أسعار البترول- ومع نجاح مشروع المصالحة الوطنية واسترجاع الجزائر لمكانتها الدولية، إلا أن الرئيس أطل على الشعب بتاريخ 23 من

<sup>1</sup>-برنامج ترشح عبد العزيز بوتفليقة 99 : جريدة الخبر، السبت 20 مارس 1999 الموافق لـ: 03 ذو الحجة 1419هـ، ص13.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص20.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص13.

رجب 1429هـ الموافق لـ: 26 جويلية 2008م في خطاب أمام المنتخبين المحليين ليقدّم نقدا ذاتيا لمشروعه النهضوي الاصلاحى التنموي معترفا بخطأ المنهج الذي سلكه في ادارة شؤون البلاد قائلا: " لقد سلطنا طريقا وكنا نحسب انه يوصلنا الى الجنة والآن لابد من مراجعة جذرية لأشياء كثيرة، بعدما تأكدنا أن هذا الطريق لا يقودنا الى الجنة"<sup>(1)</sup>.

ومع هذا النقد الذاتي لمسيرة حكمه ذكر الرئيس بوتفليقة بأن معدلات البطالة نزلت من 29٪ في بداية حكمه الى 11.2٪ وقال: " لقد أنجزنا منذ 1999 أشياء كثيرة ولو كنا نملك حماسا وإيمانا أكبر لكنا أنجزنا ضعفي ما حققناه"<sup>(2)</sup>.

#### تقويم عام لمسار التنمية في الجزائر:

لقد كان أفق الثمانينات حسبما أعلن مخطوط فترة ما بعد الاستقلال بمثابة تاريخ الإقلاع الاقتصادي، لكن اصحاب هذا التوجه اسقط في ايديهم وبالنظر للأمل الكبير للإقلاع الذي كان متوقعا، فإن الفشل الحاصل أصاب النخبة في الصميم كما الجماهير، وفتح السبيل لعهد من الانحطاط والانهيار النفسي الذي لخبط كل التحاليل وضع كل المعالم، كل هذا مضافا له الأزمة التي انطلقت من 88 وصولا الى 91 وما تلاها من أحداث، انما كان بفعل عدم التهيؤ لدى السلطة كما لدى الجماهير للمرحلة الجديدة، فلم يعرف الفرد حدود حريته وانطلاقه، كما لم تعرف السلطة حدود ومجال انسحابها ودرجته، أي جدلية الحقوق والواجبات بين السلطة والمعارضة حسب طبيعة المرحلة الجديدة<sup>(3)</sup>.

<sup>1-2</sup> ح.يس : بعد تسعة سنوات من الحكم الرئيس يعترف بالفشل، جريدة الخبر، الاحد 27 جويلية 2008م

الموافق لـ: 24 رجب 1429هـ، الجزائر، ص3.

<sup>3</sup> -Mostefa Boutefnouchet : Op. Cit, PP (268-271).

يضاف إلى ما سبق أن مراحل التحول في الجزائر، والتي سبقت الإشارة إليها<sup>(\*)</sup>، منذ 54 اتصفت أساسا بالقصر والسرعة، وحسب أطروحات ابن خلدون و ج قيرفتش فإن التحول الاجتماعي يتحقق عبر الاجيال من خلال فترات، تقدر كل فترة تقريبا بالثلاثين سنة، في حين أن مراحل أو أطوار التحول الاجتماعي في الجزائر تتناسب مع مراحل صغيرة بدل حقبة الجيل -ثلاثين سنة- فهي تطابق فترات جد مختصرة كطبقة عمرية من 5 الى 6 سنوات<sup>(1)</sup>.

وإذا كان هذا التقييم المقدم من قبل مصطفى بوتفوشات علميا ودقيقا فلماذا كانت فترة عشرين سنة كافية لماليزيا مهاتير محمد للانتقال إلى دولة مصنعة وتحتل مكانة مرموقة بين دول العالم<sup>(\*\*)</sup>، بينما لم تكف مجموع المراحل التي مرت بها الجزائر لتحقيق الانطلاقة المرجوة.

إن ما نوّد التأكيد عليه هنا أن معظم الباحثين المتخصصين وكذا رجال السياسة وإن تباينت وجهات نظرهم تجاه تعثر التجربة التنموية في الجزائر، واختلاف زوايا النظر التي تناولوا من خلالها الموضوع، إلا أن غالبيتهم يشيرون إلى أن جوهر المشكل سياسيا بالدرجة الأولى ويرجع أساسا لأخطاء مبدئية متعلقة بطبيعة التوجهات الاقتصادية المتبنات منذ الوهلة الأولى، مضافا إليها -بالطبع- اخفاقات على المستوى الإجرائي خصوصا منها ما تعلق ببعض الأساليب المعتمدة في إدارة بعض الجوانب الاقتصادية.

فقد ورد في أحد ردود الأستاذ أحمد طالب الابراهيمي في حوار أجري معه في حصة "بلا حدود" في تلفزيون "قناة الجزيرة" مساء الأربعاء 10 فيفري 1999 حول سؤال مفاده "كيف

\*- انظر التمهيد لهذا الفصل بدءا من الفقرة الثالثة.

<sup>1</sup> -Mostefa Boutefnouchet : Op. Cit, P 204.

\*\*- انظر الفصل الثالث ص151.

توفّقون بين حاجات الجزائر للتنمية وبين الضغوط الخارجية وتضارب التيارات الداخلية؟ فأجاب قائلاً: " نحن نعتقد أن الأزمة الجزائرية متعددة الجوانب فهي سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وأخلاقية ولكنني أؤمن أن العقدة الحقيقية هي العقدة السياسية، فإذا حلت هذه العقدة فبالإمكان أن نحسّن الأوضاع أمنياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً..."<sup>(1)</sup>، وإذا شئنا أن نتلمس بعض مؤشرات هذا الخلل السياسي فحتماً سنجد أنه قد طال جوانب عدة وموضوعات مختلفة، وسنكتفي هاهنا بالإشارة لما نحسبه أكثر أهمية.

لقد سبقت الإشارة بأن الأنظمة العربية، ورغم اختلافها في تبني مناهج وأنظمة غربية اشتراكية كانت أو رأسمالية، كانت في مجموعها أنظمة استبدادية عملت على اقضاء ان لم نقل اعدام المشاركة الشعبية<sup>(\*)</sup>، وابن خلدون حسبما جاء على لسان الدكتور أحمد طالب الابراهيمى يؤكد " أن الخلل في السياسة العربية يكمن في كون المنتجين بعبيدين عن الحكم، أو بعبارة أخرى أن المجتمع المدني بمفهومه السوسيولوجي الواسع مهمش، هذا المجتمع المكون من العمال الذين ينتجون اقتصاداً، ومن رجال الأعمال الذين ينتجون عمراناً، ومن المثقفين الذين ينتجون فكراً وعلماً وفناً، والحل في الجزائر يكمن في مشاركة هذه الفئات في صنع القرار وليس الاكتفاء بتطبيق القرار "<sup>(2)</sup>.

ويذهب البعض إلى أن اقضاء المجتمع المدني وتهميشه وعدم إشراكه بجدية في بناء الدولة وتحقيق التنمية فيها لا تؤاخذ فيه السلطة السياسية لوحدها بل يتحمل معها المجتمع المدني

<sup>1</sup> - أحمد طالب الابراهيمى: المعضلة الجزائرية الأزمة والحل ، ط4، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، 1999، ص214.

\*- انظر الفصل الثالث تحت عنوان غياب الديمقراطية، ص123.

<sup>2</sup> - أحمد طالب الابراهيمى : مرجع سابق، ص201.

نفسه جزء من المسؤولية ذلك أنه "مهما اتفقت الآراء والتحليلات على أن صلب الأزمة الجزائرية يتمثل في غياب التمثيل الشرعي للسلطة، وبالتالي استمرار غياب الوجه القانوني المجرد لمفهوم الدولة، فإنه مع ذلك لا يمكن فصل ذلك عن تخلف المجتمع ذاته الذي سمح بإمكانية وجود مثل هذه السلطة طوال عهود الاستقلال، لأنه لم يستغل كل الفضاءات التي يتيحها المجتمع المدني كسلطة موازية للسلطة السياسية"<sup>(1)</sup>.

إن الإقصاء للكفاءات الوطنية عن المشاركة الجادة في تنمية البلاد ذو أبعاد متعددة ونكتفي هاهنا بالإشارة لواحد منها لأنه خفي غير معلن وبالتالي فهو الأخطر، ونعني به البعد الثقافي السياسي الذي يتمثل في تسرب عناصر غير وطنية إلى سدة الحكم، عملت وتعمل على ربط البلاد بفرنسا المستعمرة وناضلت لكي تبقى الجزائر سوقا لفرنسا، فقد أكد الدكتور أحمد طالب الأبراهيمي في كلمته التي ألقاها أمام اللجنة المركزية المنعقدة في دورتها العادية بتاريخ السابع من سبتمبر 1990، والتي عنونها دروس من الهزيمة الانتخابية، فبعد أن استعرض الدكتور جملة من الأسباب المباشرة، عدد جملة من الأسباب وصفها بالعميقة، أولى هذه الأسباب قوله: "فتح الباب على مصراعيه غداة الاستقلال لكل جزائري له كفاءات أو شهادات بقطع النظر في مشاركته في حرب التحرير، مما جعل عناصر كثيرة من الأسر المتعاملة مع الاستعمار تتسرب إلى صفوفنا ونحن اليوم ندفع ثمن هذا الخطأ الفادح"<sup>(2)</sup>.

إن تسرب هؤلاء الفرنكوفيليين إلى سدة الحكم لم يكن عفويا، بل كان مخططا له، وأعدوا خصيصا لفترة ما بعد الاستقلال، ذلك أن البلاد غداة الاستقلال ستكون في حاجة ماسة لأصحاب

<sup>1</sup> - سليمان الرياشي وآخرون: الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ط2،

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1999، ص203.

<sup>2</sup> - أحمد طالب الأبراهيمي: مرجع سابق، ص31.



الكفاءات ليساعدها على إدارة شؤون الحياة، وهنا ستهتبل هذه الفئة من الفرنكوفيليين الفرصة لتعرض خبراتها، ومن ثم تعمل على إحكام سيطرتها على أمور البلاد، وتستكمل مشوار أمها فرنسا في العمل على طمس معالم الهوية الوطنية لإبقاء الجزائر موصولة بفرنسا رغم الاستقلال الظاهري... ويمكن القول بأن هذه الفئة قد نجحت فيما أخفقت فيه الأم فرنسا في اغتصاب الهوية الوطنية، لأن الشعب وهو مشغول بفرحة الاستقلال لن يتفطن لما يحاك له في الخفاء، ومع عودة الضمير وتنامي الشعور الوطني شيئاً فشيئاً بدأت الحقيقة تطفو إلى السطح و بدأ الشعور بفقدان الهوية، بعد الانسداد الذي انتاب السلطة بسبب مصادرتها لمقومات الأمة وعدم بلورتها في المشاريع التنموية الشاملة"<sup>(1)</sup>.

ولم يشفع للغة العربية - بوصفها إحدى المقومات الأساسية للهوية الوطنية- أن الموائيق والدساتير الرسمية قد نصت على حرمتها ومكانتها السامية فقد جاء على سبيل المثال في الميثاق أن " اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري، ولا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية التي تعبر عنها ولهذا فإن تعميم استعمال اللغة العربية وإتقانها كوسيلة عملية خلاقة، يشكلان إحدى المهام الأساسية للمجتمع الجزائري في مجال لتعبير عن كل مظاهر الثقافة..."<sup>(2)</sup>.

فمثل هذه النصوص وغيرها كتلك التي دلت على كون العربية هي اللغة الوطنية والرسمية... لم تمنع من اقصائها والحيلولة دون أن تكون لغة العلم والثقافة، ولا يخفى على أحد " أن الفرنكوفونيين (دعاة الابقاء على اللغة الفرنسية كلغة تداول إداري وثقافي واقتصادي في الجزائر، لم يكونوا بعيدين عن مسؤولية حرمان المجتمع من التطور العادي مع العربية كلغة

<sup>1</sup> - سلميان الرياشي: مرجع سابق، ص 196.

<sup>2</sup> - جبهة التحرير الوطني: مرجع سابق، ص ص (43-44).

تداول تساعده على التنمية الاقتصادية والافصح عن شخصيته القاعدية، ومن توظيف عمقه التاريخي والحضاري في التفاعل مع الوطن العربي والعالم الاسلامي، فالجزائر هي البلد الوحيد في الوطن العربي الذي حرم من الثقافة العربية زمن الاحتلال، وحرم أيضا بعد الاستقلال، وعن قصد سافر بعد مرحلة السبعينات، بسبب تولي النخبة الفرنكوفونية زمام السلطة اللغوية والسيطرة على الاقتصاد والادارة والاعلام"<sup>(1)</sup>.

إن هذا الكلام الذي نقلناه عن محنة اللغة العربية في الجزائر المستقلة ليس مجرد إدعاءات، فهناك شواهد من الواقع تدعمه وتسنده، فمعظم المتابعين للشأن اللغوي في الجزائر يعملون أنه قد صدر قانون رقم 05/91 مؤرخ في 30 جمادى الثانية عام 1411 الموافق لـ 16 يناير 1991 ينص على وجوب تعميم استعمال اللغة العربية في جميع الإدارات والمؤسسات وفي جميع المراسلات، لكن هذا القانون كما ذكر الدكتور عثمان سعدي لم يعمر طويلا ، ذلك أن اللوبي الفرنكوفوني عمل على تجميده بمرسوم رقم 02/92 مؤرخ في 04/07/92 الصادر عن المجلس الاستشاري الذي كان يرأسه رضا مالك"<sup>(2)</sup>.

ولقد سجل التاريخ الفضل للسيد اليمين زروال في إلغاء التجميد بالأمر رقم 30/96 الصادر في 21 ديسمبر 1996، وللأسف فبمغادرة السيد اليمين زروال للسلطة جمد القانون مرة أخرى وبدون مرسوم أو أمرية، وحول المجلس الأعلى للغة العربية، الذي مبرر وجوده تطبيق القانون، إلى هيئة استشارية، كما تحول مجمع اللغة العربية الجزائري إلى هيكل ميت يتكون من رئيسه فقط، فهو المجمع الوحيد في العالم وفي التاريخ الذي يتكون من رئيسه فقط دون برنامج

<sup>1</sup> - سليمان الرياشي: مرجع سابق، ص198.

<sup>2</sup> - موقع معهد الهقار: 2012/11/28 ، س: 18 و 30 .

ودون نشاط ودون إنتاج طوال ثماني سنوات وهذا يعتبر قمة العبث بلغة الضاد في بلد المليون ونصف المليون شهيد الذين ضحوا من أجل الجزائر بإسلامها وعروببتها<sup>(1)</sup>.

شاهد آخر نضيفه إلى ما سبق وهو شاهد كثيرا ما تكرر في جزائر الاستقلال، ونعني به تعدد كثير من المسؤولين الساميين في مختلف الحكومات الجزائرية، من فجر الاستقلال إلى يومنا هذا- الكلام باللغة الأجنبية الفرنسية، داخل الوطني وخارجه، وفي مواقف تمثيلية رسمية، ومن هذه المواقف ما رواه الأستاذ محمد الهادي الحسيني<sup>(\*)</sup>، في إحدى مقالاته عن وضع اللغة العربية في الجزائر، مقارنا بين شخصيتين: أولهما شخصية المناضل الكبير أحمد بومنجل من مواليد جرجرة عام 1906 وخريج كلية الحقوق جامعة السربون، والذي شغل منصب وزير للأشغال العمومية بعد الاستقلال وتوفي سنة 1984.

حضر هذا الوطني الأصيل ندوة لجمعيات من دول البحر المتوسط عقدت في أواخر الخمسينات بمدينة روما، وألقى فيها كلمة - بوصفه ممثلا للجزائر- بلسان عربي مبين، فدهش أحد المقربين منه وهو الأستاذ محمد عزيز الحبابي المغربي استاذ بجامعة الجزائر، فسأله عن سر هذه الفصاحة وهو المفرنس اللسان، فأراه المداخلة فإذا هي كلام عربي مسطور بأحرف لاتينية أملاها عليه الشيخ محمد البشير الابراهيمي، ثم قال هذا الجزائري الشهم "أنني أمثل الجزائر والجزائر الحقيقية لا يمثلها أعجميو اللسان".

<sup>1</sup> - منتدى الجلفة: 2012/11/28، س: 18: 30 د .

\* - محمد الهادي الحسني من مواليد 47/09/05، بولاية جيجل، خريج كلية الآداب قسم التاريخ بجامعة الجزائر شغل وظائف ومهام كثيرة، كتب العديد من المقالات في السياسة والثقافة والاجتماع، من مؤلفاته " من وحي البصائر"، " أشعة الشروق" و" الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة".

أما الشخصية الثانية فلا تحتاج إلى تقديم لأنها ما تزال تشغل مناصب سيادية في البلاد، ونعني بها شخصية وزير الخارجية السيد مراد مدلسي الذي يصر على تمثيل الجزائر والتحدث باسمها وباسم شعبها بغير اللغة العربية، اللغة الوطنية الرسمية ومن بين المحطات التي مثل فيها الجزائر باللغة الفرنسية خطابه أمام البرلمان، وأمام البرلمان الفرنسي ثم في ندوة اصدقاء سورية في الجمهورية التونسية، ولا معنى لهذا ولا تفسير إلا أنه يهين شرف الدولة التي يمثلها ويهين كرامة الشعب الذي ينتسب إليه ويهين الدستور الذي يحتكم إليه<sup>(1)</sup>، هذه بعض التوجهات السياسية المستبطنة لأبعاد ثقافية والتي ألفت بظلالها على التجربة التنموية في الجزائر وكانت من بين العوامل المساهمة في اخفاقها.

إن بعض ما يفسر هذا المساس بمقومات الهوية الوطنية في جزائر الاستقلال يرجع لطبيعة المرحلة الاستعمارية يقول جمال قريد، فلا شيء في الجزائر يشبه ما حدث في المغرب وفي تونس اللتين عرفتا بعض التطور المتقارب خاصة ما تعلق بالحفاظ على التنظيم الاجتماعي والسياسي وكذا الثقافي، والأمر نفسه بالنسبة للهند التي رغم احتلالها خلال قرن ونصف من طرف بريطانيا، لم تضيع أبدا هويتها العميقة، لا شيء من هذا حدث في الجزائر التي عمل فيها المستعمر على تهديم كل الأبنية الاجتماعية ورفض فيها كل مظاهر التمدن ولو كانت بسيطة، والموروثة عن العهد العثماني، فهذه الطبيعة العنيفة من قبل المستعمر وخلال قرن ونيف القت بظلالها حتى على جزائر ما بعد الاستقلال، فالاختيار الاشتراكي كان توجهها عنيفا والتوجه الليبرالي بعده كان متوحشا ثم عصيان مدني اسلامي طويلا ودمويا<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد الهادي الحسني: من أحمد بومنجل إلى مدلسي، الشروق أون لاين، 2012/07/19، س: 16 و 30.

<sup>2</sup> - Djamel Guerid : **L'exception Algérienne: La modernisation à l'épreuve de la société**, casbah éditions, Alger, 2007, PP(22-21).

أزمات أجلت من أيام حرب التحرير، وترتبت عليها أزمات أخرى بعد الاستقلال، ولكن كيف كانت السلطة تتعامل مع هذه الأزمات وخصوصا مع الأزمة الأخيرة، يقول الأستاذ المرحوم عبد الحميد مهري: "إن الاستئصال والاقصاء وتوجيه الاعلام وسائل استعملت كلها في محاولة الخروج من الأزمة... ورغم الوسائل التي استعملت من قبل السلطة (من استئصال واقصاء واستعمال الحوار بطريق سلبي) فقد كانت هناك فرص حقيقية للخروج من الأزمة... وكانت قادرة على إعادة السلم وعلى الوصول إلى حل حقيقي للأزمة مع تحقيق الضمانات لكل الأطراف، هذه الفرصة ضاعت لأن السلطة تعتقد أن هناك حلا واحدا للأزمة، وهو الاستئصال"<sup>(1)</sup>.

هذه الأزمات وغيرها كانت بمثابة كوابح تحد من سرعة دوران عجلة التنمية، ورغم الخمس عشرة سنة التي قضتها البلاد في الإصلاحات والاصلاحات المضادة، فإن الجزائر بقيت غير قادرة على الادعاء بتأسيس اقتصاد سوق، حيث لا وجود لأسواق بنكية ولا سوق للبورصة ولا للعملة ولا سوق للعقار وغيرها، بمعنى لا وجود لأي من العناصر المهيكلة لاقتصاد السوق وقصد تفعيل الإصلاحات فان المستثمرين الأجانب يطالبون وقبل مباشرتهم لعملهم، بالتعامل بجدية مع كل مطالب واحتجاجات المتعاملين الاقتصاديين وطنيين كانوا أو أجانب، وأن يتوقف الاقتصاد نهائيا عن أن يكون ضحية للسياسة، ويجب حتما أن يشتغل حسب الآليات العالية للسوق، وأن تلتزم بصرامة- الدولة بدورها التوجيهي... هذا هو السبيل الوحيد للحفاظ على الاقتصاد من أهواء السياسة وعدم الاستقرار الحكومي"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>- سليمان الرياشي : مرجع سابق، ص183.

<sup>2</sup> -Norddine Grim : L'économie algérienne otage de la politique, casbah éditions, Alger, 2004, PP (8-11).

هذه الآراء نسوقها لزيادة التأكيد على التأثيرات السلبية للسياسة على العملية التنموية، وليس إيماننا بما جاء فيها من ضرورة التنحي الكلي للدولة وعدم تدخلها في العملية الاقتصادية. وأمام هذه المعضلات فإن البلاد تسعى للخروج من هذه الأزمة ووضع حد لحالة الشلل، وباختصار فالجسم الاجتماعي يتفاعل مع الأزمة التي هزته، وفي مرحلة أولى يكفي تقبل أن الجسم لا يستطيع صرف وإبعاد فوري للأزمة ودون آجال، ولكن أن يكون هناك تجاوب، بأن يرفضها وأنه لا يستطيع مواصلة العيش معها دون خسارة هويته نفسها... باختصار يجب في هذه المرحلة الأولى. تقبل حقيقة أن هناك وعي بالأزمة<sup>(1)</sup>.

ولا نحتاج لجهد كبير لكي يحصل لنا وعي بهذه الأزمة المتعددة الوجوه... وإن كان الوجه السياسي هو الذي يظللها، فما قرأ وقرأ على صفحات الجرائد من جرائم النهب لثروات الأمة كفيل بأن يقنع أكبر المعاندين بأن البلاد وباستمرارها في هذا النهج تسير نحو الهاوية ويكفي هنا أن نشير الى فضيحة " سوناطراك التي هزت صورت الجزائر<sup>(2)</sup>، وكذا فضيحة الـ(26) مليار التي تحدث عنها الوزير السابق عبد الحميد الابراهيمى وذكرها رئيس الحكومة الأسبق سيد أحمد غزالي في كتابه<sup>(3)</sup>، مثل هذه الجرائم وغيرها قوبلت بغياب الإرادة السياسية لمحاربة الفساد في البلاد.

وختاماً نشير إلى أن رئيس الحكومة الأسبق السيد أحمد بن بيتور قدم دراسة أوضح فيها نقاط القوة والضعف للدولة الجزائرية، وبين بأن ضعفها وانحرافات متعلقة أساساً بالاختيارات الاقتصادية السيئة، والوضع العام لعمل المؤسسات وكذا الإدارة الضعيفة لعملية التغيير وأكد

<sup>1</sup> –Mostefa Boutefnouchet : **La société Algérienne en transition**, Op .Cit, PP(127– 126).

<sup>2</sup> –زينب مكي : خليل: فضيحة "سونطراك" هزت صورة الجزائر، الفن أون لاين 2010/3/18، س: 12 و30.

<sup>3</sup> –Sid Ahmed Ghozali : **Question D'état**, casbah Edition, Alger, 2009 ,PP (233-238).

على مسؤولية المسيرين للبلاد في كل ما حدث وأنه يجب عليهم -ودون تأخير- أن يستغلوا الفرصة التي تمنحها لهم الوفرة المالية من أجل القيام بالإصلاحات الضرورية، ذلك أن انهيار النظام الاستبدادي هو حتمي والقطيعة معه ضرورة ملحة، كما بين بأن الدولة الجزائرية اليوم تحمل كل مواصفات الدولة الواهنة العاجزة، وأنها ستتهاوى خلال العشرية 2020/2010 نحو دولة فاقدة لمعظم مقوماتها باختصار دولة منحطة، فالمجتمع الجزائري قد فقد أخلاقه الجماعية، وهو يتجه خلال الفترة نفسها باتجاه تفكك الأمة، وحينها سيصبح العنف هو الوسيلة الوحيدة لتسوية النزاعات والصراعات، وليس إلا التغيير السلمي القادر والكفيل بتجنيب البلاد هذه الكارثة المتوقعة.

ومع هذا كله يفتح السيد بن بيتور بابا للأمل فيقول بأن هناك مراحل في تاريخ الأمم تتاح فيها الفرص للتغيير، وهي بمثابة موعد مع القدر (المستقبل)... واستغلال هذه الفرص يعني فتح السبيل نحو التقدم والازدهار... وتضييعها يعني اتباع الطريق نحو البلبلة والفوضى.

إن الجزائر تعيش -حسب رأيه- وفي السنوات القليلة المقبلة على موعد مع قدرها(1)!!

### خلاصة الفصل:

لقد خاضت جزائر ما بعد الحقبة الاستعمارية تجربة تنموية تبنت فيها النهج الاشتراكي كمذهب اقتصادي واجتماعي وسياسي، حقق لها بعض المكاسب كبناء قاعدة صناعية ثقيلة واستقرار نسبي خلال عقد من الزمن وأزيد بقليل، تطلعت خلال هذه الفترة لأن تكون يابان افريقيا أو العالم العربي... وبوفاة مهندس هذه الحقبة الاشتراكية بدأت الجزائر تغير نسبيا

<sup>1</sup> -Ahmed Ben Bitour : **Radioscopie de la Gouvernance Algérienne**, 2<sup>ème</sup> Edition, les Edition Edif, 2000, Alger 2011, PP (219-220).

قناعاتها الايديولوجية، وتدخّل بعض التعديلات -الاصلاحات- على نهجها الاقتصادي، وشيء من الإرادة الواعية والقناعة الراسخة المستوحاة من حقائق الواقع ومتغيرات البيئة الداخلية من جهة، وبشيء من الاكراهات الخارجية الضاغطة ومتغيرات البيئة العالمية من جهة ثانية، بدأت البلاد تخطو بخطأً حثيثاً نحو آليات اقتصاد السوق وتتأى أكثر فأكثر عن النهج الاشتراكي المتهالك.

وإذا كان النهج الأول -الاشتراكي- قد حقق لها بعض النجاحات والاستقرار النسبي فإن التوجه الثاني والظروف الاقتصادية الدولية التي أحاطت به، أحدثت في داخلها بلبلة وأدى إلى تفكك أبنيتها الاجتماعية التي كانت متماسكة فيما مضى ولو نسبياً، وقد بلغت هذه الحال من اللااستقرار ذروتها بتفجر الأزمة السياسية في مطلع التسعينات، والتي انتشرت بجلباب العنف المسلح الدامي قرابة عقد من الزمن، شلت فيه كل مظاهر التنمية، وخرب كثير مما قد بني سابقاً ونهبت ثروات كثيرة، ولعل أسوأها الإحباطات النفسية التي سكنت قلوب ونفوس الكثيرين من أبناء هذا الوطن.

ثم أتيح للبلاد مرة أخرى فسحة للأمل من خلال إرادة سياسية قادتها نحو الوئام والمصالحة فأخذت تتعافى شيئاً فشيئاً وتسترجع بعض ثقة الشعب في نفسه وفي وطنه إلا أن العجلة التنموية المنشودة لا تزال مفقودة، والبلاد على حد قول أحد أبنائها وممن خبر سياساتها ويدرك عظم مقدراتها- على موعد مع قدرها خلال هذه العشرية 2020/2010، ونرجو أن يكون نحو الاستقرار والازدهار.



# الفصل الخامس

الدراسة التحليلية واجراءاتها

المنهجية

## الفصل الخامس: الدراسة التحليلية واجراءاتها المنهجية

-تمهيد

أولاً: منهج الدراسة

ثانياً: مجتمع البحث

ثالثاً: تحليل مؤلفات بن نبي

1- أسس التنمية.

2- مقوماتها.

-خلاصة.

تمهيد:

عنون هذا الفصل بالدراسة التحليلية وليس الدراسة الميدانية وذلك تماشياً مع طبيعة هذا الموضوع البحثي، فالبيانات المراد جمعها والتوصل إليها ليست موجودة في الواقع الاجتماعي<sup>(\*)</sup>، ولن نستقيها من مفردات إنسانية، وإنما هي مبنوثة في محتويات كتب، ومضامينها مخرجة في كلمات وجمل وفقرات، ومن هنا كانت الدراسة تحليل لتلك الأوعية المعرفية، وسبيلنا لاستخلاص محتوياتها والوقوف على مضامينها ليس إلا المسح والاستقراء لتلك الأوعية والغموض فيها تحليلاً وتدقيقاً.

ومن هنا فإن محتويات هذا الفصل ستنتقل أولاً من تعليل اختيار المنهج وتوضيح إجراءاته، يليها تحديد مجتمع الدراسة، ثم الشروع في تحليل محتوى مؤلفات المفكر مالك بن نبي لاستخلاص مضامينها ذات الارتباط الوثيق بموضوع الدراسة.

أولاً: منهج الدراسة

تدرج هذه الدراسة من جهة ضمن الدراسات الكيفية الكشفية (البحوث النوعية) التي تفترض حقائق وظواهر اجتماعية يتم بناؤها من خلال وجهات نظر الأفراد، ومن هنا ينصب الاهتمام أكثر على حصر معنى الأقوال التي يتم جمعها.

وتماشياً مع طبيعة الدراسة فقد اعتمدنا مقاربة منهجية تحليلية تقوم بالأساس على أسلوب التحليل الغرضي الذي يعرف على أنه "عملية تحليل مركبة خاضعة لترتيب يحدده الباحث حسب موضوع بحثه، وليس لترتيب أو تسلسل المواضيع الواردة في النص"<sup>(1)</sup>.

\* وإن كالمضمونها الموجود في الكتب مستقى من الواقع الاجتماعي.

<sup>1</sup> - مارلين نصر: التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1990، ص39.

إن موضوعية وعلمية التحليل الغرضي تتجلى في كثرة الاستشهادات التي تساق تدعيماً وتأكيدياً لصحة ما يذهب إليه الباحث في تحليلاته، ومع ذلك يوجه لهذا الأسلوب نقداً مفاده أن عملية التحليل " تركز على قراءة انتقائية غير شاملة لنص المادة المدروسة، وعملاً بهذا الأسلوب فإن كل باحث يختار من النص المدروس ما يشاء"<sup>(1)</sup>.

وتفادياً لهذا النقد فإن الطالب قام في دراسته بعملية مسح شامل لجميع كتابات المفكر مالك بن نبي، ومسح شامل لكل ما ذكره مما له علاقة بموضوع الدراسة وهو " التنمية" وعض النظر عن باقي الموضوعات المتناولة في كتابات مالك بن نبي لأن مجالها الوصف الغرضي وليس التحليل الغرضي.

وبهدف تجنب الذاتية والاقتراب من قراءة أكثر موضوعية -إلى جانب المسح الشامل لكتابات بن نبي في موضوع الدراسة- دعم الطالب بحثه بقراءات وتحليلات كل المهتمين بفكر المفكر مالك بن نبي.

يبقى لنا أخيراً أن نشير إلى بعض الدراسات التي اعتمدت أسلوب التحليل الغرضي فنذكر دراسة تحت عنوان " قراءة قومية ناصرية"<sup>(2)</sup>، لأحمد صدقي الدجاني وقد سبق ذكره في المقاربات التتموية العربية الحديثة<sup>(3)</sup>.

دراسة تحت عنوان " عبد الناصر وجيله" للمستشرق فاتيكيو تيس<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>- مارلين نصر: المرجع السابق، ص36.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص31.

<sup>3</sup>- انظر الفصل الأول، مقاربة الدجاني، ص61.

<sup>4</sup>- مارلين نصر، مرجع سابق، ص32، وفاتيكيوتيس مستشرق من أصول يونانية ولكنه ولد في فلسطين إبان الانتداب البريطاني، من مؤلفاته: الإسلام والدولة، الأوتوقراطية الشعبية في اليونان، نظرية الفاطميين للدولة، وعبد الناصر وجيله توفي 1998.

ودراسة تحت عنوان " إشكالية الحضارة وأزمة مجتمعات العالم الإسلامي من منظور مالك بن نبي"(\*) لموسى لحرش.

### ثانياً: مجتمع البحث

سبقت الإشارة إلى أن البيانات المطلوبة في هذه الدراسة لن تستقى من مفردات إنسانية وإنما تستوحي مفرداتها وتستقي مضامينها من أوعية معرفية، وبالنظر لمستوى الموضوعية التي سعي الطالب لتحقيقها فقد كان المسح شاملاً لجميع مؤلفات المفكر مالك بن نبي ولم يقتصر على عينة منها، وقد اعتمد الطالب في حصر مؤلفات بن نبي على ما قدمته دار الفكر السورية التي عنيت بجمع مؤلفاته وطبعها أكثر من غيرها من دور النشر وهذه هي مجموع الكتب كما تعرضها دار الفكر على ظهر الصفحة الخارجية لمجموع المؤلفات:

- 1- بين الرشاد والبتة.
- 2- تأملات.
- 3- دور المسلم ورسالته.
- 4- شروط النهضة.
- 5- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة
- 6- الظاهرة القرآنية.
- 7- الفكرة الإفريقية الآسيوية.
- 8- فكرة كمنولث إسلامي.
- 9- في مهب المعركة.
- 10- القضايا الكبرى.
- 11- مذكرات شاهد القرن.
- 12- المسلم في عالم الاقتصاد.
- 13- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.
- 14- مشكلة الثقافة.
- 15- من أجل التغيير.
- 16- ميلاد مجتمع.
- 17- وجهة العالم الإسلامي.

\* - الأطروحة واردة ضمن الدراسات السابقة، الفصل الأول، ص 65.

## إجراءات العملية التحليلية:

اعتمد الباحث في دراسته هذه على مستويين من المسح التحليلي:

## 1-المستوى الأول:

في هذا المستوى قام الباحث بتحليل جميع مؤلفات المفكر مالك بن نبي لتحديد أي المؤلفات التي تضمنت حديثاً مفصلاً أو إشارات واضحة لموضوع التنمية الشاملة، وعند الانتهاء تم الاستغناء عن كتابين لم ترد فيهما إشارات مباشرة لموضوع التنمية، وهذان الكتابان هما: الظاهرة القرآنية ومذكرات شاهد القرن.

## 2-المستوى الثاني:

وفي هذا المستوى قام الباحث بقصر عملية التحليل على الكتب التي تضمنت حديثاً مفصلاً أو إشارات مباشرة لموضوع التنمية الشاملة، وقام بدراستها مرة ثانية لحصر جميع ما ورد فيها مما له علاقة بموضوع الدراسة، ثم قام بتصنيف مجمل أقوال المؤلف حول موضوع التنمية وتم إدراجها تحت عناوين كبرى هي: ماهية التخلف، أسس التنمية ومقوماتها.

## ثالثاً: تحليل مؤلفات بن نبي

صحيح أن كتابات المفكر مالك بن نبي جاءت كلها تحت مسمى مشكلات الحضارة إلا أنه تناول من خلالها موضوعات كثيرة، فتحدث عن الثقافة، ومشكلة الأفكار، وتحدث عن وحدة الشعوب الإسلامية وشعوب العالم الثالث وقضايا الاستعمار والاستقلال، كما عالج مشكلة الديمقراطية والسياسة والأخلاق والاقتصاد والمرأة وغيرها.

واستناداً لطبيعة المنهج المعتمد وإجراءاته، فلن يكون حصر الموضوعات المتناول وكيفية ترتيبها مطلوباً فهذا شأن الوصف الغرضي، وإنما سننتهج نهج التحليل الغرضي، وقد سبق تبيان الفرق بينه وبين الوصف الغرضي أثناء الحديث عن المنهج، وعليه فإن الموضوعات التي

ستستوقفنا أثناء تحليل مجموع مؤلفات بن نبي، هي الموضوعات ذات الصلة الوطيدة بموضوع الدراسة ألا وهو التنمية، وبالرغم من كون الدراسة كيفية لا كمية إلا أن الباحث ارتأى تدعيم بحثه ببعض الأرقام على سبيل الاستئناس لا غير، وللتأكيد على مدى حضور الموضوع في وعي المفكر.

إن الذي فرض موضوع التنمية على الهيئات العلمية والدوائر الرسمية للبحث فيه، إنما هو ظاهرة التخلف التي ألفت بكلها على الواقع الاجتماعي والاقتصادي لكثير من الدول بعد الحرب العالمية الثانية، ومن ثم فإن كل متحدث في الشأن التنموي لابد وأن يسبق حديثه، ويمهد له بتحديد ماهية التخلف وبيان أسبابه.

#### ماهية التخلف عند بن نبي:

إن انتماء المفكر مالك بن نبي -بوصفه مفكراً عربياً مسلماً- للمدرسة المقاصدية، يجعله لا يهتم كثيراً بالتحديدات والتعريفات ذات الطابع الأكاديمي -وإن كان لا يهملها كلياً- وإنما يعمد إلى الشيء فيحدده من خلال تبيان آثاره أو حصر مقوماته وأسس، ونشير بداية إلى أن كلمة التخلف قد وردت في جميع مؤلفات بن نبي وترددت أكثر من مائتي (200) مرة.

وورودها بهذا العدد يوحي بتغل الموضوع في تلك الكتابات، وبعيدا عن المؤشرات الاقتصادية لمشكل التخلف فإن بن نبي يحدده على " أنه الحالة الاجتماعية التي يكون عليها انسان ما قبل الحضارة، الانسان الذي يضع مشكلاته في حدود الأشياء"<sup>(1)</sup>.

والإنسان الذي يضع مشكلاته في حدود الأشياء هو إنسان لم يخرج من صبيانيته وهذه الأخيرة تتطابق " مع سن نفساني معين، وهو السن الذي لم يدخل فيه الطفل بعد إلى عالم

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: تأملات، د ط، دار الفكر، دمشق، سورية، 1406 هـ / 1986م، ص58.

الأفكار<sup>(1)</sup>، ومن ثم فهو لا ينزع إلا إلى الأشياء مع نهم تكديسها، وليت هذه الشئبية توقفت به عند حدود الضروري من الحاجات التي تقوم عليها الحياة بل قد تعدتها إلى تكديس الكماليات.

وبعد توضيح طبيعة الأمر الذي يريخ في قيوده الإنسان المتخلف والتأكيد على أنه أمر نفساني صبياني ينزع بصاحبه دوما نحو الشئبية، يؤكد بن نبي على أن جوهر المشكلة بالنسبة لهذا الإنسان هو تعطيل جهازه الفكري، وبتعطله تعطلت جميع الأدوات من حوله والتي كان من الممكن الاستفادة منها لتأمين حاجياته الافتقارية أو الارتقائية، ومن هنا يرى بن نبي بأن "المجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص في الوسائل المادية (الأشياء) وإنما بافتقاره للأفكار، يتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه، بقدر متفاوت من الفاعلية، وفي عجزه عن إيجاد غيرها، وعلى الأخص في أسلوبه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق، عندما يتخلى عن أي رغبة ولو مترددة بالتصدي لها"<sup>(2)</sup>.

إذن فمسألة التخلف ليست رهينة وفرة الوسائل بقدر ما هي لصيقة بعطب الجهاز الفكري المنوط به ابتكار الوسيلة وإيجادها من عدم، ثم تبيان كيفيات استعمالها وحدود الاستفادة منها، والواقع يؤكد أن شعوب كثيرة كانت تنام على مخازن من ضروب الخيرات، فلا هي اهتدت إلى إخراجها من بعد عدم ولا هي استطاعت أن تنتفع بما هو ظاهر للعيان منها، ومن هنا كان التخلف "مشكلة الإنسان الذي لم يتعلم طريقة استعمال وسائله الأولية التي هي التراب والزمن بصورة فعالة، أو هو قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال، مع ملاحظة أن فعالية الإنسان بالذات هي التي

<sup>1</sup> -مالك بن نبي: القضايا الكبرى، ط9، دار الفكر، دمشق، سورية، 1430 هـ/ 2009م، ص96.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، ط9، دار الفكر، دمشق، سورية، 1430 هـ/ 2009م، ص36.



تقوم بتحديد بقية العوامل الأخرى<sup>(1)</sup>، وتعبير آخر فإن " التخلّف هو نتيجة أو حاصل ضروب اللافعالية الفردية، فهو فقدان للفعالية على مستوى مجتمع معين"<sup>(2)</sup>.

فإذا ما استقر لدينا أن التخلّف ليس منشؤه فقدان الوسيلة بل عطالة<sup>(\*)</sup>، وأن هذه الأخيرة يترتب عليها لا فعالية الإنسان في محيطه، وإذا ما أخذنا في الحسبان أن اللافعالية هي سمة يوصف بها السلوك الإنساني، تأكّد لدينا حينئذ أننا إزاء مشكلة ثقافية باعتبار الثقافة هي المحدد والموجه للسلوك الإنساني في محيطه الاجتماعي.

وحتى تكون الثقافة بابا أو مخرجا ننفذ منه من أسر التخلّف، يحذر مالك بن نبي من مغالطة تقوم على ازدواجية مفهوم الثقافة بحيث نجد أنفسنا منساقين إلى الحديث عن ثقافتين " ثقافة تنتج أسباب التقدم والتنمية وتلك التي تخلق الشروط النفسية والاجتماعية لما هو تخلّف"<sup>(3)</sup>.

ومن هنا يؤكد مالك بن نبي " بأنه لا توجد ثقافة للتخلّف"<sup>(4)</sup>، وإنما يمكن الحديث عن ثقافة في حالتين مختلفتين وهذا يسمح لنا بأن نقول عن (لا ثقافتنا) أنها ذلك المستوى الاجتماعي التاريخي، الذي لا بد أن ننطلق منه لنبني ثقافة تتمتع بالأصالة والعالمية في آن معا<sup>(5)</sup>.

هذا وقد حذر بن نبي من مغالطة معالجة مشكلة التخلّف في إطار اقتصادي ضيق، فالتخلّف كظاهرة اجتماعية لا يمكن قصره على الجوانب الاقتصادية الصرف، فيؤكد في هذا الخصوص على أنه: "يجدر بمن يتصدى لقضية التخلّف في العالم الإسلامي ألا يطرحها ضمن نطاق اقتصادي يضيق غالبا عن تقديم الطريق الأيسر لحلها، خصوصا إذا اقترنت النظرة الاقتصادية بانتظار المال

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: **الفضايا الكبرى**، مرجع سابق، ص70.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص78.

\* - يخالف بن نبي بهذا الطرح آراء الباحثين الذين ركزوا في دراستهم للتخلّف على العوامل الخارجية وجعلوا من التخلّف وليد ظروف تاريخية وأرجعوها في الغالب للعوامل الخارجية، في حين يربطها هو بفاعلية الإنسان، راجع رأي الباحثين في الفصل الأول، ص34 وما يليها.

<sup>3</sup> - <sup>4</sup> - <sup>5</sup> - مالك بن نبي: **مشكلة الثقافة**، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية، 1426هـ/2005م، ص136.

من الخارج، حتى إذا أتى يكون غالباً ورطة سياسية، وإن لم يأت يكن بمثابة معطل لقيام النهضة، بل يحسن بمن يهتم بهذه القضية أن ينظر لها النظرة الشاملة، حتى ترتبط الأشياء الاقتصادية بجذورها الاجتماعية الثقافية البعيدة<sup>(1)</sup>.

فإذا سلمنا -ونحن مجبرون على التسليم- بجوهرية مسألة الثقافة في معالجة مشكلة التخلف كان لزاماً علينا أن نولي وجوهنا كدول متخلفة -شطرها فنحدها وننهض بها وفي هذا يقول بن نبي " فلقد تبين لنا أن من الأهمية بمكان أن تحدد البلدان المتخلفة ثقافتها لتتدارك تأخرها، وتؤدي دورها في العالم بصورة فعالة مؤثرة"<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الصدد يبين بن نبي بأن في استطاعة كل بلد أن يحل هذه المشكلة بطرقه الخاصة، كما يوصينا بـ " أن نتجنب الطرق الطويلة، طرق الاعتباط والاستهواء، الطرق التي سلكتها الحضارات التي كان أمامها ما يكفيها من القرون وآلاف السنين"<sup>(3)</sup>.

ويبقى في الأخير أن نشير إلى أن ابن نبي يرجع جوهر مشكلاتنا ومنها التخلف إلى عوامل داخلية في المقام الأول، لتأتي العوامل الخارجية ومنها الاستعمار في المقام الثاني حيث يقول "يجب أن نأخذ في حسابنا الاستعمار الذي يمكنه أن يصبح عامل ركود أو تفهقر راجح الكفة"<sup>(4)</sup>.

ثم يؤكد على أن الاستعمار كعامل خارجي لا يمكنه أن يكون عامل تأخر وتخلف إلا إذا توافرت العوامل الداخلية ذلك " أن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا لأنه درس

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الفكر، المرادية، الجزائر، 1407هـ / 1987م، ص57.

<sup>2\_3</sup> - مالك بن نبي: فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط7، دار الفكر، دمشق، سورية، 1430هـ / 2009م، ص154.

<sup>4</sup> - مالك بن نبي: القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص70.

أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها مواطن الضعف، فسخرنا لما يريد... إنه يسخرنا وأقلامنا لأغراضه، يسخرنا له، بعلمه، وجهلنا<sup>(1)</sup>.

### 1-أسس التنمية:

نشير في البداية إلى مؤلفات بن نبي حافلة بمصطلح التنمية وكل المصطلحات المنتمية للحقل الدلالي نفسه، أعني المصطلحات ذات الصلة الوثيقة بموضوع التنمية، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الدراسة لا تتدرج ضمن الدراسات الكمية لكي نعني بالأرقام الدقيقة والمضبوطة وما تتطوي عليه من دلالات، وإنما نذكرها للاستئناس بها وبيان مدى...حضور هذا الموضوع في وعي المؤلف.

وللعلم فقد ورد مصطلح التنمية أزيد من تسعين (90) مرة، ومصطلح النهضة مئة وخمسة وستين (165) مرة، ومصطلح النمو أكثر من خمسة وأربعين مرة، ومصطلح التقدم أكثر من مئة وعشرة (110) مرة، ومصطلح التطور أكثر (200) من مئتي مرة، ومصطلح التغيير أكثر من (180) مئة وثمانين مرة، وقد انطلق بن نبي في دراسته لمشكلات الحضارة من آية التغيير الواردة في سورة الرعد آية رقم 11، وبالنظر لكون التنمية هي الآلية الاجرائية الموصلة إلى آفاق الحضارة، فقد اعتبر بن نبي التنمية عملية تغيير شاملة تمس مختلف جوانب الحياة، عملية تغيير أساسها ومنطلقها:

أ-تغيير النفس:

يبدأ مالك بن نبي حديثه عن التغيير بتبيان الغاية والمقصد منه، إذ المقصود بالتغيير إصلاح النفس وبصلاحها يصلح المجتمع حيث يقول: "إذا أردت أن تصلح أمر الدولة فأصلح نفسك"<sup>(2)</sup>.  
وعليه فإن صلاح أمر الدنيا مترتب على صلاح أمر النفوس وبتعبير آخر فإن: " كل تغيير حقيقي

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: شروط النهضة، ط2، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، 1406هـ/1986م، ص115.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1408هـ/1988م، ص40.

في المجتمع لا يتصور دون تغيير ملائم في النفوس. طبقا للقانون الأعلى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾<sup>(1)</sup>.

وتغيير النفس حسب بن نبي معاناه اقدارها على أن تتجاوز وصفها المؤلف فالعاجز لا يمكنه أن يحسن من حاله ما لم يغير من حالة العجز المستحكمة في نفسه، والمتفوق المقتدر لا يتصور تحوُّله إلى الضعة والهوان مالم يغير ما بنفسه من أخلاق الهمة والنشاط بأن يخلد إلى الفتور والسكون، فقد جرت سنة الله بذلك، فهو سبحانه " لا يغير نعمة أو بؤس، ولا يغير عزا ولا ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة...إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم،... وإنها لحقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة، فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر... والنص صريح في هذا لا يحتمل التأويل، وهو يحمل كذلك -إلى جانب التبعة- دليل التكريم لهذا المخلوق الذي اقتضت مشيئة الله، أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه"<sup>(2)</sup>.

-وحتى تنجح عملية التغيير هذه يجب أن تكون مخططا لها بمعنى أن نكون مدركين لأهداف التغيير، وعارفين لمضمونه أي ماذا يجب تغييره في النفس المسلمة لكي نبرئ أمراض العالم الاسلامي)، وعارفين كذلك لجملة الوسائل والمناهج إلى هذا التغيير.

وإجمالاً فنحن نتكلم عن تغيير شامل للإنسان والمحيط، التغيير الذي يفضي إلى بناء شبكة علاقات قوية و متماسكة، وحتى يتحقق هذا فـ " إن العمل الأول في طريق التغيير الاجتماعي هو

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص75.

<sup>2</sup> - سيد قطب: في ظلال القرآن، ط10، ج4، دار الشروق، بيروت، 1402هـ/1982م، ص ص (2049 - 2050).

العمل الذي يغير الفرد من كونه (فردا) "Individu" إلى ان يصبح (شخصا) "Personne" وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع الى نزاعات اجتماعية تربطه بالمجتمع<sup>(1)</sup>.

ومن هنا تتأكد الحقيقة التالية، أن عملية التنمية التي سنتناولها من واقع التخلف لتبلغ بنا درجة التقدم، إنما تمر عبر جسر تغيير النفس وتخليصها من كل صفات القابلية للتخلف والتأخر، وتحليلتها بصفات القابلية للنمو والتطور وصولا إلى حالة التقدم، وسيأتي لاحقا بيان تلك الصفات، هذه التنمية التي تنهض في منطلقها على تغيير النفس، هي تنمية ترفض أن تقوم على أساس مذ اليد لتأخذ من الغير، لأن اليد الآخذة سفلي، في حين أنها ترنو لأن تكون يدا عليا وهي لذلك تنمية.

#### ب- لا تقوم على استيراد الحلول:

إن الاستيراد هو مدّ اليد للآخر، والمستورد هو في موضع المستهلك لا الصانع، وإذا عجز هذا المستورد أن يصنع أدواته وحاجياته فهل يتصور أن يصنع لنفسه تاريخا فضلا عن أن يصنعه لغيره، وفي هذا يقول بن نبي " فنحن لا نستطيع ان نصنع التاريخ بتقليد خطى الآخرين في سائر الدروب التي طرقتها بل أن نفتح دروبا جديدة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بأفكار أصيلة تستجيب لسائر المشكلات على الصعيد الأخلاقي، أو على صعيد الأفكار الفعّالة، لتجابه مشكلات التطور في مجتمع يعيد بناء نفسه"<sup>(2)</sup>.

وبعد تأكيده على أن صناعة التاريخ لا تتم بتقليد الآخرين واستيراد منتوجاتهم، بل بالأفكار الأصيلة النابعة من رحم المجتمع الذي يعيد بناء نفسه، بعد تأكيده على هذه الحقيقة يجعل لنا بسبب رفضه للتقليد والاستيراد، فيبين لنا بأن الأمم تتباين في أعمارها واتجاهاتها ولا يمكن عقلا لمن كان في مرحلة عمرية دنيا أن يقلد من هو في مرحلة عمرية متقدمة عليه، حيث يقول: "ولهذا نستطيع

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصابور شاهين، ط8، دار الفكر، دمشق، 1431هـ/ 2010م، ص31.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص162.

أن نقرر بصفة هامة أن من المخاطرة أن نفتبس حلا أمريكيا أو حلا ماركسيا، كيما نطبقه على أية مشكلة تواجهنا في العالم العربي والاسلامي، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها أو تختلف اتجاهاتها وأهدافها"<sup>(1)</sup>.

وبالنظر لاختلاف الأمم في اتجاهاتها وأهدافها، وبالنظر للفارق العمري بينها، فإن بن نبي يرى في تقليد الآخرين استيرادا واقتباسا ليس مخاطرة فحسب بل " إن في ذلك تضييعا للجهد ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار"<sup>(2)</sup>، ولم يكتف بن نبي في تبيان خطأ الاستيراد وتقليد الآخرين برد ذلك للفارق العمري واختلاف الاتجاهات، بل زادنا ايضا فبين لنا بأن الحلول المستوردة من حيث كونها أفكارا تعبر عن أصحابها، فهي بمثابة النبات الذي يحمل خواص البيئة التي ينمو فيها وتبعاً لذلك فقد يعتريه الموت أو الضعف إذا ما نقل إلى بيئة لا تلائمها، وفي هذا يقول بن نبي " فالحلول كلها مستعارة من بلاد متحضرة، لا تحدث عندنا التأثير نفسه الذي لها في أوطانها، حتى كأنها تفقد فاعليتها في الطريق، بمجرد انفصالها عن إطارها الاجتماعي"<sup>(3)</sup>.

وفقدان هذه الحلول لفاعليتها عند استيرادها، منشؤه من انفصالها عن روحها التي بقيت لصيقة بالبيئة التي نشأت فيها، والروح لا تفارق بيئتها، ولا يمكن أن تتقاسمها بيئتان، تماما كما هي روح الانسان لا تفارق البدن الذي تسكنه إلا عند موته، ولا تنتقل لبدن ثان ومن هنا يؤكد بن نبي بأن " جميع أنواع الحلول ذات الصيغة الاجتماعية التي نقبسها عن بلاد أخرى ثبتت لها فيها صلاحيتها... هي صحيحة في هذه البلاد على وجه التأكيد، ولكنها تقتضي عند التطبيق عناصر

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 37.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سابق، ص 48.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 102.

مكمله لا تأتي معها، ولا يمكن أن تأتي معها، لأنه لا يمكن حصرها، ولا يمكن فصلها عن المحيط الاجتماعي في بلادها، أي لا يمكن فصلها عن روحها<sup>(1)</sup>.

وزيادة في التدقيق يبين لنا بن نبي بأن روح الأفكار تستتبت في بيئاتها وتثمر مجموعة قيم، بحيث لا يمكن لتلك الأفكار متى تم تصديرها أو استيرادها أن تصطب مع قيمها فهي وثيقة الصلة بالبيئة الأم، ومن هنا يتعذر حسب بن نبي استيراد التنمية لأنها في جوهرها تعبر عن قيم، وبناء عليه " فالتنمية لا تشتري من الخارج بعملة أجنبية، غير موجودة في خزينتنا، فهناك قيم أخلاقية واجتماعية وثقافية لا تستورد، وعلى المجتمع الذي يحتاجها أن يلدّها، والتنمية من تلك القيم، إنها لا تستورد بل تصنع في المكان نفسه"<sup>(2)</sup>.

وبعد أن بين لنا بن نبي خطأ فكرة الاستيراد وعّل لنا ذلك بأن ما نستورده من حلول ما هي إلا أفكار، وهذه الأفكار لا تفعل مفعولها إلا في البيئات التي أنشأتها حيث توفر لها جميع شروط الحياة ومقومات الفاعلية، وأن فصلها عن بيئاتها يفقدها حيويتها بل روحها النشطة، بعد هذا كله، نبهنا بن نبي إلى أننا لا نعيش في مجتمعات مغلقة، بل على العكس من ذلك فنحن نمثل مع غيرنا أنساقا مفتوحة تتفاعل فيما بينها تأثيرا وتأثرا، ومن ثم فلا يتصور عقلا أن يرفض الإنسان فكرة الاقتباس رفضا مطلقا، وأن الرفض المطلق يعد ضعفا ووهنا يقدر في فكر صاحبه وفي هذا يقول بن نبي " ليس أوهن ولا أضعف من أن نرفض الاستنارة بتجارب الآخرين، والإفادة من جهودهم، ولكن بشرط أن نرد الحل المستعار إلى أصول البلد المستعيرة.. وبعبارة أخرى، ينبغي أن نهى في بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نتصور من حلول لمشكلاتنا الاجتماعية"<sup>(3)</sup>، فالأفكار

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 103.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 195.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص ص (103-104).

المستوردة، قبل اعتمادها كحلول لمشكلاتنا، لابد من غربلتها، لنختار منها ما يتلاءم ومحيطنا الثقافي حتى نضمن ألا تكون فكرة ميتة أو فكرة قاتلة.

إن فكرة الغريزة لما نستورد من أفكار وحلول لمشكلاتنا المختلفة، يستدعي منا كذلك أن نكون على قدر كبير من الوعي والتبصر حتى لا نستورد الغث والسمين معاً، بل أخطر من ذلك أن نجتمع في استيرادنا بين الشيء ونقيضه، وهذا يجعلنا نجانب الحكمة التي تقتضي وضع الشيء في موضعه، وأن نلبس لكل حالة لبوسها، وهذا خلاف لما جرت عليه - وتجري- الأمور في عالمنا العربي حيث أن " بعض البلدان وضعت مخططها طبقاً لاختيار اشتراكي من حيث الأهداف، ثم حددت طرق التنفيذ طبقاً لمنهج رأسمالي من حيث الوسائل، وفيما يتصل بقضية الاستثمار بوجه خاص"<sup>(1)</sup>.

وحتى لا تبقى أفكاره تتسم بالعمومية أو النظرية فيما تعلق بموضوع الاستيراد، أخذ بن نبي بأيدينا ونقلنا من حال التيه إلى حال الرشاد فبين لنا في وضوح ما ينبغي أن نستورد فقال " إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا، فإذا لم نكن نستطيع صنع الآلات مثلاً فعلى أن نستورد هذه الآلات من الخارج حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا"<sup>(2)</sup>.

إن المتأمل لهذا القول لـ " بن نبي" في جزئه الأخير يدرك دون عناء أن مفكرنا لا يدعونا لاستيراد مفتوح في الزمن، بل هو استيراد مصحوب برغبة جامحة وعزم أكيد على صناعة البديل الذي يضاهيه، آملاً في الوصول ليوم نتحرر فيه من ربه الاستيراد المرهق المذل.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 171.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص 170.



## ج-بل تقوم على الاعتماد على الذات(\*):

سبق الذكر بأن بن نبي يعتبر التنمية عملية تغيير تمس جميع مناحي الحياة، وأن هذا التغيير لا يقوم على استيراد الحلول من الشرق أو الغرب، وإنما يتم بالاعتماد على الذات، لكن الاعتماد على الذات خصوصاً في مرحلة الإقلاع تكتفه جملة عوائق ومصاعب، فهو ليس بالعملية السهلة، وعلى كل أمة اتخذت أو تفكر في اتخاذ الاعتماد على الذات مبدأً أو نهجاً لها أن تكون مهياًة لركوب الصعاب وأن تزود نفسها بالصبر والإصرار وروح التحدي، ومن هنا توجه بن نبي لشعوب العالم المتخلف بالنصح قائلاً: "على العالم الثالث إذن أن يعتمد على نفسه، وأن يستعد لمواجهة سائر الاحتمالات بوسائله الخاصة، ومشكلته ليست سهلة الحل، لأنها لا تتسم بالطابع الاقتصادي البسيط كما يعني اختصاصي الاقتصاد بهذه الكلمة"<sup>(1)</sup>.

ووجه الصعوبة في عملية الاعتماد على الذات أنها تقتضي شئين متميزين ومتداخلين في الآن نفسه، فهي تقتضي من جهة قطع كل أشكال الارتباط مع دول الاستكبار التي سبق لها أن استعمرت جزءاً من عالمنا العربي أو الإسلامي أو حتى عالمنا الموصوف بالثالث، ونعني هنا أشكال الارتباط التي تفرض علينا أن نبقى مشدودين لمركز ثقلهم وأن ندور دوماً في فلكهم " فالطريق الوحيد للاستقلال الحقيقي، يفتضي ببتير كل علاقات (التبعية) مهما كان نوعها، وتقبل سائر الصعوبات التي تواجه الإنسان عندما يرشد ويتحمل كامل مسؤولياته"<sup>(2)</sup>.

ويزيدنا بن نبي توضيحاً لهذه القضية فيشبهه من كان في تبعية بالطفل الذي كان يعتمد على أمه في مشيه ثم حان الأوان ليعتمد على نفسه ومن هنا يقول بن نبي بأن " كل وطن أفلت من اليد

\*- سبق الحديث عن هذا الموضوع في الفصل الثاني تحت عنوان الاستقلال الاقتصادي، ص 104.

<sup>2</sup>- مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص ص (155 - 156).

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 159.

التي كانت (تمشيه) في التيار السياسي، كما " تمشي " الأم طفلها، عليه أن يتعلم أيضا المشي وحده في الميدان الاقتصادي، دون يد تمسكه"<sup>(1)</sup>.

وينبه بن نبي كل من يسعى للتحرر بالاعتماد على النفس، إلى أنه حتما سيتعثر، ولا ينبغي لتعثره هذا أن يلجئه إلى مد اليد للتمسك بمن كان في تبعيته، فالواقع في التبعية بالقهر، ليس كالواقع في التبعية بالاختيار، بل عليه أن يتقبل فكرة التعثر والسقوط والتعلم من أخطاء النفس، ولذا فـ"عليه بعد أن ترك يد (المرضعة) ألا يتشبث بثيابها كلما واجهته صعوبة، إذ ينبغي عليه أن يودع المرضعة نهائيا، وأن يتقبل الأخطاء الملازمة لـ(حالة الترك)"<sup>(2)</sup>.

وإذا كانت الجهة الأولى لصعوبة عملية الاعتماد على النفس تكمن في بتر كل علاقات التبعية فإن الجهة الثانية تتمثل في ضرورة التخلص من مركب التبعية<sup>(\*)</sup>، وهذا الأخير أخطر فتكا بالأمة أو المجتمع من علاقات التبعية، ذلك أن هذه الأخيرة قد تحتتمها وتفرضها ظروف استثنائية تزول بزوالها، لكن مركب التبعية صعب التملص منه لأنه ممتزج مع النفس الانسانية.

وبعد أن بين لنا بن نبي ما يلقيه علينا مبدأ الاعتماد على الذات من تبعات، يأتي في موضع آخر ليبين بأن سبيل تحقيق هذا المبدأ يقوم على استثمار الوطن كل ما فيه، بكل من فيه فيقول: " إن وطننا متخلفا لابد له أن يستثمر سائر ما فيه من طاقات. يستثمر عقوله وسواعده ودقائقه كافة، وكل شبر من ترابه، فتلك هي العجلة الضخمة التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية واستمرار تلك الحركة"<sup>(3)</sup>.

<sup>1-2</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 159.

\* - يفرق بن نبي بين مصطلح مركب التبعية ومصطلح القابلية للاستعمار، انظر في مهب المعركة، ص 21.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص ص (195-196).

وعليه فالاعتماد على النفس من خلال تحريك كل الطاقات المعطلة هو بمثابة المناعة الأصلية في الجسم، وأما ما يأتي من الخارج فلا ينبغي النظر إليه أكثر من كونه حقنة تنشط مناعة الجسم الأصلية ومن هنا يقول بن نبي " إذا جاء من الخارج نصيب يضاف إلى الاستثمار العام، فإنه قد يكون حقنة تزيد في قوة جسم تكونت قوته من ذاته، حين اكتشف قوته الاقتصادية الحقيقية"<sup>(1)</sup>.

## 2- مقومات التنمية:

بعد أن حدد بن نبي الأسس القوية التي يجب أن تنهض عليها عملية التنمية راح يفصل في جملة دعائم ومقومات من شأنها أن تسند جدر البناء وتقويها، وتثبت أركانها في الأرض فتصمد بذلك في وجه كل زلازل الداخل وأعاصير الخارج، وهذه جملة المقومات:

### أ- البناء لا التكديس:

بداية يفرق بن نبي بين التكديس والبناء ثم يوضح لنا بأن التكديس كظاهرة اجتماعية عن أي مرحلة عمرية من مراحل عمر المجتمع تعبر فيقول بأن البناء هو " الذي يحقق النتائج عاجلا والتكديس الذي ربما يأتي بنتيجة ... والتكديس في الحقيقة ظاهرة اجتماعية، فإنه يحصل أن تكديس المجتمعات في مرحلة من مراحلها، ولكنها ليست في مراحل نهضتها، وإنما في عصور انحطاطها"<sup>(2)</sup>، ومن هنا فإن بن نبي يدعونا إلى " أن نفكر في المجتمع تفكير بناء وليس تفكير تكديس، لأن التكديس في المجتمع ظاهرة مضرّة"<sup>(3)</sup>.

ووجه الضرر الأكبر في ظاهرة التكديس أنه يؤخرنا ويخسرنا معادلة الوقت حيث أننا لو "كدسنا من الحجر والاسمنت والخشب والحديد مئات الأطنان، فإننا لا نستطيع أن نقيم من هذا

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 196.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص 164.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 165.

التكديس البناء ولو بعد مئات السنين، بينما لو سلطنا طريق البناء فإننا في شهر واحد نبني على الأقل شقة واحدة<sup>(1)</sup>.

ويقدم لنا بن نبي درسا عمليا واقعيا من التجربة اليابانية فيقول بأن "اليابان قد سارت في الطريق لعمل نسميه البناء، فقد قامت خلال منتصف قرن من سنة 1868 إلى سنة 1905، ببناء مجتمع، ونحن كدسنا عناصر مجتمع"<sup>(2)</sup>.

ثم يوضح لنا سرّ سلوك اليابان نهج البناء لا التكديس في سعيه لبناء مجتمع متحضر بأنه "قد دخل الأشياء من أبوابها وطلب الأشياء كحاجة، درس الحضارة الغربية بالنسبة لحاجاته، وليس بالنسبة لشهواته، فلم يصبح من زبائن الحضارة الغربية يدفع لها أمواله وأخلاقه..."<sup>(3)</sup>.

ويزيدنا بن نبي تعمقا في فهم الدرس الياباني فيذكر لنا بأن الفترة نفسها التي حققت لليابان نهضته وهي فترة ما بين (1868-1905) هي نفسها فترة النهضة العربية وأن القاسم المشترك بيننا وبين اليابان في هذه الفترة أن "الأشياء نفسها في اليابان استوردها كما استوردناها نحن من الحضارة الغربية، ولكن كشف التاريخ أن تلك الأشياء لم تؤد في نهضتنا الدور الذي أدته في نهضة اليابان"<sup>(4)</sup>، ومن هنا استنتج بن نبي بأن "الأشياء لا تؤدي مفعولها الاجتماعي تلقائيا ولا تؤثر وحدها في صياغة العملية الاجتماعية وإنما تؤثر بقدر ما يضاف إلى مفعولها من دوافع نفسية وتوجيهات فكرية معينة"<sup>(5)</sup>.

فالفرق إذن بيننا وبين اليابان واضح بيّن، فنحن قد استوردنا للاستهلاك، وكدسنا بمنطق نفساني صبياني، بينما استورد اليابان بمنطق الحاجة وأسلوب الأداة، أي أنه استورد بدوافع البناء لا

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص165.

<sup>2-3</sup> - المرجع نفسه، ص164.

<sup>4-5</sup> - المرجع نفسه، ص193.

بروح التكديس وكان من الممكن تقبل فكرة التكديس لو كان من المتوقع أن يكون المكّدس يوماً ما منتجاً ولكن المنطق العلمي والعملية يؤكدان أن "المنتوج لا يكون المنتج بل المنتج هو الذي يكون المنتج"<sup>(1)</sup>، وبعد هذا حذرنا بن نبي من خطر انتقال عدوى التكديس من الأشياء إلى الأشخاص بحيث نجد "المكان الذي يجب أن يشغله خمسة موظفين أو مستخدمين، يوضع فيه أحياناً خمسة عشر أو عشرون، بطريقة تزدوج بها مشكلة البطالة العادية مع بطالة خاصة ناشئة عن الواقع المائل في استحداثنا لموظفين دون أن نستحدث وظائفهم"<sup>(2)</sup>.

والتكديس مثلما يعالج كظاهرة اجتماعية يمكن كذلك تناوله كظاهرة نفسية، وهو عين ما يترأى لنا اليوم من النهمة في الإقبال على منتجات الحضارة الغربية التي لا تتفك تتجدد سنوياً بل شهرياً، ولا يسلم من ظاهرة التكديس الرجل ولا المرأة الصغير ولا الكبير، الأمي ولا المتقف، فذكر لنا المؤلف مثلاً أن بعض المسؤولين لا يرون منزلتهم الإدارية التي تبوؤها إلا من خلال سعة مكاتبهم وكثرة الأثاث فيها، وعندما تصبح ظاهرة التكديس حالة نفسية تستبد بمجموع أفراد الشعب، عندها يتحقق فينا وجه من وجوه القابلية للاستعمار، إن على كل مجتمع يسعى لتحقيق التنمية بوعي حضاري أن يدرك كل الإدراك بأن سبيل الخروج من حال التخلف لا يكون بسلوك نهج التكديس، لأن تحقيق التنمية الحضارية في هذه الحال يستحيل من ناحيتي الكيف والكم.

فمن ناحية الكيف فإن الدول المتقدمة التي نشترى منتجاتها "لا يمكن أن تباع جملة واحدة الأشياء التي تنتجها، ومشتملات هذه الأشياء، أي أنها لا يمكن أن تباعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأذواقها... فعندما نشترى منتجاتها فإنها تمنحنا هيكلها وجسدها لا روحها"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 193.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص 51.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سابق، ص 43.

والحضارة الغربية حضارة واعية مدركة لأهدافها وغاياتها، فهي لا تريدنا من وراء بيعها لنا بعض المنتجات سوى أن نكون زبائن مستهلكين لا أكثر وفي أحسن الأحوال مقلدين دون أصالة فهي حضارة " تفتح أبواب متاجرها أكثر من أن تفتح أبواب مدارسها(\*)، مخافة أن يتعلم التلاميذ وسائل استخدام مواهبهم في تحقيق مآربهم"(1).

أما من ناحية الكم، فمنتجات الدول المتقدمة لا تحصى ولا تعد وهي في تجدد مستمر فإلى متى نظل نشترى، ومن أين لنا برأسمال لا ينضب لنتمكن من شراء منتج لا يتوقف ففي هكذا حال سندرك غايتنا من الشراء، عندما يدرك العطشان موضع السراب.

لقد انطلقت اليابان في بناء نهضتها من نفس التاريخ الذي يؤرخ لبداية النهضة العربية وهو سنة 1868، واستطاعت اليابان أن تحقق نهضتها في أقل من أربع عقود، وقد مضى علينا - نحن العرب والمسلمين - قرابة القرن ونصف القرن ولما نحقق نهضتنا بعد، وإن كان لنا من تعليق يمكن أن يسجل هاهنا فهو أن " الاستعداد في العالم الإسلامي لجمع منتجات مستعارة، يدلنا على ما تتم به الحركة الحديثة من طابع بدائي، إذ ليست الحضارة تكديسا للمنتجات بل هي بناء وهندسة"(3).

#### ب- التخطيط الدقيق:

بداية يقدم بن نبي تعريفا مغايرا لما إعتاد الباحثون تداوله من صيغ محددة لمفهوم التخطيط حيث يقول: "التخطيط هو جملة تعميم لنظرية تايلور الذي فكر في المشكلة في مستوى المصنع،

\* -أو تفتح أبواب مدارسها لتخصصات دون أخرى كما حدث مع المؤلف حينما حرم من التخصص في الدراسات الشرقية.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: **وجهة العالم الإسلامي**، ط5، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1406هـ/ 1986م، ص69.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص71.

بينما يرفع القرن العشرين هذه النظرية من مستوى المصنع الذي يصنع منتوجا حضاريا معينا مثل السيارة والطائرة إلى مستوى المجتمع الذي يصنع حضارة<sup>(1)</sup>.

الأصل في التخطيط أنه طريقة في التفكير قبل أن يكون عملا منجزا، وهو تصور عام للخطوط العريضة للمشروع المراد تنفيذه قبل الشروع في الإنجاز، لكن فعالية بن نبى جعلته يقدم لنا تعريفا تغلب عليه المسحة العملية، حيث ربط لنا مفهوم التخطيط بالحركة القائمة في المصنع ومن خلال حساب تايلور لمعادلتي الحركة والزمن، وهكذا انتقل بمفهوم التخطيط من طابع التجريد إلى طابع الواقع المحسوس، ثم وضح لنا بعد ذلك بأن التخطيط كما يمكن التعامل معه في إطار المصنع الضيق يمكن تناوله وبالمثل في إطار المجتمع الواسع الذي لا يهدف لصنع سيارة أو طائرة وإنما يهدف لصنع حضارة.

وبالرغم من أن هذا التعريف يتضمن إشارة إلى أهداف التخطيط إلا أن بن نبى وفي مواضع أخرى من مؤلفاته، يحدد لنا هدف التخطيط في وضوح فيقول: " إن هدف التخطيط واضح: إنه خلق الشروط الدينامية الاجتماعية، وبعد ذلك تحدد الوسائل التي ستتولى تسيير تلك الدينامية الاجتماعية"<sup>(2)</sup>.

ثم يوضح لنا قضية في غاية الأهمية ووثيقة الصلة بموضوع التخطيط، فيقول بأن المشاريع التي نود الاستثمار فيها ونخطط لها لا بد أن تتم بوسائلنا وأن الاستثمار لا يتعلق بالرغبة بقدر ما يتعلق بالاستطاعة والإمكان " فنحن لا نستثمر ما نريد بل ما نستطيع، ولا نستثمر بوسائل الغير،

<sup>1</sup> - مالك بن نبى: تأملات، مرجع سابق، ص 179.

<sup>2</sup> - مالك بن نبى: مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 115.

إنما بالوسائل التي تقع بالفعل تحت أيدينا... فالمشروع الذي يعدّ طبقاً لأفكار البعض ونقوم بتنفيذه طبقاً لوسائل البعض الآخر لا يفضي إلى شيء<sup>(1)</sup>.

وبتعبير آخر فكما أن الحلول المستوردة في كلياتها وشموليتها تفقد الكثير من فعاليتها في البيئات المغايرة لأرض نشأتها فكذلك " التخطيط يفقد كل معناه التقني ابتداء من اللحظة التي تكون فيها فكرته الرائدة مستوحاة من الخارج"<sup>(2)</sup>.

ولتبيان الوسائل المتاحة لأي بلد في مرحلة الانطلاق، يلجأ مالك بن نبي للواقع ليستوحي منه أمثله معاشية حتى يكون كلامه حقيقة لا وهماً فيقول: " لقد بدأت ألمانيا في التحرك عام (1948) بخمسة وأربعين ماركا وهذا مبلغ تافه في الاستثمار. أما الاستثمار الحقيقي، فقد كان في رأسمال الأفكار، التي هي في رأس كل ألماني، في تصميم الشعب الألماني، وفي الأرض الألمانية التي كانت فقيرة ومحتلة من الآخرين، لكنها كانت السند اللازم لكل نشاط"<sup>(3)</sup>، وبعد سوق هذا المثال، يلخص بن نبي جملة الامكانيات المتاحة لأي بلد في مرحلة الانطلاق في النقاط التالية: <sup>(4)</sup>

أ- زراعته وهي في حالة بدائية إلى حد ما.

ب- ما يتوفر لديه من مواد أولية في السوق وفي باطن الأرض.

ج- طاقة العمل (عدد الأيدي العاملة) التي يمكن تحويلها إلى ساعات عمل فعلية.

ويؤكد بن نبي على ضرورة تحريك كل هذه القوى والامكانيات، ويجعل من التحريك الكامل

هدفاً ومقصداً للتخطيط فيقول إن " التخطيط في بلد في طور النمو، يهدف أساساً إلى تحريك كامل

طاقاته وموارده البشرية والمادية تحريكاً يؤدي إلى خلق ديناميكية اجتماعية"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 115.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: من أجل التعبير، ط5، دار الفكر، دمشق، سورية، 1427هـ/ 2006م، ص 31.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 116.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص 31.



ومثل هذا التخطيط يستهدف تحقيق مبدأ كل الأفواه يجب أن تأكل، وليتحقق هذا الهدف يجب على كل السواعد أن تشتغل<sup>(1)</sup>، ويرى بن نبي أن استحالة تحقيق مبدأ كل الأفواه آكلة في مقابل كل السواعد مشتغلة ليس " قضية قصور في الإمكان، بل قصور في التصرف والسياسة والتخطيط"<sup>(2)</sup>. وتجنبنا لهذا القصور في التصرف يدعو بن نبي إلى جعل الخطة التنموية مستندة أساسا على السلطان الاجتماعي لا على رأس المال المفقود أو المستورد ولذا " ينبغي لخطة التنمية ... أن تعتمد اعتمادا أكثر على السلطان الاجتماعي، حتى لا تعبر عن وسواس نقص المال الذي يهلكها من البداية بإخضاعها إلى ارادة المال"<sup>(3)</sup>.

ومن تمام الدقة والنجاح في إعداد أي خطة تنموية، ألا تكون هذه الخطة عبارة عن فسيفساء من الخطط الجزئية غير المتناغمة أو المتكاملة، ومراعاة هذا في تصميم أي خطة يكون أوكد بالنسبة لكل بلد يسير في طور النمو ولذا استعمل بن نبي لفظ الوجوب فقال: " يجب على الخطة ان تكون على الاخص ( موحدة) وليست فسيفساء تجمع مشاريع صمم كل منها تصميما منفصلا عن المشاريع الأخرى، وهي قد تتلاءم فيما بينها أو لا تتلاءم"<sup>(4)</sup>.

لقد سبق الذكر بأن بن نبي سعى جاهدا لان يكون في جميع طروحاته مهندسا تطبيقيا أكثر منه منظرا فكريا ومن ثم كان يدعم أفكاره في الغالب بالأمثلة المستوحاة من الواقع المعيش، وفي حديثه عن التخطيط ضرب لنا عدة أمثلة وصفها بالمدهشة عن الاتحاد السوفياتي (سابقا) وعن الصين والسويد وغيرها من الدول، وسبق تقديمه لهذه الأمثلة بنعت العصر الذي يعيشه بعصر التخطيط.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، المرجع السابق، ص80.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص81.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص40.

<sup>4</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص ص(30 - 31).

ومن الأمثلة التي ساقها نقف عند حديثه عن السويد، حيث أبرز لنا أهمية التخطيط وإن كان في جانب واحد من جوانب العملية التنموية وهو الجانب الزراعي، فذكر لنا بأن السويد: "قد حققت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية تحولا جذريا في بنيتها الزراعية بالتخطيط المناسب إذ حلت منتجات الأشجار مكان سائر الزراعات الغذائية، وتحولت كل أراضيها الصالحة للزراعة الى غابات جعلت من هذا البلد واحد من أوائل المنتجين لمادة (السليولوز) في السوق العالمية، ومن الطبيعي أن أي امرئ يفكر أن المزارعين السويديين ما كانوا يقومون بمثل هذا العمل، لو لم يروه أوفر ربحاً"<sup>(1)</sup>، يمثل هذا التخطيط الواعي والمبصر تحقق الدول نهضتها وتجعل لنفسها موضع قدم على طريق البناء والتقدم.

#### حاجة التخطيط الى علم الاجتماع:

إن وضع الخطط التنموية -حسب بن نبي- في حاجة ماسة إلى (عالم الحياة في الاجتماع) أكثر من حاجتها إلى (مهندس اجتماع) خبيرا في الشؤون الاقتصادية ذلك أن "الحياة الاقتصادية لا ترتبط فقط بأجهزة ذات طابع فني ومالي وتنظيمي، بل هي قبل ذلك مرتبطة بأجهزة نفسية موجودة في المعادلة الشخصية لدى الفرد الذي يفكر في الخطط والذي ينفذها"<sup>(2)</sup>.

والحاجة الى عالم الاجتماع في وضع الخطط التنموية تزداد الحاجة إليه خاصة بالنسبة للدول التي لا تزال في طريق النمو أو الدول حديثة العهد بالاستقلال، ومن هنا دعا بن نبي إلى إنشاء علم الاجتماع خاص بمرحلة الاستقلال، فعالم الاجتماع الذي يخطط للمجتمعات الصناعة التي قطعت أشواطاً على طريق البناء ليس كمثل عالم الاجتماع الذي يخطط لمجتمعات في أوضاع غير اعتيادية ومن هنا فالحاجة " تفرض تأسيس علم اجتماع خاص بالحالات المرضية، للكشف عن

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص30

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص156.

العراقيل والمعوقات التي ربما عرقلت الانجاز والتنفيذ<sup>(1)</sup>، وإلى جانب مهمة الكشف عن العراقيل والمعوقات، فعلم الاجتماع يجب أن " يكون بين أيدي من يشرف على أجهزة الدولة أداة رقابة لا ينفصل عن جهاز التخطيط"<sup>(2)</sup>.

وبعد تبيانه حاجة التخطيط لعلم الاجتماع يذهب بن نبي لأبعد من ذلك فيصور كل سياسة لا تستند لمبادئ علم الاجتماع وتوجيهاته ما هي إلا عبث ومضيعة للوقت فيقول مؤكداً " إن السياسة التي تجهل القوانين الأساسية لعلم الاجتماع - وهو الذي يعتبر علم بيولوجيا البنى والأجهزة الاجتماعية- ليست إلا أثرثة عاطفية، ولعبا بالألفاظ وطنطنة غوغائية"<sup>(3)</sup>.

وعلم الاجتماع الذي يدعو بن نبي لاعتماده في رسم خططنا التنموية، ليس هو علم الاجتماع النظري ذلك الفرع من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإنما هو علم الاجتماع التطبيقي، الذي يمكن الطالب في عالمنا الإسلامي من كيفية معرفة بيئته، واستنتاج فضائاته التاريخية الاجتماعية الخاصة ولهذا قال ابن نبي بأنه "يتعين على السياسة أن تكون علما، علما اجتماعيا تطبيقيا"<sup>(4)</sup>، وحتى لا تكون أنشطتنا مجرد أنشطة فوضوية يجب أن يقوم علم الاجتماع التطبيقي على مبدئين: <sup>(5)</sup>

1- أن نتبع سياسة تتفق ووسائلنا.

2- أن نوجد بأنفسنا وسائل سياستنا.

ومن هذين الأصلين تنتج مرحلتان متتابعتان:

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 43.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 41.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 99.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 135.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 99.

أولاهما: مرحلة السياسة التي تبنى أساسا على الامكانيات المتاحة أو ما سماه بن نبي الوسائل الأولية الحاصلة وهي: الإنسان والتراب والوقت، وهي مرحلة الثقة بالنفس والنهوض بالاعتماد عليها وتكون محصلتها تصفية القابلية للاستعمار والقضاء عليها قضاء مبرما.

وثانيهما: مرحلة التغيير المتدرج، فبعد الاعتماد على الوسائل الحاصلة وهي وسائل بدائية، يشرع في العمل على تغييرها، تحسينا لها وارتقاء بها إلى وسائل أكمل وأقدر على تغيير ظروف بيئتنا، ومحصلة هذه المرحلة تصفية مختلف أشكال الاستعمار الخفية منها والمعلنة<sup>(1)</sup>.

ومتلما سلف الذكر أثناء الحديث عن التخطيط الدقيق فإن بن نبي يعمل دائما على تدعيم أفكاره وآرائه بأمثلة مستقاة من الواقع التجريبي حتى يعطي هذه الأفكار حجية أقوى وأقنع...وفي هذا السياق برهن لنا على حاجة الخطة التنموية إلى عالم الحياة في الاجتماع أكثر من حاجتها إلى مهندس اجتماع، فساق لنا تجربة التنمية الاندونيسية.

فقد استعانت جمهورية إندونيسيا بعالم الاقتصاد الألماني الدكتور شخت<sup>(\*)</sup>، لرسم سياستها التنموية في السنوات الأولى بعد التحرير<sup>(\*\*)</sup>، إلا أن تجربة الدكتور شخت التي أحدثت المعجزة الألمانية أخفقت في إندونيسيا لأن هذا الخبير الاقتصادي أغفل جانبا هاما وعاملا أساسيا في العملية الاقتصادية ألا وهو الإنسان، فطبيعة وثقافة الإنسان الألماني ليست هي نفسها عند الإنسان الإندونيسي، فنجاح تجربة اقتصادية في بلد ما، يعني نجاح شخصية ما وتفوق ثقافة ما، ومن ثم لا

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 99.

\* - الدكتور يلمار شخت (1970-1977) هو مهندس الاقتصاد الألماني في العهد النازي شغل منصب حاكم مصرف ألمانيا ووزير الاقتصاد (33 - 39) وأتى بما سموه المعجزات الاقتصادية الألمانية، حيث انتشل ألمانيا من عجزها المالي، وارتفع بها إلى أكبر دولة صناعية في القارة الأوروبية خلال ست سنوات.

\*\* - تحررت إندونيسيا رسميا من الاحتلال الهولندي سنة 1949 ودامت الفترة الاستعمارية الهولندية قرنا ونصف قرن.

يمكن تسويق تلك التجربة لبلد آخر، لأن المجتمعات تتباين في أعمارها وتتباين الأعمار وتتباين القدرات والمهارات<sup>(1)</sup>.

### ج- رأس المال الاجتماعي لا المالي:

بداية يذكر بن نبي بأن هناك نوعين من الاستثمار، استثمار يقوم أساسا على المال، واستثمار يعتمد أساسا على الطاقات الاجتماعية، ثم يوضح لنا إيجابيات هذا وسلبيات ذلك، بالاستثمار الأول الذي يقوم على أساس المال " يتطلب غالبا وسائل مفقودة في البلاد المتخلفة فيلجأ إلى رؤوس الأموال الأجنبية، وهي حين تأتي، تفرض شروطها السياسية التي تعرض البلاد لمشكلات لا حل لها، أو شروطا فنية تجعل استثمارها دون جدوى"<sup>(2)</sup>.

وعلى المستوى الاقتصادي فرأسمال الأجنبي لا يشغل إلا جزء من الموارد البشرية الموجودة، وكيف لهذا الجزء أن يتحمل مسؤولية إطعام كل الأفواه التي من حقها أن تأكل؟ وفي المقابل فإن الموارد البشرية المعطلة ستضطررها الظروف للهجرة خارج حدود الوطن لتؤمن لنفسها مورد الرزق وبهذا يكون الاستثمار على أساس رأس المال الأجنبي قد أدى بالبلاد لتصدير ثروتها الرئيسية ألا وهي العمل أما الاستثمار على أساس الطاقات الاجتماعية فيجنب البلاد المخاطر السالفة الذكر، إذ وفقا لهذا الاستثمار " تعمل السواعد كلها وتأكل الأفواه كلها، (وعليه فالمجتمع) لا يجد نفسه معرضا لتلك المناقضة الصارخة، فالأعضاء غير المنتجة فيه تنحصر في أقل مقدار (الطفل والمريض والعجوز) أما بقية السواعد فهي تعمل"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص ص (50-58).

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 179.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 180.

وبالنظر لطبيعة الاستثمارين، وبعد المقارنة الموضوعية بينهما يخلص بن نبي لتأكيد حقيقة مفادها أن "إطعام سائر الأفواه وتشغيل السواعد كافة في بلد متخلف ليس إلا وهما، إذا ما فكر هذا البلد في استثمار على أساس رأسمالي"<sup>(1)</sup>.

فالبلد المتخلف حينما يقرر رسم خطة نهضته الاقتصادية على أساس رأس المال إنما يضع نفسه تحت رحمة الآخرين أي في سجن المؤسسات المالية العالمية، وبعيدا عن كون هذه المؤسسات ستلمي شروطها التي ستتمس سيادة الوطن المستقرض فإن الخطة نفسها التي يفترض أنها ستحسن من واقع البلاد المتخلفة، هذه الخطة لن يرسمها وطنيو هذه البلاد وإنما تسند إلى خبراء أجانب، غير مرتبطين بمصير البلاد التي يخططون لها، وبالتالي سيكون مصير الخطة الفشل الذريع تماما مثلما حدث لبرامج التنمية التي وضعها خبراء أجانب بعد الحرب العالمية الثانية قصد النهوض بدول العالم الثالث، ذلك أن هؤلاء الخبراء كانوا يجهلون طبيعة هذه الشعوب وثقافتها فلم يتمكنوا من تحريك طاقاتها<sup>(2)</sup>.

تأسيسا على هذا كانت دعوة بن نبي إلى ضرورة أن تكون الخطة التنموية معتمدة اعتمادا أكثر على السلطان الاجتماعي، والاعتماد على هذا الأخير يعني تحريك الطاقات الاجتماعية الكامنة في البلاد المتخلفة، وتحريكها لا يكون إلا بالنظر في جملة المبررات الكفيلة بتحقيق أقصى ما يمكن من التوتر في الطاقات الاجتماعية، والمبررات التي تتطلبها مرحلة الانطلاق قد تكون دينية مثلما كانت في بداية النهضة العربية غداة محي الدين الحنيف، وقد تكون إيديولوجية كما كانت عليه الحال في الاتحاد السوفياتي غداة نجاح الثورة البلشفية، وقد تكون وطنية دينية كتلك التي هزت النفوس وحركتها للنهوض في وجه المستعمر في عالمنا الإسلامي.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 181.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص ص (70-75).

ويعمق بن نبي فهمنا لأفكاره ككل مرة بضرب الأمثلة المستقاة من الواقع المعيش فيحدثنا هاهنا عن التجربة الألمانية والتجربة اليابانية ثم التجربة الصينية، وبالنظر لكون المثال أظهر في التجربة الصينية نقف عندها لتبين مع بن نبي فعالية الاستثمار على أساس رأس المال الاجتماعي، فيذكر بن نبي بأن " الصين الحديثة، صاحبة المعجزة الكبرى في هذا القرن خرجت من العدم فتحوّلت معالمها، كما حوّلت، من أجل بناء سدودها وطرقها، المليارات من الأمتار المكعبة من التراب، لا بالآلات الحافرة والناقلة، المفقودة في بلد ينشأ، ولكن بفضل سواعد أبنائها وعلى أكتافهم، تحوهم الأسطورة المعبرة عن طاقة الانسان عندما تحركه إرادة حضارية، فتذكروا أو ذكروا أن جدّهم (يوكنج) حول الجبال)"<sup>(1)</sup>.

هذه هي قوة السلطان الاجتماعي، فالصين من أجل أن تحرك كامل طاقاتها البشرية لم تستح أن ترجع لأساطيرها لتتخذها مبررا يرفع درجة التوتر في نفوس قواها العاملة إلى درجة مكنتهم من أن يهدوا الجبال هدًا، فتقدموا خطوات طويلة في وقت وجيز، هذه هي الصين التي " طبقت منذ اللحظة الأولى في خطة تتميتها مبدأ الاتكال على الذات، أي بالتعبير الاقتصادي مبدأ الاستثمار الاجتماعي من الانسان الصيني، والتراب الصيني، والزمن المتوفر في كل أرض"<sup>(2)</sup>.

هذا هو الدرس العملي الذي يضعه بن نبي أمام قادة شعوب العالم العربي والإسلامي على حد سواء، درس مفاده أن بالإمكان تعويض الإمكان المالي بالإمكان الاجتماعي وتعويض الطاقات الميكانيكية المفقودة بالطاقات الحيوية الموجودة، فإرادة الشعوب لا تقهر حتى أمام الجبال الراسيات، وإنما تفتقر الشعوب للقيادات الوطنية الصادقة والرشيده التي تقدم القدوة من نفسها أولاً قبل أن

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 71.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 76.

تطلبها من الشعب، ودروس ألمانيا واليابان والصين تقطع السنة كل المحاجين بغير حق ممن لا يرون شعوبهم إلا تبعاً للغير.

ونختم بالقول بأن الصين عندما آمنت بالسلطان الاجتماعي، ورأت المعجزات رأي العين تصنع بإرادته، لم يمنعها ذلك بأن تراجع ما توهمته صواباً في فكرة تحديد النسل، فألغت المنع، فما دام الكل يشتغل فحتماً الكل سيأكل والكل سيسعد.

#### د-بناء شبكة العلاقات الاجتماعية:

إن موضوع بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ذو صلة وثيقة بموضوع التغيير ذلك "أن أول عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات، وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده"<sup>(1)</sup>.

ويبين لنا بن نبي بأن صناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث هي: عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، وأن هذه العوالم لا تعمل متفرقة ولا يمكن أن يتم عمل تاريخي إذا لم تتوافر صلوات ضرورية داخل هذه العوالم الثلاثة، وجوهر هذه الصلة هي شبكة العلاقات الاجتماعية، وبهذا التركيب يحصل تغيير وجوه الحياة وتعبير أصح تطور المجتمع، ومن هنا يقرر بن نبي بأننا " لا يمكن أن نتصور عملاً متجانساً من الأشخاص والأفكار والأشياء دون هذه العلاقات الضرورية، وكلما كانت شبكة العلاقات أوثق، كان العمل فعالاً مؤثراً"<sup>(2)</sup>، وإلى هذه الحال أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه" منفق عليه.

<sup>1</sup>-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص28.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص38.



ثم بين بن نبي بأن الدولة التي تحقق التقدم الانساني في أعظم أشكاله " هي التي تحقق شبكة العلاقات الاجتماعية على أقرب ما تكون من التي نسجها الاسلامي في العهد المدني"<sup>(1)</sup>، ومعنى هذا أن العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان إنما تبنى على أساس العلاقات الروحية بين الله وبين الإنسان، ثم تتعدى بعد ذلك لتربط بالمجتمع، فأساس الارتباط بين الإنسان وأخيه الإنسان والإنسان بالمجتمع هو العلاقة الروحية وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم﴾<sup>(2)</sup>.

ويميز بن نبي بين الحد المثالي للتطور الاجتماعي وبين الحد النهائي في تطوره بالنظر للحال التي تكون عليها شبكة العلاقات الاجتماعية، ففي الحد المثالي تكون شبكة العلاقات الاجتماعية متماسكة والمجتمع يؤدي نشاطه المشترك في أفضل الظروف، أما في الحد النهائي فيفقد المجتمع خاصية الانسجام ويتفرق أفراده ويصبح عاجزا عن أداء نشاطه المشترك.

ويحذر بن نبي من تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية لأنها عنوان انتهاء المجتمع وحركته في التاريخ، ثم يبين لنا سبب تمزق وتفكك هذه الشبكة بقوله: " وكلما حدث إخلال بالقانون الخلفي في مجتمع معين، حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه"<sup>(3)</sup>.

ومن مظاهر الإخلال بالقانون الخلفي المؤدى إلى فساد العلاقات الاجتماعية إصابة " الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا، إذ يدور النقاش حينئذ لا لإيجاد حلول للمشكلات، بل للعثور على أدلة وبراهين"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 41.

<sup>2</sup> - القرآن الكريم: سورة الأنفال، الآية رقم 63.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 53.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 43.

ومن هنا يرى بن نبي بأن جملة أمراض المجتمع السياسية والاقتصادية والفنية... إلخ، هي ترجمة صادقة لـ: لفاعلية شبكته الاجتماعية وهذه الأخيرة ترجع في جوهرها إلى أمراض الأنا في هذا المجتمع، ويترتب على تضخم الأنا عند الفرد انتشار الروح الانفرادية في المجتمع، وأسوأ ما تكون عليه هذه الروح الانفرادية عند القادة والزعماء وهكذا تتلوث العلاقات السلطانية ويفقد الخضوع لهذه العلاقات مسوغاته بوصفه التزاماً أو واجب، وعليه ينبغي على كل مجتمع يشرع في النهوض أن يرمم ويصلح شبكة علاقاته الاجتماعية<sup>(1)</sup>.

#### هـ-الفاعلية:

الفاعلية في منظور مالك بن نبي هي حركة الإنسان في التاريخ: " فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ"<sup>(2)</sup>، ولقد استخدم بن نبي مصطلح الفاعلية (أو الفعالية) للدلالة على كثرة الحركة والنشاط والعمل مع إجادته وإتقانه، فالإنسان الفاعل هو التنشيط المتحرك، لا الخامل الساكن، والمجتمع الفعال هو المجتمع الذي يتسم بالحرية والنشاط، ويشجع عليها أفرادها ويفتح الأبواب أمام روح المبادرة ويكافئ على الإبداع والتميز.

والفاعلية عند بن نبي ليست هي الحركة المشاهدة والنشاط المحسوس فحسب بل هي قبل ذلك الروح الدافعة للعمل والموجه له ويقدمها لنا على أنها الشعور القوي للإنسان، الذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراتهِ وتبليغهِ لرسالاتهِ وقدرته الخفية على إدراك الأشياء<sup>(3)</sup>.

وبنظرة ناقدة للواقع العربي الإسلامي يحذر بن نبي من غياب الفاعلية وما يطبع مجتمعاتنا من مظاهر السلبية الفاتلة فيقول: " ونظرة إلى ما حولنا تكفي لنا لكي نلاحظ أن ضروب نشاطنا غالباً

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 47.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص 125.

<sup>3</sup> - بن عيسى با طاهر: الفاعلية والمشروع الحضاري قراءة في فكر مالك بن نبي، مجلة افاق الثقافة والتراث.

ما تتسم بالشلل وانعدام الفاعلية في الجانب الخاص والعام<sup>(1)</sup>، وفي موضع آخر يبيّن كيف تضيع أعمالنا سدى فيقول: "إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من (اللافاعلية) في أماننا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهائلة"<sup>(2)</sup>.

ومن هنا يرى بن نبي بأن من أهم مشكلاتنا في العالم الإسلامي اللافاعلية، وبدلا من التصدي لهذا الداء العضال، نذهب للذي هو أسوأ محاولين إيجاد أعذار لما نحن فيه من العبيثية والشلل العام الذي يطبع حياتنا الاجتماعية " فنحن لا نعاني اللافاعلية فحسب، ولكننا نخترع شيئا ما: (ترهة) معينة لاستبقائها! ونحن عندما نتفحص عن كثب حياتنا الاجتماعية، نجد فيها ما لا يستهان به من الترهات من هذا القبيل، بغية تبرير لا فعاليتنا"<sup>(3)</sup>.

وفي تبريرنا لـ (لافاعليتنا) نشبه الطفل الصغير الذي يحاول دوما التنصل من المسؤولية وتقديم الأعذار لكل ما يصدر عنه من أخطاء، والطفل بحكم صغره فهو فاقد للإرادة، وكذلك المجتمعات التي تتسم باللافاعلية فهي فاقد للإرادة، ولأن صاحب الإرادة هو الأقوى، سجل التاريخ استعمار دول صغيرة -تملك الإرادة- لدول كبيرة -فاقدة للإرادة- كاستعمار بريطانيا للهند واستعمار هولندا لأندونيسيا.

إن مثل هذه الدول المتسمة باللافاعلية والفاقدة للإرادة تكون غالبا مصابة بذهان السهولة أو الاستحالة، فهي إما أن ترى جميع الأمور والمشكلات سهلة فتقدم عليها إقدام غير المتبصر وحتما سيرديها هذا العمل، وإما أن ترى الأمور مستحيلة فيصاب نشاطها في جميع مفاصله بالشلل العام<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص86.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سابق، ص96.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: فكرة كمنولث اسلامي، ط9، دار الفكر، دمشق، سورية، 1430هـ/2009م، ص62.

<sup>4</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص88.

ولكي نتخلص مجتمعاتنا من هذا الذهان وتسترجع فاعليتها عليها أن تصحح الخلل الحاصل في ثقافتها، لأن الفاعلية هي جزء من الثقافة التي يتصف بها الفرد والمجتمع، وتصحيح الخلل الحاصل في ثقافتنا، وهذا يدعونا لمراجعة أفكارنا وتنقيتها من كل الشوائب حتى تصبح قادرة على مقارنة الأفكار الفعالة للمجتمعات المتحركة وتأخذ من ثم مكانها من جديد وسط الأفكار التي تصنع التاريخ<sup>(1)</sup>، أما على المستوى العملي فالمجتمع الاسلامي لكي يستعيد فعاليته مطالب بأن يضع في أساس تخطيطه مسلمة مزدوجة.

أ- كل الأفواه يجب أن تجد قوتها.

ب- جميع الأيدي يجب أن تعمل.

وبهذا تتحرر أفكارنا من ثقل اللافاعلية حيث تكون جميع الأيدي سادرة في تحريك عجلة ديناميتها الاجتماعية<sup>(2)</sup>، وبعدها وضح بن نبي أهمية الفعالية في حياة المجتمعات وبين خطورة فقدانها، راح يتساءل عن كيفية استعادة الفعالية بعد فقدانها، وما هي الظروف التي تجعل المجتمع يخلق في الفرد القيمة التي تبعث فيه الفعالية؟

فذكر لنا بأن المجتمعات تعيش أحيانا حالة ركود وكساد ومع ذلك فهي على المستوى النفسي تشعر بالاستقرار فهي راضية بوضعها على سوتها ولا تبذل أي جهد لتغييره، وفي حالات أخرى فإن المجتمعات تعصف بها حوادث تغيّر أوضاعها، فيتغير تبعاً لذلك موقف الانسان أمام تلك الحوادث، ثم يحدد لنا بن نبي هذه الحال التي تخلق في الفرد القيمة التي تبعث فيه الفعالية، فيقدمها

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص 110.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 118.

لنا على أنها "حالة قلق يسودها الشعور بالخطر سواء أكان الخطر واقعياً أم مجرد فكرة خامرت العقول"<sup>(1)</sup>.

وفي هذه الحال التي يمكن تسميتها بحالة انقراض، تحرم الفرد من شعور الاستقرار لما يعتره نتيجة تلك الأوضاع من القلق، فيسعى جاهداً لتغيير ذلك الوضع، والوقوف في وجه تلك الحوادث حتى يسترجع استقراره الاجتماعي والنفسي، ويمثل بن نبي لهذه الحال بوضع بني إسرائيل في زمن فرعون وما كانوا عليه من الكساد والركود حتى جاءهم موسى عليه السلام وما أحدثه في نفوسهم من حالة القلق على مصيرهم فسعوا معه لتغيير أوضاعهم، وفي حالنا اليوم "زمن الربيع العربي" ما يكفي ليشعرنا بحالة الانقراض وما يدعونا للنهوض والسعي لتغيير أوضاعنا ومن ثم استعادة فعاليتنا.

#### و- معادلة الواجب والحق:

إن الحديث عن الواجب والحق والعلاقة بينهما ليس موضوعاً حديثاً فقد خاض فيه الفلاسفة والمفكرون من قديم الزمان، والعلاقة بينهما كما يقول بن نبي هي علاقة تكوينية تفسر نشأة الحق ذاته، ويرى أننا لسنا في حاجة لنظرية تفسر لنا الواجب على حدى والحق على حدى، فالواقع الاجتماعي لا يفصل بينهما.

ويقر بن نبي حق كل امرئ في المطالبة بحقوقه، فلا ضير في ذلك، ولكن الضير في قلب موازين القيم فيقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، وفي هذا يقول بن نبي "ومن الجميل حقا أن يحصل المرء على (حقوقه) التي يطالب بها، ولكن من المؤسف حقا أن نقلب نظام القيم فنقدم (الحقوق) على (الواجبات)، فذلك يزيد نسبة التخليط والقلق والفوضى في حياتنا، لأنه يضاعف خطوات (البوليتيكا) الخاطئة"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص 132.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 117.

وإذا كان تقديم الحقوق على الواجبات قلباً لنظام القيم، فإن العكس هو الصواب في نظر بن نبي ويرى أن كل بلد أو مجتمع يضع التقدم نصب عينيه لا يسعه إلا إعلاء قيم الواجبات وهذا عنوان الرقي الخلقي لدى أفراد المجتمع، وفي هذا يقول بن نبي أنه "ينبغي ألا يغيب عن نظرنا أن (الواجب) يجب أن يتفوق على (الحق) في كل تطور صاعد، إذ يتحتم أن يكون لدينا دائماً محصول وافر، أو بلغة الاقتصاد السياسي (فائض القيمة)، هذا (الواجب الفائض) هو أمانة التقدم الخلقي والمادي في كل مجتمع يشق طريقه إلى المجد"<sup>(1)</sup>.

وحتى يزيد فكرته عمقا يقول بأن الحق والواجب كقيمتين يمكن التعبير عنهما بعلاقة جبرية بحيث تكونان قيمتين مختلفتين على طرفي الصفر، وبالتالي ينتظمان في المتراحة التالية:

$$\text{واجب} + \text{حق} \rightarrow \text{صفر}$$

فإذا ما انتقلنا من المجال القيمي الخلفي إلى المجال الاقتصادي يصبح الحق هو الاستهلاك والواجب هو الإنتاج، وبالمثل تصبح المتراحة كالتالي:

$$\text{استهلاك} + \text{إنتاج} \rightarrow \text{صفر}$$

ويدمج العلاقة الأخلاقية للحق والواجب بالعلاقة الاقتصادية للإنتاج والاستهلاك، نجد أنفسنا أمام ثلاث حالات يحكمها مدى التركيز على مفهوم الحق أو مفهوم الواجب.

\*فإذا أن تكون العلاقة الاقتصادية ايجابية يتقل فيها ميزان الإنتاج ويخف ميزان الاستهلاك وبالتالي يستثمر فائض الإنتاج في مشاريع توسيعية والمجتمع في هذه الحال نام<sup>(\*)</sup>.

\*وإذا أن تكون كفتا الميزان متعادلتين والمجتمع في هذه الحال راكد.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 143.

\* - المجتمع النامي في مفهوم بن نبي هو المجتمع الصاعد المتقدم خلافا للاستعمال الشائع.

\* وإما أن تكون كفة ميزان الاستهلاك أرجح والمجتمع مع هكذا حال ينهار<sup>(1)</sup>.

ويذكرنا بن نبي بأن تقديم الواجب على الحق لا ينبغي أن يكون مجرد شعار يرفع، كما أنه ليس من السهولة تحقيقه" لأنه تحويل لعادات وطبائع منسجمة مع ما في الإنسان من ميل طبيعي إلى منطق السهولة، مدعما من ديماغوجيا القرن العشرين التي نصبت من (الأنا) وثنا جديدا يعبده الفرد في المجال السياسي باسم الحرية، وفي المجال الاقتصادي باسم الحقوق<sup>(2)</sup>.

ولأن المجال هنا بالدرجة الأولى مجال القيم الخلقية التي يمكن متى توفرت الإرادة الصادقة تحويلها إلى قيم اجتماعية واقتصادية، اختار لنا بن نبي مثالا من عند خير من مثل القيم الانسانية، من عند خاتم الأنبياء والمرسلين، فذكر لنا موقفه من السائل الذي جاء يطلب لقمة عيش هي بمثابة حق له عند الموسرين من المسلمين، وكان كرم الرسول صلى الله عليه وسلم كفيلا بأن يضمناها له، إلا أن الرسول أراد أن يقدم درسا وعبرة لأمته من خلال هذا المتسول، فأشار عليه ببيع سقط المتاع الذي عنده ويشترى بثمنه فأسا ثم ليذهب ليحتطب فهذا خيرا له من مساءلة الناس أعطوه أو منعه.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد بهذا الدرس أن يصح نظرة المسلمين إلى معادلة الحق والواجب، فحول السائل من طالب لـ (الحق) وهو لقمة العيش، إلى مؤد لـ (الواجب) وهو العمل، وهذا الحديث الشريف<sup>(\*)</sup>، الذي لم يسقه بن نبي بنصه الكامل واكتفى بالعبارة منه يمكن أن نستخلص منه جملة فوائد تخدم الموضوع:

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص ص (86 - 88).

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 89.

\* - نص الحديث الشريف: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، (شكا له الحاجة)، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ، قَالَ: بَلَى جَلَسْتُ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَتَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: أَنْتَبِي بِهِمَا، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ، قَالَ رَجُلٌ:

أولاً: حول الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل السائل من مستهلك ابتداء إلى منتج.

ثانياً: أوجد رأس مال المشروع من السائل نفسه.

ثالثاً: المساعدة الداخلية، حيث بيعت أغراض السائل بأكثر من ثمنها، وشارك الرسول في إعداد وسيلة الاحتطاب فشدّ فيها العود بنفسه.

رابعاً: مراعاة الاحتياجات الضرورية العاجلة، حيث أمر الرسول الرجل بأن يشتري بأحد الدرهمين طعاماً فينبذه إلى أهله ويشتري بالآخر قدوماً ليذهب للاحتطاب.

خامساً: اختار الرسول صلى الله عليه وسلم المشروع المناسب لإمكانيات السائل البدنية والعقلية (أذهب واحتطب وبع).

سادساً: تخصيص فترة زمنية كافية لتقييم المشروع ( ولا أرينك خمسة عشر يوماً).

سابعاً: تقييم المشروع: حيث قال الرسول للسائل بعد ما جاءه ثانية (هذا خيراً لك...).

ز- أهمية الوقت:

سبق الإشارة في موضع من هذا الفصل أثناء الحديث عن رأس المال الاجتماعي، بأن الأمم في انطلاقها والسعي نحو تحقيق نهضتها ليست بالضرورة محتاجة إلى رأس المال النقدي (المال)، وإنما المعول عليه بالدرجة الأولى إمكانياتها المتاحة بشريا وماديا مما حواه ترابها، ويؤكد بن نبي هذه الحقيقة مرة أخرى ويضيف لها عامل الوقت فيقول: "إنه ليس من الضروري ولا من الممكن، أن يكون لمجتمع فقير، المليارات من الذهب، كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي لا

أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهِمٍ، قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ دِرْهِمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهِمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدَّرْهِمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَايْنِذُهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأَتِيَنِي بِهِ فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُوْدًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَذْهَبْ: فَاحْتَطَبَ وَبِعَ وَلَا أَرَيْنَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا تَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نَكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ لِيذِي فَقَرِّ مُدْقِعٍ أَوْ لِيذِي غَرْمٍ مُفْطِعٍ أَوْ لِيذِي دَمٍ مُوجِعٍ". رواه أبو داود وابن ماجه.



يستطيع الدهر أن ينقص من قيمته شيئاً، الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه: الإنسان والتراب، والوقت<sup>(1)</sup>.

فهذه الثلاثية هي رصيد الأمة الحقيقي وسلمها الذي تنهض عليه وترقى به إلى أجواء الفضاء ولأنه قد سبق الحديث أو الإشارة إلى كل من الإنسان أو التراب في مواضع من هذا الفصل وفي الفصول السابقة، فسنركز الحديث هاهنا على تبيان قيمة الوقت وأنه رقم صعب في معادلة النهضة فهو " العملة الوحيدة المطلقة التي لا تبطل، ولا تسترد إذا ضاعت، إن العملة الذهبية يمكن أن تضيع وأن يجدها المرء بعد ضياعها، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة ولا أن تستعيدها إذا مضت<sup>(2)</sup>."

وإذا ما صار الإيمان راسخاً لدينا بما يمثله الوقت من منزله عظيمة في معادلة النهضة لم يكن ساعتها من الصعب علينا أن نستوعب فكرة أن هذا الوقت الثمين هو " المادة الأولية في تنمية أي مجتمع، وبالأخص إذا كان المجتمع في نقطة الانطلاق<sup>(3)</sup>."

ولقد أدركت الأمم الغربية قيمة الوقت فكان بذلك جسرها نحو التمدن ثم التحضر وقد عبرت عنه بعض أمثالهم بأنه المال<sup>(\*)</sup>، وأدركت أمتنا قبل الغربيين قيمة الوقت فساعدتها إلى جانب عوامل أخرى على بناء واحدة من أعظم حضارات العالم، حضارة نظرات إلى الوقت على أنه الحياة كلها وضياعه يعني ضياعها.

وإذا كان أسلافنا قد أدركوا قيمة الوقت على اعتبار أنه هو الحياة نفسها، فما هي حاله اليوم عندنا؟، الواقع يجيبنا بمرارة بأننا لا " نعرف شيئاً يسمى "الوقت"، لأننا لا ندرك معناه، ولا تجزئته

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، مرجع سابق، ص 69.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سابق، ص 140.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص 112.

\* - مثل انجليزي يقول الوقت هو المال Time is Money

الفنية، ولسنا نعرف الى الان فكرة "الزمن" الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ، مع أن فلكيا عربيا مسلما هو "ابو الحسن المراكشي"(\*) ، يعتبر أول من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا<sup>(1)</sup>.

وإذا كانت هذه هي حالنا مع الوقت فلا ضير أن نكون في آخر السلم الحضاري، بينما بلغ أسلافنا ذروة سنامه وجلسوا على قمته السامقة، وليس هذا ما يشغلنا حاليا، وإنما الذي يجب أن نوليه اهتمامنا كيف السبيل لتصحيح منهجنا في التعامل مع الوقت وما هي انجع الوسائل واقوم السبل لتقويم ما اعوج من أمرنا.

يرى بن نبي بأن: "التربية هي الوسيلة الضرورية التي تعلم الشعب العربي الاسلامي تماما قيمة هذا الامر (الوقت)"<sup>(2)</sup>، وحتى لا نخطئ في التعامل مع هذه الوسيلة يوضح لنا بن نبي، بأن المقصود بالتربية ليس مجموع الدروس النظرية التي تسوق للناشئة مختلف الشواهد والامثلة عن قيمة الوقت، وإنما المقصود بالتربية كوسيلة هي الدروس العملية التطبيقية ويوضع لنا ذلك بتقديم تجربة عملية فريدة أبدعتها العبقريّة الألمانية عقب الحرب العالمية الثانية التي خلفت ألمانيا وراءها قاعا صافصفا في العتاد والممتلكات لا في العقول، ولذلك استطاعت هذه الأخيرة أن تصنع المعجزة، معجزة نهوض ألمانيا في ظرف جد وجيز لم يتعد العقد من الزمن.

فكيف تعامل الألمان مع عامل الوقت الذي لم يكن لصالحهم وقتئذ؟

لقد دخلت ألمانيا بعد أن حطت الحرب أوزارها في سباق محموم مع الزمن فـ" فرضت الحكومة عام 1948 على الشعب الألماني كله، نساء وأطفالا ورجالا، التطوع يوميا ساعتين،

\* -العالم المسلم ابو الحسن بن عمر المراكشي من علماء المغرب عاش في عصر دولة الموحدين في النصف الأول من القرن السابع هجري، توفي سنة 2660هـ/1262م وقد اشتهر المراكشي في الفلك والرياضيات والجغرافيا وصناعة الساعات الشمسية.

1- 2- مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سابق، ص140.

يؤديها كل فرد زيادة على عمله اليومي وبالمجان من أجل الصالح العام فقط، ولقد سمي هذا التجنيد العام *Roboter Arbeit* وهو العمل للمصلحة العامة<sup>(1)</sup>.

هذا ما فعل الرجل الألماني بالزمن الألماني وبما توفر في التراب الألماني فكانت المعجزة المبهرة، وهذا عين ما تحتاجه كل أمة في ساعة يقظتها من أجل تحقيق انطلاقتها على أسس سليمة.

ح- المشاركة والتكامل الاقتصادي:

يؤكد بن نبي على أن الفعل التنموي يتطلب تضافر كل الجهود على المستوى الداخلي فلكي يأكل الكل يجب أن يشتغل الكل، كما يتطلب تضافر الجهود على المستوى الخارجي تضافر الجهود مع الآخر، الآخر الذي يعنيه ما يعنينا، الآخر الذي نتقاسم معه الجغرافيا نفسها والتاريخ نفسه، واللغة والدين ووحدة المصير بدرجات متفاوتة.

فبالنسبة لتضافر الجهود داخليا يؤكد بن نبي على أن "التعاون بين الدولة والفرد، على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي هو العامل الرئيسي في تكوين سياسة تؤثر حقيقة في واقع الوطن، وإذا ما تعذر هذا العامل، فإن القطيعة المعنوية سوف تعزل الدولة عن المواطن وتشل الطاقات الاجتماعية"<sup>(2)</sup>.

وفي حال تعذر تحقيق تعاون يفضي إلى تناعم بين أهداف السلطة ومطامح الأفراد، فإن السياسة في هذه الحال لن تكون "سوى دكتاتورية كما تعرفها بكل أسف كثير من بلدان العالم الثالث، وهي بالتالي لن تستطيع أن تتسجم في الحقيقة مع مصائر الأمة ولا أن تحقق أهدافها"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 142.

<sup>2</sup> - <sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 82.

إن تحول السياسة إلى دكتاتورية عاجزة عن الانسجام مع مصائر الأمة وغير قادرة على تحقيق أهدافها تفضي بالمجتمع إلى "معارضات طاغية في فوضى شاملة، يسودها شعار (عليك خاصة نفسك)، ذلك الشعار الذي تدين به فترات الانحطاط والقهقري"<sup>(1)</sup>.

ثم يحذر بن نبي من عدم صدق السياسة في التعامل مع الفرد، والالتفاف على مطالبه ومطامحه فإن أمرها آيل للافتضاح، إن لم يكن اليوم فغدا فيقول في هذا " وربما استطاعت السياسة أن تأخذ هذا الحكم على حين غرة في وقت ما خصوصا حين ترفع شعارات خلافة وتصرح بوعود مغرية، ولكن - كما يقول رئيس الولايات المتحدة (ابراهيم لنكولن)-: إن التغرير بفرد ممكن دائما والتغرير بشعب ممكن بضعة أيام، إلا انه غير ممكن كل يوم"<sup>(2)</sup>.

ويلخص بن نبي رأيه في ضرورة إشراك الأفراد في أي عملية تنموية، في عبارة موجزة المبني عظمة المعنى فيقول: " إن (الاجماع) هو بالتالي المقياس الجوهري الذي يميز سياسة ناجعة"<sup>(3)</sup>، وإذا ما تحققت هذه السياسة في واقعنا يصبح ساعتها العمل المشترك " المدرسة التي تكون المسلم الجديد، الذي يستطيع مواجهة كل الظروف الاستثنائية، مثل التخلف"<sup>(4)</sup>.

وحين يلد هذا المسلم الجديد الذي يحول البلاد إلى ورشة دائمة الحركة حينها يمكننا تحقيق الاستقلال والتحرر من ربق التبعية فتصبح بذلك مصائرنا بأيدينا لا بأيد الغير وفي هذا يقول بن نبي " فالوطن أو المجتمع المسلم الذي يتحول إلى ورشة، سرعان ما يكتشف أن الإمكان الذي ينتظره مما في يد الآخرين لتغيير مصيره هو في يده منذ الآن"<sup>(5)</sup>.

أما بالنسبة لتظافر الجهود خارجيا وتحقيق الشراكة والتكامل مع من نقاسم معهم وحدة المصير والهدف المشترك، فيبدأ بن نبي تبيان أهمية وضرورة هذه الشراكة الاقتصادية ووجهة

<sup>1</sup>- مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 83.

<sup>2</sup>-<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 82.

<sup>4</sup>-<sup>5</sup> مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 82.

ضرورتها يأتي من عجز الأوطان مفردة عن تحقيق تميمتها واستقلالها الاقتصادي ومن ثم المحافظة على استقلالها السياسي، وفي الحد الأدنى فالضعيف عاجز عن منافسة من يفوقه قوة، ذلك أن "الواقع الاقتصادي في القرن العشرين - وازدادت تأكداً بدخول القرن الواحد والعشرين- يدل على أن المنظمة الاقتصادية الكلاسيكية لا تستطيع في حجم الوطن، جمع الوسائل الكافية لتنمية هذا الوطن، وبالتالي فإنها لا تستطيع المنافسة في السوق العالمية أمام الكتل الاقتصادية المتكاملة"<sup>(1)</sup>.

ويوجه بن نبي أنظار البلدان العربية إلى النموذج الأوروبي وأنها ستجد فيه قطاعاً " دلالات مهمة، خصوصاً من حيث فكرتها المبدئية التي حركت الهمم، عندما وجدت البلدان الأوروبية نفسها بعد الحرب العالمية الثانية، أمام كتلتين عملاقتين: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي"<sup>(2)</sup>، ليؤكد بعد ذلك بأن " البلدان العربية مطالبة بالمراجعة نفسها، تطالبها بذلك ظروف أفسى من تلك التي أوجت بالسوق المشتركة الأوروبية"<sup>(3)</sup>.

ثم يقرر حقيقة تؤكد شواهد الواقع، حقيقة مفادها أن التفكير في النهوض منفردين ضرب من الخيال فيؤكد على أن العرب " سيدركون أن استقلالهم الاقتصادي في إطار بلد واحد وهو ضرب من الأوهام في العصر الحاضر"<sup>(4)</sup>.

وعلى عادته في سوق الأمثلة الواقعية وتقديم الحجج المفنعة يقدم بن نبي مثلاً يدعم ما قرره من عجز المنفرد عن تحقيق نهضته بالانغلاق على ذاته، حتى لو كان قويا كاليابان، فما بالك إن كان دونها قوة وتقدماً " فاليابان على الرغم من أنها الدولة الاقتصادية الثالثة، لا تستطيع أن تقطع علاقاتها مع الخارج، أي أن تكون داخل حدودها حلقة اقتصادية مغلقة"<sup>(5)</sup>.

<sup>1-2</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والنتيه، مرجع سابق، ص 165.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 166.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 167.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 99.

ويؤكد بن نبي على أن كل ما تتطلبه هذه الوحدة الاقتصادية العربية متوفر لدينا، ومن شأنه أن يحقق لنا السيادة التي ننشد، فيذكر بأن "الرقعة الجغرافية العربية مع عدد سكانها ومساحاتها وما تتطوي عليه من خبرات، قد تحقق شروط الكتلة المتكاملة (Autarcie) أي الشروط الأولية للاستقلال الاقتصادي"<sup>(1)</sup>.

هذه هي الشروط الأولية والأساسية التي في إمكانها أن تحقق لعالمنا اقتصاده التكاملي، فتحسن عن أحواله داخليا وتمكنه على المستوى الخارجي من مواجهة كل أشكال الضغوط والهيمنة، فليس أمام العالم العربي اليوم سوى أن يعيد للتراب وظيفته الاقتصادية في نطاق مشروع شامل تتحد فيه الأيدي والعقول - بما فيها العقول العربية المغتربة لأسباب مختلفة - والأموال في كامل الوطن العربي أو في أجزاء منه تكون مؤهلة أكثر من غيرها من حيث توفر شروط الاقتصاد التكاملي على نحو ما نراه اليوم من تجمعات اقليمية.

وانطلاقاً من واقعية بن نبي التي تنأى به دوماً عن الخوض في النماذج المثالية، ينبه بن نبي المهتمين والمنشغلين بالواقع العربي، قادة كانوا أو علماء باحثين، إلى أن هناك عوائق وصعوبات تقف في وجه هذا المشروع الوحدوي، بعضها اقتصادي منشؤه من اختلاف وتفاوت الدرجات ومستويات النمو الاقتصادي بين مجموع بلداننا العربية، وبعضها الآخر منشؤه من تباين الاتجاهات والمذاهب السياسية إلا أنه وللضرورات المذكورة آنفاً يتحتم على دولنا وشعوبنا أن تتخطى هذه الصعوبات نحو تحقيق هذه الحلقة الاقتصادية التكاملية وسيكون هذا النجاح هو دليل الاعتدال في التفكير والتطبيق.

إن الواجب يملئ على مجموع دولنا أن تعمل متآزره على مواجهة تحديات الواقع الاقتصادي العالي من خلال توحيد "إمكانياتهم وحاجاتهم حتى يحققوا في أسرع ما يمكن شروط

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 165.

الاكتفاء الذاتي (Lantarcie) أي الحلقة الاقتصادية التي تستطيع الانغلاق على نفسها، إذا ما اقتضت الضرورات الداخلية والخارجية ذلك<sup>(1)</sup>.

ولا يكتفي بن نبي بالتحدث على ضرورة هذه الوحدة الاقتصادية التكاملية نظريا بل يذكر مجالات حساسة يمكن تحقيق هذه الوحدة فيها ويذكر مبرراتها وأسبابها فيذكر على سبيل المثال ضرورة التفكير في عمله موحدة تحررنا على الأقل في تعاملاتنا البنينة من اللجوء إلى الدولار الأمريكي أو الجنيه الاسترليني وهذا له وقعه الكبير اقتصاديا على الدول الغربية، كذلك يمكن التفكير في مصرف للمواد الخام في إطار سياسة مواجهة الكتلة النقدية بكتلة المواد الخام حتى لا تبقى موادنا الخام مسترخصة أمام العملات الغربية<sup>(\*)</sup>.

وفي الأخير نسوق مثلا من مجموع الأمثلة التي ضربها بن نبي على إمكانية تحقيق هذه الوحدة الاقتصادية<sup>(\*\*)</sup> بين دولنا حيث يذكر بأن ليبيا " لها متسع من التراب، ومصر لديها فائض من العدة البشرية، وللكويت فائض من المال المعطل، فلو اجتمعت هذه العوامل الثلاثة في خطة تجريبية لادرك العالم العربي كله أن شروط الإقلاع والاكتفاء الذاتي هي تحت يده عندما يريد النهوض الاقتصادي..."<sup>(2)</sup>.

#### ط-البحث عن طريق للتصدر:

يناقش المفكر بن نبي موضوع طريق التصدر من وجهتين:  
\* من الوجة المادية: فإن تحقيق التنمية لا يستدعي نجاحا كبيرا على جميع المستويات، وإنما يكفينا في ذلك تحقيق القدر الكافي والضروري في الأغلب الأعم والتميز - وهو الأهم - في شيء ما أو

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 103.

\* - للتوسع في فهم أهمية وضرورة هذه الوحدة وما يقف في طريقها من عوائق راجع تأملات حو التنمية القومية والتنمية القطرية والعمل العربي المشترك في كتاب التنمية المفقودة لـ. جورج قرم.

\*\* - يطرح بن نبي بدلا عن الوحدة الاقتصادية في إطار الدول العربية فكرة كمنولث إسلامي تؤكد ضرورته جملة مبررات جغرافية سياسية وسيكولوجية دون اغفال للتغيرات التي أفرزتها روح العصر الجديد، انظر كتابه -فكرة كمنولث إسلامي-

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 102.

قطاع ما، ولقد سبقت الإشارة تحت عنوان التخطيط الدقيق من هذا الفصل، إلى أن النهج الذي اتبعته دولة السويد في تحقيق نهضتها بالاستعاضة عن جميع منتجاتها الزراعية بزراعة الأشجار، حتى أصبحت واحدة من أكبر الدول المصدرة للخشب ... ويمكن الإشارة كذلك لبعض دول جنوب شرق آسيا كماليزيا التي تميزت في الصناعات الالكترونية والأمثلة كثيرة...

\*أما طريق التصدر الثاني الذي أولاه بنى نبى اهتماما أكبر، فهو التميز فى غير الشئئيات التى أبداع فيها الغرب وتفوق، وطريق الشئئيات هو طريق العلم الذى أسعد الانسانى وأشقاها فأصبح لزاما على من يريد التميز أن يبحث عن سبيل آخر قد تجد فيه البشرية بعض ما افتقدته فى طريق العلم ذلك أن " روح القرن التاسع عشر التى ادعت تحقيق سعادة الانسان بواسطة الآلة قد انتهت إلى إفلاس محزن، فلم يعد العالم ينتظر الخلاص على يد العلم، ولكن فى أن يبعث الضمير الانسانى من جديد..."(1).

وإيماننا بهذه النظرة يدعو بنى نبى القائمين بإعداد النشاء للمستقبل الواعد، أن يحسنوا توجيهه وأن يعرفوه على أقوم النجدين: فيسير بذلك فى طريق تحقق له ولأمته ثم الإنسانىة جمعاء أسباب السعادة والأمن والاستقرار ومن هنا كان لزاما على " المرابين فى البلاد العربىة والاسلامىة أن يعلموا الشببىة كىف تستطيع أن تكتشف طريقا تنصدر فىه موكب الإنسانىة، لا أن يعلموها كىف تواكب الروس أو الأمريكىين فى طرائقهم، أو كىف تتبعهم؟"(2).

وككل مرة يقدم بنى نبى الأمثلة والشواهد الواقعىة للتدليل على صحة ما ذهب إليه، فىسوق لنا مثال الهند التى يرى أنها " قد بلغت اليوم مرتبة الأمة المرشدة فى بعض الميادين لا بفضل أنها

<sup>1</sup> - مالك بن نبى: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص127.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص118.



تملك القنابل الهيدروجينية أو الصواريخ عابرة القارات... وإنما كان ذلك بفضل الروح الذي خلفه لها غاندي، فإذا بها تتصدر موكب الإنسانية في اتجاه السلام<sup>(1)</sup>.

إن السعي الجاد للكشف عن طريق الأمة المرشدة هو الكفيل بتغليبنا على أدواتنا التي نزرع تحت وطأتها، ومن لهذه المهمة كالشباب لو أتاحت له الفرص، وفتحت أمامه الأبواب... ففي عمره فوضى الأشياء والأفكار ليس أمام عالمنا إلا أن يبحث عن طريق جديدة تمكنه من اكتشاف ذاته ومواهبه، والأکید أنه لن يجد هداه خارج حدوده.

### ي- الحذر من المستعمر:

ينبه بن نبي كل الدول المتخلفة التي تسعى وراء تحقيق نهضتها، والتي كانت يوما ما تترسخ تحت نير الاستعمار، إلى أنه يتوجب عليها أن تحذر هذا المستعمر الذي لا يجب أن يرى مستعمراته السابقة تنهض من كبوتها، وهو لا يجب أن يراها إلا وهي غارقة في نومها وجهلها، ومن هنا يتحتم على تلك الدول أن تدرك بل أن تؤمن كل الايمان بـ " أن الاستعمار لا يستطيع فعلا أن يترك - بلا قيد أو شرط- بلدا كان يستعمره، ولا أن يغادره هكذا وبكل بساطة، مخليا وراءه المكان للاستقلال الجديد"<sup>(2)</sup>. وأنا إذا اعتقدنا خلاف هذا نكون من السذج، ونحن بذلك " نرتكب خطأ فريدا من نوعه، يكون في صالحه ومضرا لنا"<sup>(3)</sup>.

أما إذا آمنا بأن المستعمر لا يفكر في تركنا لحالنا أو لا يستطيع تركنا، فحينها ينبغي علينا أن ندرك مع هذا بأن هذا المستعمر في تحكمه فينا ولو عن بعد، إنما يفعل ذلك بعلم وتخطيط ومن ثم فهو " لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية إلا لأنه لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 118.

<sup>2-3</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص 36.

منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد... فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبقا يتحدث فيها، وأقلاما يكتب بها، إنه يسخرنا وأقلامنا لأغراضه، يسخرنا له، بعلمه، وجهلنا"<sup>(1)</sup>.

إن الأسوأ مما ينبغي أن نحذره في هذا المستعمر، أنه يحاربنا ويسخرنا لخدمة أغراضه وأهدافه بوسائل منا، ووسائل كان يفترض أن تكون أدوات لبناء ورفع صرح أمتنا، هذه الوسائل تمثل في واقع الأمر " قافلة من المثقفين يشكلون بوعي أو بغير وعي في بلادهم الطوابير الخامسة لثقافة بل لسياسة أجنبية"<sup>(2)</sup>، وحتى يحكم قبضته علينا فإنه ينجح في كثير من الأحيان بدهاء ومكر إلى استخدام الهيئات الدينية ساذجة الفكر، والزعماء والأنظمة الديكتاتورية، فيحاصرنا بذلك في كل مكان.

إن هذا المستعمر يستعمل كل أساليب مكره وخداعه وخبثه ودهائه، ليوقع بين شعوبنا المستضعفة العداوة والبغضاء، حتى لا تتفرغ لتحقيق نهضتها، ويسخر من عقولنا وأفكارنا فنستصغر أنفسنا ونعظم من شأنه، وإذا كنا " نعرف على سبيل المثال، بأية طريقة ينتقص الاستعمار من طاقتنا الاقتصادية، حين يخضع موادنا الأولية لكساد. إذ ينافسها بما يطرح في السوق بديلا عنها مصنوعات (السانتاتيك)"<sup>(3)</sup>، فإن مما ينبغي أن نعرفه وندركه على وجه اليقين، أن أكثر أساليبه خداعا تتمثل في انتقاصه من أفكارنا حتى تفقد فعاليتها في البناء الاجتماعي.

ومع كل ما ذكرناه مما ينبغي أن نحذره من المستعمر، ينبغي كذلك ألا نغالط أنفسنا فنجعل من هذا المستعمر مشجبا نعلق عليه كل عيوبنا ونقائصنا" فالاستعمار إذن ليس هو السبب الأول الذي نحمل عليه عجز الناس وخمولهم في مختلف بلاد الإسلام"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص155.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار، مرجع سابق، ص150.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص15.

<sup>4</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص94.

والذين يحاولون في عالمنا الصاق اسباب العطالة عندنا بالاستعمار، لا يقدمون لنا سوى تعلات واهية وهم بذلك يتهربون من مسؤوليتهم ويتصلون من أخطائهم فيما وقع ويقع لأممهم، فلا أحد ينكر ما للمستعمر من دور في تخلف الشعوب ولكن أدواره ما كان لها أن تحقق أهدافه لو لم يجد بيئات مؤاتيه وعقولا متقبلة.

ثم يذهب بن نبي أبعد من هذا فيحدثنا عن جانب إيجابي للمستعمر، ذلك أنه يقدم في الغالب على الشعوب وهي في حال سكونها، فإذا به " يحرر الطاقات التي طال عليها زمن الخمود، على الرغم من أنه يعد من جانب آخر عاملا سلبيا، حين يتجه إلى تحطيم الطاقات، بتطبيقه قانون (المعامل الاستعماري)"<sup>(1)</sup>.

عامل آخر يراه بن نبي إيجابيا في المستعمر الذي يمكن أن نعدّ كثيرا من مثالبه، فهذا المستعمر إن نظرنا له من وجهه نظر أخلاقية فمن المحتمل ألا نجد له فضائل تذكر إلا أننا " لا نستطيع أن ننكر عليه رغم ذلك فضيلة التنظيم، والمنهجية، وبكلمة أخرى فضيلة تنظيم العمل تنظيميا تقنيا"<sup>(2)</sup>.

هكذا يقدم بن نبي المستعمر، عدوا نحذره، وأستاذا نتعلم منه، هذا العدو الأستاذ لا يفيدنا في شيء أن نكيل له الاتهامات جزافا، بل علينا أن نفهمه بفهم أساليب تفكيره وآليات عمله، وأنه ينبغي على من يقاوم هذا المستعمر بوصفه رأسمالي أو إمبريالي، ألا ينام وهذا دور يجدر بالنخب الواعية أن تضطلع به.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 94.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص 106.

ك-النقد الذاتي:

إن كل عمل هادف يرمى له تحقيق أهدافه وبلوغ غاياته والاستمرار في الوجود والعطاء، لابد أن يتعهد أصحابه بالتقويم تعديلاً وتصحيحاً وتجديداً، والرجل الفطن كما الدولة الراشدة لا يضرهما مراجعة النفس بل واتهامها حرصاً على ألا يؤتى مشروعها من قبل الغرور والأفراط في الثقة بالنفس.

وعادة ما يتجه فكر الناس إلى أن عملية النقد تكون في اتجاه خارجي، أي من النفس تجاه الآخر ونادراً ما يدير هؤلاء الناس عدسة النقد صوب النفس أي داخلياً، فإدراكنا لذواتنا لا ينبغي أن ينطلق من إدراك تميز الآخر عنا، بل من إدراكنا لمركبات ذواتنا ومن هنا يقول بن نبي " إن نقدنا لذاتنا لا يبدأ بوعي الآخر بل بوعي الذات، وليس علينا أن نطلب تحمل مسؤولية بيتنا من الآخرين، بل من أنفسنا"<sup>(1)</sup>.

إن النقد يعظم شأنه عندما يتعلق الأمر بسياسة الشعوب، وتقدير مصائرها، في هذه الحال على الناقد أن يسلك في نقده جانبين: الجانب الأخلاقي والجانب الفني، ويجب أن ندرك بأن تلازم هذين الجانبين جد ضروري، فلا يغني أحدهما عن الآخر فـ " لو توفرت الكفاءة اللازمة للجانب الفني وحدها، فربما تكون المهارة في السياسة مجرد شعوذة ودجل، كما لو توفر الشرط الأخلاقي، الإخلاص، دون الشرط الفني، فمن الممكن أن تكون السياسة في أيدي صبيان مخلصين في منتهى البساطة"<sup>(2)</sup>.

والنقد في حال اقتصاره على أحد الجانبين، فإنه لا يحقق الغاية المرجوة منه، لأنه وبكل بساطة " لن يقوم اعوجاجا ولن يصلح فسادا، لأنه أعرج لا يمشي على رجلين، فلا يأتي بما يقوم

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص23.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: في مهبط المعركة، ط7، دار الفكر، دمشق، سورية، 1427هـ/2006م، ص141.

الأشياء، ولا بما يكمل ويوسع معانيها، ولا بما يهدي الأعمال إلى طريق الرشاد<sup>(1)</sup>، ويوجه بن نبي الناقد إلى التعالي والتسامي بأخلاقه حتى لا يجعل من نقده سبيلا للعداوة، فيخرج النقد عن أصله بكونه موقفا فكريا يقارع الحجة بالحجة والدليل بالبرهان، ومن هنا يرى بن نبي أن أولى الهيآت وأجدرها بالاضطلاع بمهمة النقد هي الجامعة بوصفها فضاء الفكر والبحث العلمي.

### خلاصة الفصل:

إن الدراسة المتأنية القائمة على إمعان النظر في مجموع مؤلفات المفكر مالك بن نبي توصل الباحث إلى إدراك حقيقة مفادها أن معالجة بن نبي لموضوع التنمية الشاملة كان بعيدا عن التوجه الاقتصادي، حيث نظر إليها نظرة كلية في إطار حضاري، فعالجها من خلال مجموعة من الأسس والمقومات.

فبعد أن وضح بأن المجتمعات المتخلفة تعيش حالة نفسية أقرب إلى الصببانية بحيث تنزع بصاحبها إلى الشبئية من جهة وتعطل جهازه الفكري من جهة ثانية، أكد لنا بأن التنمية هي عملية تغيير شاملة تقوم بالأساس على رفض الحلول المستوردة وتنزع نحو الاعتماد على الذات، واعية ومدركة لمخاطر الانغلاق الصارم أو الانفتاح اللامشروط.

مثل هذه التنمية تقوم على جملة مقومات يتبين من خلالها أن التنمية عند بن نبي هي عملية تغيير شامل يقوم على الاعتماد على النفس لا على استيراد الحلول من الخارج، وأن من أسسها البناء لا التكديس وتقديم الواجب على الحق واعتماد التخطيط الدقيق مع تحقيق الشراكة داخليا والتكامل جهويا وإقليميا، تنمية تتفتح على الآخر في حذر، ولا تفرط في الثقة بالنفس ومن ثم فهي تراجع خططها كلما لزم الأمر.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 141.

# الفصل السادس

## نتائج الدراسة

## الفصل السادس: نتائج الدراسة

-تمهيد

أولاً: تصور مالك بن نبي للتنمية الشاملة في الدول العربية

ثانياً: مقومات التنمية الشاملة عند مالك بن نبي

ثالثاً: الأبعاد السوسولوجية للفكر التنموي عند مالك بن نبي

رابعاً: حدود التقاطع والاختلاف بين فكر مالك بن نبي والتجارب التنموية

في الجزائر

خامساً: مناقشة النتائج على ضوء المقاربات النظرية.

## تمهيد

إن السنة الجارية في هذه الحياة أن لكل خافقة سكون ولكل بداية نهاية، ونهاية المطاف في الدائرة البحثية بلوغ النتائج المرتقبة التي ستجيبنا عن الأسئلة البحثية التي من أجلها وعليها بنيت الدراسة.

ولذا سنحاول من خلال أوراق هذا الفصل تقديم ما انتهت إليه الدراسة من نتائج بصورة موضوعية، كما سنحاول مناقشتها مناقشة (علمية) هادئة تتأى عن كل تحيز، وتبرأ من كل هوى إلا ما كان منه تشيعا للمعرفة العلمية الخالصة.

واستنادا إلى طبيعة البحث العلمي التي توصف بأنها عملية مركبة تمتاز بجملّة خصائص يأتي في مقدمتها الترتيب المنطقي لوحدها وأجزائها، وتقديم الأهم على المهم، من هنا كان لزاما أن نقدم تصور مالك بن نبي لمفهوم التنمية الشاملة أولا، ثم تليه مقوماتها فأبعدها وانتهاءا أخيرا بتقييم التجربة الإنمائية في الجزائر على ضوء ذلك التصور، إذ لا يمكن منطقيًا أن نقوم تجربة على ضوء تصور لم نحدده بعد.

## أولا: تصور مالك بن نبي للتنمية الشاملة في الدول العربية

حتى لا نكرر ما سبق ذكره في الفصل الخامس، أثناء تحليل مؤلفات المفكر مالك بن نبي، فسنتفي هاهنا بتقديم الملامح الكبرى للتنمية كما تصورها بن نبي دون الإغراق في تفصيلاتها حتى نفسح المجال لمناقشتها من خلال تبيان نقاط الالتقاء أو الافتراق مع



النظريات التي سبق الوقوف عندها في الفصل الأول، وكذا استعراض آراء بعض الباحثين والمهتمين بموضوع التنمية سواء أكانت داعمة لما ذهب إليه بن نبي أو كانت مخالفة له.

فالتنمية في مفهوم بن نبي هي عملية تغيير شاملة<sup>(\*)</sup>، فهو قد تعدى بها إطارها الضيق بوصفها عملية تغيير اجتماعي ليرتقي بها إلى الأفق الرحبة، أفق تتسع وتمتد حتى ينضوي كل شيء تحتها، ومن هنا فابن نبي حينما يحدثنا عن التغيير الاجتماعي إنما يدرجه ضمن إطار عملية تغيير أوسع وأرحب هي عملية التغيير الحضاري<sup>(1)</sup>، وهي كما لا يخفى أوسع في مدلولها من مفهوم التغيير الاجتماعي.

والتغيير الاجتماعي بوصفه أحد أهم المباحث في علم الاجتماع ومصطلح مركزي في هذا العلم، طورا يستعمل له لفظ التغيير وطور آخر يستعمل له لفظ التغيير<sup>(\*\*)</sup>، وإن كان الأول هو الأكثر ورودا واستعمالا، وللإشارة فقد تعددت الاتجاهات في تفسير ظاهرة التغيير الاجتماعي وتحديد موجهاته الفكرية والقيمية باعتباره حركة في التاريخ

\* - انظر التنمية الشاملة في الفصل الثاني، ص 88.

<sup>1</sup> - بشير قلاتي: هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغيير الاجتماعي والبعث الحضاري، ط1، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص107.

\*\* - للوقوف على الفرق بين المصطلحين، انظر الفصل الأول، ص26.

الانساني(\*) ، والتوسع بقصد الوقوف عند مثل هذه النقاط يبعدنا عن مضمون هذه الدراسة وما حدد لها من أهداف.

إن الذي يمعن النظر في كتابات مالك بن نبي يدرك دون عناء أنه لا يحفل كثيرا بتحديد المصطلحات والوقوف عند الدقائق التي تفرق بين هذا المصطلح أو ذاك ورسم الحدود الفاصلة بينهما، وتبعا لهذا فهو لا يقيم فرقا - أو لا يعنى به إن وجد - مثلا بين النهضة واليقظة والتطور والنمو والاصلاح حتى عدّها البعض مترادفات عنده(2).

فهو لا يضع نفسه موضع المنظر للمعرفة وإنما يقدم مفاهيمه بروح المخطط الذي يوضح معالم المشروع ليسهل على المعنيين تنفيذه، ومن هنا كان استعماله للفظ التغيير مقدما على لفظ التغيير، لقد اتخذ مالك بن نبي الآية الحادية عشر من سورة الرعد إطارا مرجعيا وفكريا ينطلق منه لتحديد مفهوم التغيير وبيان غاياته وأهدافه، ونص الآية يقول:

﴿إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

وإذا أخذنا في الحسبان أن الإسلام جاء ثورة شاملة تحمل الإنسان على تغيير معتقداته الباطلة وأفكاره المظلمة وتبعا لها تغيير أنماط سلوكه وطرائق عيشه.

\* - لمعرفة النظريات التي تفسر ظاهرة التغيير الاجتماعي، يراجع على سبيل المثال: دلال ملحس الستينية، التغيير الاجتماعي والثقافي، ط2، دار وائل، عمان، الاردن، 2008.

<sup>2</sup> - على القرشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1409هـ / 1989م، ص107.

إذا أخذنا هذا في الحسبان أمكننا أن ندرك من الوهلة الأولى أن مفهوم التغيير عند مالك بن نبي يأخذ هو الآخر بعدا ثوريا محدد الوجهة بمعنى أن " هذا التغيير ليس له أي معنى ثوري إلا في إطار التقدم وإلا يكون تقهقرا"<sup>(1)</sup>.

إن مالك بن نبي في معالجته لموضوع التغيير تحديدا وجل أفكاره إجمالا، يشابه على حدّ قول عبد الرحمن بن عمارّة موقف كارل ماركس من الفلاسفة الذين شغلوا أنفسهم بتفسير العالم أما هو فيدعو إلى تغييره<sup>(2)</sup>، وكذلك كان بن نبي مشغولا بكيفيات وآليات تغيير مجتمعة وواقع أمته وليس بالبحث في المعاني الأكاديمية المتعددة لمفهوم التغيير الاجتماعي، وحينما يتحدث بن نبي عن التغيير، فإنما يتحدث عنه ضمن إطار يحدد دور المسلم ورسالته في هذا الوجود، وهو يحددهما بإنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين<sup>(3)</sup>.

وتحديد مالك لهذه الرسالة بفترة الثلث الأخير من القرن العشرين، يرجع لطبيعة المرحلة التي تعيشها الأمة آنذاك، حيث كانت جل الأقطار الإسلامية ترزخ تحت وطأة الاستعمار الغربي، وبعيدا عن هذه المرحلة فرسالة المسلم كانت وستبقى الى يوم الدين انقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين وتعمير الأرض بصالح الأعمال.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص47.

<sup>2</sup> - Abderrahman Ben Amara: **Actualité de Bennabi**, tunisitriWordPress. Com, 26 /11/2011

à H: 13:50

عبد الرحمن بن عمارّة مهندس خالط محيط بن نبي من 1970 الى 1972 وبقي وفيها لدروس أستاذه حيث أعاد طبع كثير من مؤلفاته إما بمفرده أو بمعية عمر بن عيسى.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط5، دار الفكر، دمشق، سورية 1430هـ/ 2009م، ص35.

وحتى يؤدي المسلم دوره ويحقق رسالته بإنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين، لابد له من تحقيق شرط جوهري وهو تغيير ما بنفسه وتغيير ما في محيطه، ولكي يتحقق التغيير في المحيط يجب أن يتحقق أولاً في النفس، وبهذا يخالف بن نبي أطروحة ماركس التي تنصّ على أن ما يتغير في النفوس إنما هو انعكاس لتغير الواقع المادي خارجها.

وجوهر الخلاف بينهما أسبقية تغيير النفس في الأطروحة البنابية، وإلا فبن نبي لا ينكر كلياً تأثير العالم الخارجي على دواخلنا ذلك أن كل "تغيير خارجي في مظهر الحياة وفي نسق هذا المظهر وفي أشكاله يؤدي حتماً إلى تغيير داخلي في نفوسنا"<sup>(1)</sup>.

ومن الجهة المقابلة فمالك بن نبي يورد لنا قولاً لماركس يؤكد فيه على أهمية تغيير النفس حتى تصبح مؤهلة لفعل القيادة حيث يقول: "فسوف تقضون (مخاطبا العمال) خمسة عشر عاماً أو عشرين أو خمسين في الحروب الأهلية والدولية، لا من أجل تبديل الأوضاع الخارجية فحسب، ولكن من أجل تغيير أنفسكم، لتصبحوا أهلاً لتولي السلطة السياسية"<sup>(2)</sup>.

إذن فجوهر التغيير عند مالك هو تغيير الإنسان من خلال تنقية نفسه من رواسب الماضي وتراكماته الفاسدة وتحصينه من كل أنواع الاستيلاء وإكراهات حاضر الآخر المهيم، ومن باب مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يرى بن نبي بأن مهمة تغيير

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص 100.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 95.

الإنسان تستوجب تغيير وسطه الثقافي بإنشاء محيط جديد(\*)، ترسخ فيه جملة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتربط سلوكه بأسلوب الحياة من حوله، ولن يتحقق هذا إلا من خلال فعل تربوي يكون موضوعه بعث مشروع ثقافي أصيل فعال ينهض بحاضر الأمة ويضعها على طريق التقدم.

ولكي يعود للثقافة مستواها الحقيقي، ينبغي أن نتجاوز بها حدود النظام التربوي فلا نحبسها داخله فنجعل منها علما يتعلمه الإنسان، بل ينبغي أن نرتقي بها للحد الذي تصبح فيه وسط الانسان الذي يحيط به والإطار الذي يتحرك فيه، أي أن تصبح الثقافة سلوكا مشاهدا، لا مجرد معلومات حبيسة داخل الأذهان، ثقافة تطبع سلوك الكبير والصغير، الرجل والمرأة، المتعلم والأمي، هواء يتنفسه الكل ولا يحيون بدونه.

إن المشروع النهضوي المستخلص من الفكر التنموي للمفكر بن نبي أساسه ومنطلقه الإنسان، والإنسان المسلم بما هو عليه اليوم لا يمكن أن يحقق لنفسه ولا لأمتة عزا ولا كرامة لأنه مقعد مريض بكل أدواء العجز والانهازم، ومن هنا أصبحت عملية إحداث زلزال تغيير في نفسه أمرا لا مناص منه، ولن يتأتى هذا إلا بتغيير وسطه الثقافي، وهذا الأمر لا سبيل إليه إلا من خلال عمل تربوي قويم يعيد توجيه الثقافة ذلك أن "المجتمع الذي لا يسير وفق مشروع تربوي وفلسفة تعليمية نابعة من منظومة قيمه

\* - لن نتوسع هنا بذكر أهمية الثقافة في حياة الفرد والمجتمع لأننا سنعود إليها أثناء الحديث عن أبعاد التنمية في هذا الفصل.

وعالم أفكاره، فلا أمل له في أن يحقق أي تقدم فكري أو اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي<sup>(1)</sup>.

إن القلب النابض للعملية التنموية وتحقيق شروط الإقلاع في عالمنا المتخلف أساسه ومنطلقه الإنسان<sup>(\*)</sup>، وكل السياسات التنموية في عالمنا العربي والاسلامي التي لم تجعل من الانسان هدفها الأسمى ولم تجعل منه أدواتها الأساسية في بناء النهضة كان مصيرها الاخفاق، فتغيير الإنسان حسب بن نبي مقدم ضرورة على تغيير المحيط إذا ما أردنا ضمان النجاح لخططنا، وقد عبر عن هذا المعنى في وضوح فقال بأن: " تحويل سلطة سياسة من أيد إلى أخرى، أو إعادة تنظيم الإدارة وأجهزة العدالة وتغيير العملة...وتعديل النظام الاقتصادي، وتغيير خريطة توزيع الملكية... وارتفاع متوسط الدخل الفردي... واستبدال الحروف اللاتينية بحروف عربية على واجهات ولافئات الحوانيت... (فإن) التغييرات هذه جميعها تصبح مجرد سحر للأبصار ولا يستقر أمرها إذا لم يتغير الإنسان نفسه"<sup>(3)</sup>، وما لم نفعل هذا أي تغيير الإنسان وإعادة بنائه، فإننا لن نزيد في تغييرنا على استبدال الكيف بالكم وبالتغيير الجذري الضروري شبه التغيير.

<sup>1</sup> - مولاي الخليفة لمشيبي: مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة، ط1، دار النايا ودار محاكاة، دمشق، سورية، 1433هـ / 2012م، ص133.

\* - يتوافق رأي بن نبي هنا مع التوجهات الحديثة للتنمية، انظر الفصل الثاني، ص93.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والنتيه، مرجع سابق، ص51.

وسعيًا لتحقيق النهضة الصحيحة التي ستقودنا إلى التنمية المنشودة يرى بن نبي بأنه يتحتم على المسلمين استحداث جو عام في البلاد يستشعر فيه الجميع أننا في مواجهة حالة إنقاذ أو حالة طوارئ بنفس المشاعر ونفس درجة التوتر التي صاحبت المسلمين الأوائل في بداية الدعوة الإسلامية، حالة طوارئ يستشعر فيها كل المسلمين أنهم مطالبون بأداء فريضة التغيير، تغيير النفوس ثم المحيط من حولهم، وتحقيق هذه الفريضة يستوجب تحقيق ثلاثة شروط بوصفها فرائض عينية لا فرائض كفائية، وهذه الشروط هي:

1- أن يعرف المسلم نفسه بالتدقيق، ومن دون مغالطة، ولو عرفها حق المعرفة لشغل نفسه بلعن القابلية للاستعمار بدل لعن الاستعمار.

2- أن يعرف الآخرين من دون كبرياء ولا تعالي، فخيرية الأمة المسلمة تفرض عليها التواضع لتأخذ بأيدي الآخرين إلى بر الأمان، وطبيب النفس إذا لم يحسن فهم مرضاه أو ترفع عنهم أغلقت في وجهه نفوسهم، فلم يستطع الولوج إليها لمعرفة أدوائها فضلًا عن أن يوفق في وصف العلاج الناجع لها.

3- أن يعرف الآخرين بنفسه بالصورة المحببة، ذلك أن الصورة المقززة التي نحن عليها اليوم تسبب الاشمئزاز والنفور، ومن هنا تحتم على المسلم أن يكون جراحًا ماهرًا ليجري على نفسه عمليات تغيير كبيرة وخطيرة، فالإنسان الذي يتعرض إلى حروق من الدرجة الأولى لسبب من الأسباب، يحتاج إلى عمليات جراحية في غاية الدقة والحساسية، لجسمه ولنفسه، فقد يحدث أن يشفى جسمه ولا تشفى نفسه فيبقى حبيس القلق والتوتر

والاضطراب، وقد تشفى نفسه ولا يشفى جسمه بالصورة المحببة، فتبقيه تشوهاتة معزولا عن مخالطة الناس له ولو من باب التحفظ من التأذي بمرآه.

ولسنا بحاجة هنا للتأكيد على أن ما فعله التخلف بصورتنا عند أنفسنا وعند الآخرين أكبر بكثير من حال هذا الحريق، لأنه بكل الاعتبارات ضحية لحادث قاهر.

إذن قلنا بأن المسلم مطالب-تحديدا- بعمليتين جراحيتين الأولى إزالة آثار الحروق والتشوهات، والثانية تجميلية وهي مرتبة على نجاح الأولى، إذ لا يمكن التجميل أو التحسين مع بقاء التشوه، لأن التجميل زيادة في التحسين، والعمليتان اللتان يطالب بهما المسلم كعمليتين جوهريتين في فعل التغيير هما عملية التخلية والتحلية، تخلية من كل العادات السلبية والأفكار الميتة أو القاتلة، وتحلية بكل العادات الايجابية والأفكار الحية والمبدعة.

وإذا لم ينجح المسلم في عمليتي التخلية والتحلية فسيظل في نظر نفسه قبل نظر الآخرين عورة يستحي منها وتتوجب سترها لا كشفها، وهذا حق العورة الواحدة، فكيف والحال أننا عالم من العورات المتراكبة، كالجهد وفقر الكسل، الفوضى، والوسخ... الخ، عورة متعددة تجمعها عورة مغلظة اسمها التخلف.

والمسلم حينما يسعى لتحقيق كل هذا بفعل الثورة على نفسه ليغيرها ويغير المحيط من حولها إنما يعتمد في كل ذلك على نفسه فهو أدرى الناس بعيوبها ونقائصها وعندما



يمارس هذا بوعي راشد، وعي الرجل الحضاري الرسالي فإنه حتما لا يغالط نفسه بالتستر على مثالبها، وإنما يواجهها مواجهة الواثق من نفسه المدرك بأن إخفاء المعايير مهلكة ستحقيق بصاحبها ولو بعد حين.

ومن تمام تغيير النفس بالاعتماد عليها لا على الآخر، أن يسعى لتغيير محيطه بأدواته، وأدواته هي جملة ما توافر لديه من أشخاص، وما تواجد عنده من تراب وما أتيح له من وقت، وقديما قالت العرب: ما حكّ جلدك مثل ظفرك.

وتحقيقا لما سلف ذكره فإن جوهر عملية التنمية في الفكر البنابي، يتمثل في ثورة شاملة تعمل على تغيير الأشخاص والأفكار ومن ثم تغيير المحيط، ويتحقق هذا من خلال مشروع ثقافي يعيد بناء الانسان فكريا وسلوكيا وليس أجرد بحمل هذا العبء مثل النظام التربوي.

ومن نافلة القول التذكير بأن هذا التصور التنموي، هو في الأساس يقوم على فعل البناء لا التكريس ويعتمد على رأس المال الاجتماعي لا المالي، وينبني على التخطيط الدقيق لا على الارتجال والفوضى، ويرسم معالمه عالم الاجتماع لا رجل "البولتيك".

ومن تمام تقديم تصوره للتنمية، يحذرنا المفكر بن نبي من خطر الوقوع في شرك الأوهام الاقتصادية، وقد عرّف أصحابها بأنهم أولئك الذين يظنون أنهم يحلون المشكلات البشرية كلها بسبل اقتصادية، ودعاة هذا المذهب يغيّبون في رسمهم للخطط التنموية كل

بعد ثقافي أو اجتماعي، فالعملية عندهم آلية أو ميكانيكية تقوم على استيراد هذه الاجراءات أو تلك من هذا المذهب الاقتصادي أو ذلك من المذاهب التي أثبتت نجاحها في موطنها، وبهذا تحل مشكلات العالم المتخلف، وفات هؤلاء منطلق أن كل فكرة صحيحة ليست بالضرورة صالحة لكل بيئة وفي أي ظرف.

ومثلما حذرنا من خطر الوقوع في شرك الاقتصادانية حذرنا بن نبي من أننا إذا لم نقم نحن بثورتنا التغييرية " فإن التغيير سوف يأتي من الخارج ويفرض علينا فرضا وفعلا وقع التغيير وكانت نتيجته مأساوية على العرب والمسلمين لأن حكامهم رفضوا التغيير الآتي من الأصوات الداعية له من الداخل حتى جاء " الأخ الأكبر" ليفرضه بقوة الاقتصاد والسلاح ويضع لحكامنا توصيات للإصلاح السياسي والاقتصادي والديني"<sup>(1)</sup>.

وقد جاءت الأحداث بعد ذلك مؤكدة بأن التغيير إذا لم نقدم عليه بطواعية ونجربه بسلاسة، فسيركب موجة العنف ووقتها ستعصف به الرياح وتطوح به في كل جانب وفي أحداث الربيع العربي الباكي خير مثال.

### ثانيا: مقومات التنمية الشاملة عند مالك بن نبي

حدد مالك بن نبي للتنمية الشاملة جملة مقومات نوجزها على النحو التالي<sup>(\*)</sup> :

<sup>1</sup> - أحمد زقاوة : هكذا تكلم بن نبي، موقع مالك بن نبي نقلا عن مجلة أفق الثقافة 2011/12/23، س: 15 و30د.

\* - للتوسع في شرح هذه المقومات، راجع الفصل الخامس، ص ص ( 211 - 244).

- البناء لا التكديس - التخطيط الدقيق - رأس المال الاجتماعي لا المالي - معادلة الواجب والحق - الفعالية - قوة وتماسك الشبكة الاجتماعية - احترام الوقت - المشاركة والتكامل الاقتصادي - البحث عن طريق للتصدر - الحذر من المستعمر - النقد الذاتي.

### ثالثاً: الأبعاد السوسولوجية للفكر التنموي عند مالك بن نبي

إن الممعن في قراءة مؤلفات المفكر بن نبي يمكنه أن يدرك ودون تعصب للرجل بأنه مفكر فذ<sup>(\*)</sup>، واسع الاطلاع، متعدد المشارب، عميق في تحليلاته، دقيق في معالجاته، يتناول الموضوع أو الظاهرة فيسعى ليحيط بها علماً، فهو يطرح الفكرة في مؤلف ويعود لها في آخر فيوسعها معنى، ثم يأتي في آخر ويعمقها بضرب الأمثلة وسوق الشواهد، فتجده يقف عند أبعاد الظاهرة الاجتماعية والنفسية والثقافية والاقتصادية والتاريخية والسياسية، ورغبة في الاختصار سنقف عند ثلاثة منها نعددها الأبرز دون أن ننقص من أهمية الأبعاد الأخرى شيئاً.

#### أ- البعد الانساني:

يأخذ البعد الانساني في الفكر التنموي البنابي منحيين: المنحى الأول أن التنمية أساسها ومفتاحها الإنسان غاية ووسيلة، والمنحى الثاني أن التنمية عند بن نبي لا تنغلق على نفسها في حدود القطرية أو الاقليمية فهي تستهدف الانسان أينما كان، وما الحديث عنها في إطار قطري أو إقليمي إلا من باب ترتيب الأولويات، ففي المنحى الأول يرى

\* - انظر مالك في سطور، الملحق رقم 01.

بن نبي ضرورة وضع مشكلة الإنسان في المرتبة الأولى لأنه هو الذي يوجه الأشياء ويصنع الحضارة<sup>(1)</sup>، وينبغي التعامل معه بوصفه وسيلة تتحقق بها خطة التنمية، وسيلة تتغير هي ذاتها في فعاليتها بقدر ما تحدث من تغيرات في نطاق النمو الاقتصادي<sup>(2)</sup>.

ويحذرنا من أي إهمال أو تجاهل لقضية الانسان، فتجاهلها هو العامل الذي يقف وراء فشل التجارب في العالم الثالث.

إذن فالإنسان وفق التصور البنابي للتنمية هو الوسيلة<sup>(\*)</sup> الجوهرية للتنمية، وهو في ذات الوقت غايتها المنشودة، فهي تنمية بالإنسان وللإنسان، ولكن ما هي صورة هذا الانسان الذي سيحقق لنا التنمية المفقودة؟ إنه: "الإنسان المحرر، حقيقة من الاستبعاد والاستغلال أي من الظلم بشتى صورته، فهو الإنسان المحترم لذاتيته والمكرم لأدميته الذي ينعم عملا بالحرية والعدل.. وبدون تحقيق هذين المطلبين.. لن يتحقق المشروع الإنساني - الممكن- في إعمار الأرض.. ومن ثم يظل التخلف قائما، وتظل المعيشة الضنك جائمة على عقول وحقول البشر"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: تأملات، مرجع سابق، ص200

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص77.

\* - سبقت الإشارة لكون الانسان هدف ووسيلة للعملية التنموية، أنظر الفصل الثاني، ص93.

<sup>3</sup> - عبد الحميد الغزالي: الإنسان أساس المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، ط1، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/1994م، ص45.

وفي المنحى الثاني فالتنمية تستهدف الإنسان أينما كان، ذلك أن الإنسان المسلم لا يحصر نفسه ضمن حدوده البيولوجية العضوية فيسعى كأبي كائن آخر لإشباع حاجاته وتحقيق ضرورات البقاء، فالمسلم الحق أعلى وأبعد من ذلك فهو صاحب رسالة عالمية تعبّر عن نفسها بوضوح في قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس. بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾<sup>(1)</sup>، وقال أيضا ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(2)</sup>.

ومن هنا تتحدد رسالة المسلم بإنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين، فهو حين يفكر في النهوض بمجتمعه وتحقيق التنمية فيه، فإنما يفكر في أن يشمل خيرها إخوانه في الدين (العالم الإسلامي) ثم يتعداهم إلى إخوانه في الإنسانية (العالم بأجمعه)، فشجرة التنمية التي يدعونا مالك لغرسها يجب أن يتفياً ظلالها الإنسان مهما كان لونه أو جنسه.

فلا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، ومن هنا يأخذ البعد الإنساني للتنمية عند بن نبي بعدا عالميا، وبين عالمية بن نبي والعولمة الغربية بون شاسع إذ "تختلف مقاربة بن نبي لمفهوم العالمية كرسالة عن مفهوم عولمة العصر الصناعي، وإن كان يرى أن هذه العولمة أضحت مع عصر الأنوار هي المجال بفعل العامل الفني لأي ثقافة تؤسس لحضارة جديدة على الصعيد العالمي"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>-القرآن الكريم: سورة سبأ الآية 28.

<sup>2</sup>-القرآن الكريم: سورة الأنبياء الآية 107.

<sup>3</sup>-عمر مسقاوي: مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية،

1429هـ/ 2008م، ص94.

إن اعتبار الحضارة الغربية واقع العصر، لا يعني التسليم لها بمقاليد الأمور والإذعان لسلطانها، وإنما نتفاعل إيجاباً مع ما فيها من إيجابيات ونحاول أن ندخل عليها تطيناً رسالياً لصالح الإنسانية، فبن نبي يرى أن: "المشكل في حقيقته هو مشكل الإنسانية جمعاء وأن قدر الإسلام ومصيره يتشابك مع قدر الإنسان ومصيره، بمثابة زواج على مستوى الأرض، وأن الشعوب موحدة في السراء والضراء"<sup>(1)</sup>، وهي الدعوة التي حملها الإسلام للإنسانية جمعاء حين خاطبها بالنص الخالد ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾<sup>(2)</sup>.

وقد عبر عن هذا المعنى العلامة محمد البشير الإبراهيمي في معرض حديثه عن تمثله لصفات الشباب الجزائري فقال في بعض ما قال: "أتمثله واسع الوجود لا تقف أمامه الحدود يرى كل عربي أخاً له أخوة الدم، وكل مسلم أخاً له أخوة الدين، وكل بشر أخاً له أخوة الإنسانية، ثم يعطي لكل أخوة حقها فضلاً أو عدلاً"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> -Malek ben nabi : **Mondialisme – préfacés par** , Abderrahman benamara, dar el hadhara, Alger, 2004, p257.

<sup>2</sup> - القرآن الكريم: سورة الحجرات، الآية 13.

<sup>3</sup> - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ط3، ج3، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2011، ص509.

## ب- البعد الديني:

لقد سبق الذكر بأن المفكر بن نبي عالج موضوع التنمية بوصفها عملية تغيير جذري وشامل في إطار الدورة الحضارية، أين أكد لنا حقيقة مفادها أن " الحضارة لا تنبعث.. إلا بالعقيدة الدينية"<sup>(1)</sup>، وقدم لنا تحليلاً تاريخياً أثبت فيه البعد الديني لكل الحضارات، بحيث لا تكاد حضارة ما تشذ عن هذه القاعدة.

ورداً عن سؤال أو شبهة قد يثيرها البعض عن الحضارة الغربية اليسارية أي ذات الأيديولوجية الشيوعية من حيث كونها تجافي الدين، وبالتالي لا يمكن أن نطبعها بالطابع الروحي للحضارة، يرى بن نبي بأن الشيوعية من الناحية التاريخية فهي تعبر عن أزمة للحضارة المسيحية، ومن الناحية السيكولوجية فهي تعبر "في جوهرها (عن) نشاط المؤمنين المدفوعين بنفس القوى الداخلية التي دفعت غيرهم من المؤمنين في مختلف العصور، أولئك الذين شهدوا مولد الحضارات، فالظاهرة متماثلة في جوهرها النفسي، ومحددة هنا وهناك بنفس سلوك الفرد حيال مشاكل المجتمع الناشئ"<sup>(2)</sup>، ويمثل بن نبي لهذه الدوافع القوية والمحركة إبان ظهور الشيوعية بالظاهرة الاستخائنية- أين كان العامل يعمل فوق طاقته تحت تأثير ذلك التوتر الذي أحدثته فيه الثورة- بالدور الذي لعبه سلمان الفارسي في حفر الخندق وعمار بن ياسر في بناء المسجد النبوي.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: شروط النهضة، مرجع سابق، ص 50.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 54.

إن التنمية تستلزم إحداث تغيير في المجتمع، وهذا التغيير تقوم به الفكرة الدينية<sup>(\*)</sup>، فـ "هي المحرك الأساس للمجتمع، آلية إحداثها للتغيير تتم من خلال تكوين وإنشاء العلاقات الاجتماعية التي تربط بين (عالم الأشخاص وعالم الأفكار، وعالم الأشياء) فالفكرة الدينية هنا هي (المركب) أو العامل الرئيس لتفاعل هذه العناصر، لتصبح وحدة واحدة، تقوم بأحداث التغيير"<sup>(1)</sup>.

فالدور الذي يلعبه الدين في العملية التنموية الحضارية يتمثل في عملية تركيب تعيد تشكيل القيم في كل متجانس متفاعل، تنتقل فيه القيم من حالها الطبيعية إلى وضع نفسي زمني، يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية، ومن الوقت الزمني وقتا اجتماعيا، ومن التراب مجالا مجهزا مكيفا تكييفيا فنيا<sup>(2)</sup>.

وملخص هذا الكلام أن حركة التطور الاجتماعي في المنظور البنابي هي حاصل العلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع، والتي هي في حقيقة الأمر انعكاس العلاقة الروحية في المجال الزمني، والعلاقة الروحية تتمثل في جملة القيم المتجسدة فعلا ومن ثم كان الإخلال بالقانون الخلفي مفسدا لشبكة العلاقات الاجتماعية.

\*- توافق بن نبي مع فيبر جزئيا حول أهمية الفكرة الدينية في العملية التنموية وسعود لاحقا في هذا الفصل لمناقشة هذه الفكرة.

<sup>1</sup> - نورة خالد السعد: مالك بن نبي تجاوز ابن خلدون، موقع الاسلام اليوم 2011/10/04 ، س: 13 و 45.  
ونورة خالد باحثة سعودية قدمت أطروحة دكتوراه حول: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص32.



وحيثما نسلم بفكرة جوهرية الدين في عملية البناء والتغيير، ماذا يتحتم علينا فعله؟ هل نعيد تعليم الإسلام للمسلمين؟ الإجابة حتما: لا " فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الايجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن (نبرهن) للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه باعتباره مصدرا للطاقة"<sup>(1)</sup>.

إن عملية إعادة الفاعلية للعقيدة الدينية معناه تنقيتها من كل الشوائب التي علق بها بفعل تراكمات ومخلفات السنين العجاف، وعملية التنقية هنا ليست إلا الإصلاح الديني، وهو ضروري باعتباره نقطة الانطلاق في كل تغيير اجتماعي.

إن العبء الذي تتحمله عملية الإصلاح الديني، تتمثل في ضرورة أن تعود للدين روحه الأولى أي في لحظة الميلاد، حيث كان يتلقاها معتقوها بوصفها وحيا يوحى، لا مجرد كلمات مرسومة في كتاب، طبيعة تلك الروح هي التي شكلت لواء عقيدة ووجهت التاريخ وحررت الإنسان وصنعت أمة وقادت حضارة.

إن القرآن هو ذاته القرآن لم يتبدل ولم يتغير، محفوظ بعناية الله من كل تحريف، فما هي إذن الروح التي يجب أن تعود للدين من خلاله؟ وبتعبير آخر لماذا صنع القرآن من بدو الصحراء قادة للأمم؟ في حين هو ذاته لم يستطع أن يحدث التغيير نفسه في نفوس المسلمين اليوم، الإجابة تكمن في تغير منهج التلقي لهذا القرآن بين مسلمي الأمم

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص 54.

ومسلمي اليوم، فالأولون قرؤوه بمنهج التلقي للتنفيذ، والمتأخرون قرؤوه تبركا وتيمنا، ولا يمكن للقرآن أن يفعل فعله في النفوس إلا إذا تلقى بمنهج التلقي للتنفيذ ذلك أنه " لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح ... روح المعرفة المنشئة للعمل..."<sup>(1)</sup>، بحيث يصبح "ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف، إنما تتحوّل آثارا وأحداثا تتحوّل خط سير الحياة"<sup>(2)</sup>.

إننا اليوم في حاجة ماسة لهذه الروح الدينية لإعادة تحريك كل الطاقات المعطلة عندنا، ونحن مطالبون -كل من موقعه- بالعمل الجاد على تنشيط المبادئ الإسلامية وانشاء ثقافة مناسبة لحال المجتمع الإسلامي، وتحقيق هذا يكون من خلال ترجمة القيم الإسلامية الروحية الى قيم اجتماعية فاعلة<sup>(3)</sup>.

إن النجاح في هذه المهمة الصعبة لن يكون إلا من خلال إسناد الامر لأصحابه عملا بقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾<sup>(4)</sup>، وأهل الذكر هم أصحاب الاختصاص في كل علم أو فن، وفي مهمتنا هذه هم علماء الاجتماع وعلماء النفس، فهم الأقدر على المعرفة المتعمقة للانسان وإمكانياته، وهم الأقدر على النقصي الواعي للقيم الاجتماعية وكيفيات تفعيلها في إطار عمله التغييرى الاجتماعى الحضارى المنشود.

<sup>1-2</sup> - سيد قطب: معالم في الطريق، ط8، دار الشروق، بيروت، 1400هـ/ 1980م، ص18.

<sup>3</sup> -مالك بن نبي: فكرة الافريقية الاسيوية، مرجع سابق، ص235.

<sup>4</sup> -القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 43.

وإذا ظل المسلم على الحال التي هو عليها اليوم من العجز والتعاس عن " تجديد كيان الانسان طبقا للتعاليم الاسلامية الحقة، ومناهج العلم الحديثة، فإن سعيه إلى توازن جديد لحياته وتركيب جديد لتاريخه سيكون باطلا عديم الجدوى" (1).

### ج-البعد الثقافي:

سبق الذكر أثناء تقديم تصور بن نبي -في هذا الفصل- للتنمية بوصفها عملية تغيير للانسان، وأن هذا التغيير للانسان يستوجب تغييرا لوسطه الثقافي، ومن هنا فالضرورة تضع الدول المتخلفة أمام " حاجة عاجلة لثقافة (نهضة) تريد أن تحدث تغييرا في المحيط" (2).

وبالتالي فهذه الدول مدعوة لتحديد ثقافتها إذا كانت حريصة على الخروج من حال التخلف، والمشكلة هنا ليست " منحصرة في محاولة فهم الثقافة، وإنما في تحقيقها بصورة عملية" (3).

إن تحقيق الثقافة بصورة عملية معناها النظر في وظيفتها الاجتماعية، أي أن نبحث عمّا تحققه الثقافة في الحياة الاجتماعية، فالثقافة كما يقول بن نبي: " تستطيع أن تمنحنا اللحظات الممتعة، إذ توحى إلينا أن ننشد أحيانا مجتمعين، وأن نرقص مجتمعين،

<sup>1</sup>-مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص38.

<sup>2</sup>-مالك بن نبي: فكرة الافريقية والاسيوية، مرجع سابق، ص152.

<sup>3</sup>-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص61.

ونضحك مجتمعين، والأداء الحسن لذلك كله ظاهرة مشجعة وجمالية ينبغي عدم الاستخفاف بها، ولكن دورها الأساس أن تعلمنا العيش المشترك والعمل المشترك، وخاصة الكفاح المشترك، هذه هي وظيفتها الاجتماعية الأساسية<sup>(1)</sup>، وبتعبير موجز يقدم بن نبي الثقافة على أنها: "أسلوب حياة، الأسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه إلى فلاحيه"<sup>(2)</sup>.

إن الحال التي عليها ثقافتنا اليوم لا تسمح لها بأن تعلمنا العيش المشترك والعمل المشترك والكفاح المشترك، فهي إما أن نقول عنها أنها في حال ركود ونوم، أو حال يمكن التعبير عنها بـ(اللاتقافة) حتى لا نقول عنها ثقافة تخلف إذ لا يجوز هذا في حق الثقافة.

وإذا أردنا أن تعود لثقافتنا فعاليتها في حياتنا الاجتماعية وجب علينا العمل لكي نعيد لها مستواها الحقيقي، وهذا يستوجب علينا أن ننقي مفهوم الثقافة من التراكم الأدبي ومن كل أكاديمية ومن كل إقحام فلكلوري<sup>(3)</sup>، أي أن نفهمها بوصفها منهاجا قبل أن نحددها نتيجة، ولفظة المنهج توحى بالطابع الإجرائي العملياتي، وهذا يعني أن تتحدد الثقافة طبقا لما يجب أن نقوم به من عمل.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 134.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 138.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 137.

إن المفهوم الذي قدمه بني نبي للثقافة يحمل الصبغة والطابع العمليين، حيث يحدد لنا المجالات التي يجب أن نتوجه إليها ونستوحى ما فيها ونترجمه الى نشاط عملي محس مشاهد في المحيط الذي يتحرك فيه الانسان، وذي هي الثقافة عند بني نبي " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"<sup>(1)</sup>.

إن تطبيق الثقافة بمعنى تحويلها إلى أسلوب حياة في المجتمع، نلمس حقيقته فيما تمارسه من تأثير على كافة طبقاته الاجتماعية، وهو بحاجة حسب المنظور البنابي الى أربعة عناصر مترابطة ومتكاملة فيما بينها وهي التوجيه الأخلاقي، التوجيه أو الذوق الجمالي، المنطق العملي، والتوجيه الفني أو الصناعة<sup>(\*)</sup>.

ومن هنا كان بن نبي يدعو دوما إلى ضرورة إعداد وتأسيس مشروع ثقافي للنهضة، وفي حال غياب هذا المشروع الثقافي وتفعيله في أرض الواقع، إضافة إلى متغيرات أخرى قد تفقد الفرد إحساسه بكرامته والحاجة إليه داخل المجتمع، كل هذا يؤدي إلى نشوء "أزمة ثقافية مآلها البعيد أفول الحضارة، وفي القريب زوال الالتزام بين

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص74

\* -التوسع في شرح هذه النقاط يبعدنا عن جوهر الموضوع، فنحن هنا نقدم فقط الثقافة بكونها بعدا من الابعاد في الفكر التنموي عند بن نبي.

المجتمع والفرد زوالاً، يعبر عنه في صورته الفلسفية كتاب مثل: (اللامنتمي) للانجليزي (كولين ولسون)<sup>(1)</sup>.

إن هذه الأزمة آخذة في النمو مصحوبة بنتائجها وما لم تتدارك في القريب العاجل بالتعديل البسيط، فحتماً ستصل إلى درجة الاستحالة، الدرجة التي يصبح فيها التعديل أمراً مستحيلاً أو مستعصياً وبعيد المنال، إلا من خلال ثورة عارمة تعيد بناء المجتمع من جديد أي من نقطة الصفر.

هذه هي الثقافة في المنظور البنابي، فإن تكون وسيلة للعيش المشترك والعمل المشترك والكفاح المشترك، فهي بذلك ثقافة تنمية، وحينما تغيب تترك مكانها لأزمة الاغتراب والالانتماء وكلاهما يريد للتخلف.

لقد قدم لنا مالك بن نبي الثقافة كنظرية في السلوك، ولم يكن يرجو سوى أن يرى مجتمعه مزدهراً وأمتة موحدة ومتحضرة، لكن الدارسين كانوا إزاء نظريته طرائق قدها، بين موافق ومعارض ومتجاهل<sup>(2)</sup>.

فأصحاب الاتجاه المتوافق مع الفكر البنابي، وهم غالبية من كتب ويكتب عنه، فينطلقون من إيمانهم، بقيمة وفاعلية الأفكار والمفاهيم والتصورات التي توصل إليها

<sup>1</sup>-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص91.

<sup>2</sup>-زكي الميلاد: مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي النظرية والمنهج والتطور، موقع مالك بن نبي، 2011/12/23،

بن نبي في مجالات الثقافة والحضارة والاجتماع وضرورة التعريف بهذه الافكار والتواصل معها.

- أصحاب الاتجاه الثاني، هم ممن عمل جاهدا لإظهار بعض العيوب أو النقائص في تصورات بن نبي وإثارة الشبهات حول بعض أفكاره ومفاهيمه، كالتقابلية للاستعمار فقدموها على أنها تبرير للاستعمار، والمتمعن في اعتراضات هؤلاء يكتشف بسهولة بأن دوافعهم لم تكن علمية فهي إما أن تكون سياسية أو إيديولوجية أو حتى نفسية، إذ كانوا يرون في أفكاره منافسا ومزاحما لأفكارهم، وأكثر جاذبية من أفكارهم.

- وأما أصحاب الاتجاه الثالث فهم المتجاهلون كليا لإسهامات مالك بن نبي وخصوصا ما تعلق بنظريته في الثقافة، فعلى سبيل المثال لم يتعرض الدكتور سمير أمين لهذه النظرية أو لصاحبها في كتابه (نحو نظرية للثقافة) وكذا الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه (المسألة الثقافية في الوطن العربي) والدكتور محمد أركون في كتاباته حول الاسلاميات المعاصرة، وبقدر ما كان أصحاب هذا الاتجاه يتناقفون مع النظريات الغربية، كانوا في المقابل يتجاهلون كليا النظريات وأفكار المفكرين الاسلاميين ومنهم مالك بن نبي الذي من الصعب الففز عن نظريته حينما يكون الحديث عن الثقافة في الوطن العربي أو العالم الإسلامي.

رابعاً: حدود التقاطع و الاختلاف في فكر مالك بن نبي مع التجارب التنموية في الجزائر(\*)

في الفصل الرابع أثناء الحديث عن السياسات التنموية في الجزائر تمت الإشارة إلى أنه يمكن التمييز بين مرحلتين أساسيتين: مرحلة التوجه الاشتراكي ثم مرحلة الإصلاحات والاتجاه نحو اقتصاد السوق، وإذا علمنا بأن مالك بن نبي قد أدركته المنية سنة 1973، حينئذ لا يمكن البحث في مؤلفاته إلا عن آرائه المسجلة عن المرحلة الأولى أي مرحلة التسيير الاشتراكي، أما المرحلة الثانية فيمكن تقييمها على ضوء أفكاره التنموية.

-الرضاء عن التوجه العام:

أثناء تحليل مؤلفات بن نبي في الفصل الخامس، تبين أنه - وبالنظر لاختلاف المجتمعات في أعمارها وتباين اتجاهاتها - لا يمكن السير على خطى الآخرين أو تقليد أفعالهم فهذا لا يعد إلا جهلاً وانتحاراً، إلا أننا نفاجاً برأيه في تجربة الإنماء في الجزائر غداة الاستقلال حيث نجده يصرح في وضوح عن تقبله للنهج الاشتراكي، معللاً ذلك بأن الاشتراكية التي نمت كطريقة للإنتاج والتوزيع مع التقدم الفني والمعنوي لمجتمع القرن العشرين إلا أن أصولها والمتسمة بطابع التقاليد العقلية تبلغ من العمر ألفي سنة، وأن تلك التقاليد العقلية هي التي أضفت عليها الصبغة المادية. إذن فالتلازم بين الاشتراكية والمادية

\* - ذكرت الجزائر في مؤلفات مالك بن نبي أكثر من 250 مرة، إضافة إلى تخصيص بعض كتبه للشأن الجزائري.



ما هو إلا نتيجة عوامل تاريخية، وبالنظر لهذه الاعتبارات التاريخية كان من الممكن لكارل ماركس أن يتكلم بنفس لغة مارتن لوتر لو أنه عاش في عصره<sup>(1)</sup>.

أما "في الجزائر، حيث لا تتدخل نفس العوامل النفسية التاريخية لا يوجد أي سبب أو حجة للخلط بين الاشتراكية والمادية، علاوة على أن معنى اشتراكيتنا قد حدد بما فيه الكفاية عن طريق حدي مذهبنا المفاهيمي المتمثلين في: الإسلام، والعروبة"<sup>(2)</sup>.

وإضافة إلى هذه القناعة أو الرضاء عن المذهب الاقتصادي الاجتماعي الذي تبنته البلاد سجل بن نبي كذلك رضاءه عن أفكار رئيس الجمهورية - الهواري بومدين - التي أدلى بها في العديد من خطابه أمام مختلف إدارات الأمة، الادارية والقضائية والعمالية، ورضاءه عن خطابات بعض الوزراء أمثال السيد شريف بلقاسم وزير الدولة للشؤون المالية والتخطيط<sup>(\*)</sup>، وكذا رضاءه عن مسؤول الحزب قايد أحمد حين قدّم توضيحات تضع التنظيم النقابي في اتجاه وديناميكية، مجمل هذا الرضاء عن قادة البلاد وتوجهاتهم لخصه بن نبي بقوله: "لقد تم بذلك تحقيق عمل ضخم على الصعيدين الأخلاقي والعقائدي، فنحن الآن بنتنا نملك العقيدة الكاملة لتطورنا"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: القضايا الكبرى، مرجع سابق، ص ص (120-121).

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص (121-122).

\* - هذه الخطابات التي سجلت ارتياح بن نبي كانت في فترة 68 وما بعدها أين تولى شريف بلقاسم وزارة التخطيط.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص 19.

وفي منحى آخر يسجل بن نبي بأن تلك المرحلة -مرحلة الحكم الاشتراكي- كانت تتسم بالثقة بين المسؤولين وال جماهير، حيث يذكر لنا كيف قابل الشعب كلام الرئيس بالتصفيق الحار، حين أشار في خطابه -في إحدى زيارته لجبال الأوراس- إلى جذور الثورة الإسلامية، وعقب بن نبي على ذلك بقوله " فالحوار الذي دار بين المسؤولين وال جماهير، تحت قمم أوراس الشاهقة، قد أعاد في كلمات قالت الحقيقة، الجسر الذي يصل الشعب بالدولة، وليس غريبا في هذا المناخ من الثقة المتبادلة أن تتحقق المعجزات"(1).

ويمثل بن نبي لهذه الثقة المتبادلة بين الدولة وال جماهير بتلك الحملات التطوعية التي يقوم بها الشباب في مختلف المشاريع الانمائية ومنها حملات التشجير وفتح الطرق في بعض القرى النائية، والمثل الأروع أن تصل درجة الثقة إلى أن تقدم النساء حليهن من أجل إعادة تشييد البلاد على عهد الرئيس أحمد بن بلة، كما سجل بن نبي كذلك ارتياحه لعملية الاصلاح الزراعي والخطوات التي تلتها نحو التصنيع، كل هذا لا يعني أنه لم يسجل بعض السلبيات والانتقادات عن تلك المرحلة.

### سلبيات المرحلة:

إن رضا بن نبي عن التوجه العام للبلاد آنذاك وبعض الأفكار التي كانت تطرح في هذا الخطاب أو ذاك، لا يعني البتة رضاه التام خصوصا فيما تعلق بالنواحي الميدانية والجوانب التنفيذية، أي إسقاط تلك الأفكار على أرض الواقع.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: بين الرشاد والنتيه، مرجع سابق، ص 27.

إن أكبر السلبيات التي سجلها بن نبي عن تلك المرحلة افتقادها للتخطيط الدقيق وللخطة المتكاملة، لدرجة جعلته يتساءل: هل توجد في الجزائر خطة؟ ثم يجيب بأن الجهاز موجود وهو تابع لوزارة المالية، ولكن ليس هذا هو المهم، لأن المهم هو الوظيفة المحددة له وكيفية تفعيلها، فمن وظائف جهاز التخطيط تحديد أولويات المرحلة خصوصا في بلد حديث عهد بالاستقلال، وأن ترسم هذه الأولويات بناء على احتياجات الداخل وليس تلبية لمتطلبات الخارج... ويمثل بن نبي لذلك بمشروع استصلاح 200 000 هكتار من أراضي الكرمة ويعلق على هذا القرار قائلاً بأن "تقليص مساحة الأراضي المزروعة بالكرمة قرار حكيم جدا. ولكنه لا يمكن أن يكون معيارا نقيس به جهازنا التخطيطي، لأنه جاء نوعا ما تحت ضغط ظروف خارجية هي تقلبات الأسعار"<sup>(1)</sup>، والأسوأ في هذا كله أن يرافق القرار الحكيم (تقليص أراضي الكرمة) بفتح العديد من الخمرات الجديدة، وما نتج عنها من حوادث المرور وحالات الطلاق؟! فمثل هذا الفعل يدفع حقا للتساؤل عما إذا كانت هناك خطة فعلية أم لا!.

- كذلك فمن أساسيات التخطيط الدقيق<sup>(\*)</sup>، تكامل أجزاء الخطة في خطة عامة تهدف إلى تحقيق شروط الإقلاع، وأن أي تجزئة في عناصر الخطة أو اختلافها لا يؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود، فمثلا " لا يخلق كائن حي يمشي ويعمل، بتجميع أربعة أطراف وجذع

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص33.

\* - انظر الفصل الخامس، ص214.

ورأس جلبت من المشرحة، كذلك لا تستطيع مجموعة متباينة من المخططات الصغيرة أن تكون مخططا عاما<sup>(1)</sup>.

ومن بين الأمثلة المعبرة بوضوح عن غياب رؤية استراتيجية وفي الحد الأدنى غياب تخطيط دقيق للرؤية الاستراتيجية، موضوع التعليم العالي وما ينبغي أن يكون عليه، فحينما طرحت مسألته للنقاش غداة الاستقلال كان الأمر يقضي إما بتحويل تعليمنا العالي ليتلاءم مع حاجاتنا ومع وسائلنا وإما أن يترك كما هو... وكان الحسم لصالح خيار الإبقاء على ما هو موجود بدعوى المحافظة على المستوى.

ثم طرحت مسألة التعليم العالي مرة ثانية ولكن ليس من منطلق وجود حاجة ملحة للإصلاح في الجزائر ولكن لحدوث إصلاح فوشيه في فرنسا أي مجرد تقليد لتغيرات حدثت في العالم، فبات بذلك "تعليمنا الجامعي يعد إصلاح فوشيه<sup>(\*)</sup>، هجينا ممتازا: فهو لم يكن فرنسيا ولا جزائريا"<sup>(2)</sup>.

إن هذا التخطيط الذي لم يجعل حاجات البلاد الراهنة هدفه، أوقع البلاد في أخطاء كثيرة وجسيمة، فمبدأ المحافظة على المستوى وإن كان في ظاهره مغريا إلا أنه حتم على

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص35.

\* - كريستيان فوشيه ( 1914-1974 ) دبلوماسي ورجل سياسي فرنسي، عمل في الجزائر بصفة محافظ مركزي للشرطة ما بين (مارس 62 إلى جويلية 62)، شغل وزيرا للتربية في فرنسا ما بين ( 1962-1967 ) ساهم بشكل أساسي في وضع الخريطة المدرسية، وأجرى في التعليم العالي سلسلة من الإصلاحات الهامة بقصد تحديث برامج الدراسات العلمية.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي: من أجل التغيير، مرجع سابق، ص89.

البلاد ترك نوافذها مفتوحة أمام كل رياح الايديولوجية، ومبدأ المحافظة على المستوى ارتبط بمبدأ المعادلات فماذا كانت النتيجة؟

فبدل أن تُسرّع الجزائر- بحكم الحاجة- نتاجها في شتى الميادين، إذ بجامعاتها ووفق مبدأ المعادلات المرتبط بمبدأ المحافظة على المستوى، يتخرج أطباؤها في ثماني أو عشر سنوات، وليتم استقطابهم -بتدبير مخطط- ليعملوا في غير وطنهم الذي كونهم.

وإذا كان التخطيط غير الدقيق سيطيل عمر التنمية إن لم نقل يفشلها، فأخطر منه الاستعانة في وضع خطته بأجانب يمارسون علينا كل أشكال التضليل، لأنهم وببساطة لا يريدون لنا أن ننهض من كبوتنا، فهم يأتوننا بروح السائح المتجول الذي لا يزيد عن ابداء اعجابه بجمال البلاد، فيكون هو قد استمتع وتقاضى عمولته وخسرنا نحن ضاللتنا منه

والأخطر في سلبيات تلك المرحلة، أنه ورغم وعي السلطات بخطورة الطابور الخامس الذين ظلوا أوفياء لأسيادهم الاستعماريين، إلا أنها لم تحسم الأمر معهم حسما ثوريا على نحو ما فعلت الصين أثناء نهضتها، وظل الأمر مقتصرًا في التعامل معهم على التحذير الخطابي ليس إلا.

وكان من نتيجة ذلك سعي هذه (الدخديات) لتعطيل كثير من المشاريع الانمائية كمؤسسة باستور للمواد الصيدلانية، وتعطيل المشروع الثقافي للإنماء الذي جاء في نداء

قسنطينة 1968، ليست هذه كل سلبيات تلك المرحلة ولكننا آثرنا الإشارة إلى ما نعدّه الأخطر.

### مرحلة ما بعد الاشتراكية:

سبق الذكر بأن بن نبي عايش فقط المرحلة الانمائية في ظل التوجهات الاشتراكية، ومن ثم أمكنه أن يسجل ملاحظاته حولها، أما المرحلة الثانية فيمكن تقييمها على ضوء تصورات العامة.

في هذه المرحلة شرعت الجزائر في إجراء بعض الإصلاحات على نظامها الاقتصادي، تارة باسم إعادة هيكلة المؤسسات، وطورا باسم استقلالية المؤسسات في مراحل مختلفة ومنتالية بهدف إصلاح الأوضاع المتدهورة، شريطة أن تكون هذه الإصلاحات مقبولة اجتماعيا وغير مفروضة وتتيح التوجه التدريجي نحو اقتصاد السوق(\*).

إن هذه الرغبة في إصلاح الأوضاع الاقتصادية وتدارك النقائص الحاصلة لم يكتب لها النجاح، لأن الرياح لم تجر بما تشتهيهِ القيادة السياسية للبلاد، فقد عصفت بها أزمة مالية في الثمانينيات نتيجة انخفاض سعر البترول، واختير للخروج من هذه الأزمة المالية البديل الأسهل ظاهرا والأصعب في جوهره ومضمونه، فتوجهت البلاد إلى المؤسسات

\* - انظر التفصيل في الفصل الرابع، ص 173.

المالية الدولية مستقرضة، وبهذا ضربت واحدا من أهداف الإصلاح أو شرطا من شروطه وهو إلا يكون مفروضا، ولسنا بحاجة إلى توضيح الآليات والاجراءات التي يعمل وفقها كل من صندوق النقد الدولي والبنك العالمي.

وهنا نسجل أول مؤاخذة على هذه المرحلة -وفق المنظور البنابي-، فبدل أن تختار قيادة البلاد طريق الامكان الاجتماعي لجأت إلى الخيار الإمكان المالي وظنت أنها وبحصولها على الأموال ستحل المشكلة، والكل يعرف تلك الدوامة التي دخلتها البلاد جراء عملية الجدولة وإعادة الجدولة.

وكان من الممكن أن تستفيد الجزائر من توجيهات ونصائح مفكرها الفذ، الذي لم يكتف بتقديم توجيهات نظرية في شكل مبادئ بل دعمها بأمثلة واقعية جدّ مقنعة، فالشعب الألماني وجد نفسه بعد عام 1945 بين خيارين فإمّا أن يعود للحياة من دون أي سلطان مالي، وإما ألا يعود إذا كان المال هو الوسيلة الوحيدة لإعادة بناء الوطن " وإذا بنا نراه قد عاد وأعاد بناء كل مدنه المدمرة وصناعاته الضخمة وكل نشاطه الاقتصادي، وذلك بما تبقى لديه من وسائل بسيطة تمثل الإمكان الاجتماعي في الظروف العصيبة أو ظروف السير على حد سواء"<sup>(1)</sup>.

ويخلص بن نبي من ضرب هذه الأمثلة الى القول بأن: الإمكان الاجتماعي هو الذي يقرر مصير الشعوب والمجتمعات والدول، وأما خيار الإمكان المالي فإنه يرهن

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص74.

مستقبل البلاد ويضعها أمام "الاستسلام إلى إرادة الرأسمال كي يقدم لها القروض المناسبة بشروطه، لتسلم المبادرة في تحديد طبيعة الخطة إلى إرادة خبراء أجنبي، غير مرتبطين بمصير البلاد التي يخططون لها"<sup>(1)</sup>، وغني عن الذكر الإشارة إلى تلك الأزمات والاضطرابات التي عاشتها دول كثيرة من جراء تلك الشروط المجحفة المذلة التي أملاها عليها كل من صندوق النقد الدولي والبنك العالمي.

ومن هنا كان مالك بن نبي دوماً يوجه الدول المتخلفة إلى أنه في لحظة انطلاقها فرأسمالها الإنسان والتراب والوقت وأن كل مجتمع "ينبغي لخطط تنميته والحال هذه أن تعتمد اعتماداً أكثر على السلطان الاجتماعي، حتى لا تعبر عن وسواس نقص المال الذي يهلكها من البداية بإخضاعها إلى إرادة المال"<sup>(2)</sup>.

-المؤاخذة الثانية التي يمكن تسجيلها على مرحلة الإصلاحات أنها لم تنظر للعملية التنموية إلا من المنظور الاقتصادي فكانت بذلك فريسة النظرة الاقتصادية التي حذر منها مالك بن نبي والتي يزعم أصحابها أنهم يحلون المشكلات البشرية كلها بسبل اقتصادية، ويختزلون العملية في مجرد مدخلات ومخرجات أساسها المال لا الإنسان، إن هذا التصور الاقتصادي أمسى نفياً لسنن التاريخ البشري الذي يجعل من النهوض الاجتماعي قائماً بالأساس على الإنسان.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 75.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 40.



إن الاغراق والمبالغة في الاهتمام بالجانب الاقتصادي في العملية التنموية، معناه تغييب الإنسان كبعد أساسي وجوهري في العملية، فإذا جاز لنا أن نعبر عن (التراب) - بوصفه الجانب المادي - بأنه هو الجانب الاقتصادي هنا، فإن المنظور البنابي يقدم عليه الإنسان، فالإنسان هو من يحرك التراب ويقبله ويفعله، وبدون الإنسان يصبح (التراب) خلاء تصفر فيه الرياح، ومن هنا تكون النظرة الحصيفة لأي مشروع نهضوي تنموي منطلقها الإنسان وهو ذاته منتهاها.

والمتمأل في حال البلاد اليوم يدرك بوضوح بأن معركتها التنموية أسيرة التوجه الاقتصادي وكنتيجة لذلك تراجعت معركة بناء الرجال، هذه المعركة التي كانت المرحلة الأولى من العملية التنموية قد أولتها اهتمامها<sup>(\*)</sup>، إلا أنه ومع بداية الاصلاحات الاقتصادية والانفتاح الثقافي على الغرب، بدأت الأجيال التي تربت على التعبئة الجماهيرية حول أفكار النظام أيام الحقبة الاشتراكية، بدأت هذه الأجيال تفقد شيئاً من مناعتها ما دامت القيادة قد غيرت نهج أفكارها، كما بدأت قيمنا الخلقية تتعرض لزلزال الغزو الثقافي الفكري الوافد من الغرب، حتى غدت الصورة البهية لشبابنا التي رسمها لهم العلامة محمد البشير الابراهيمي في مقاله الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر، ضرب من الوهم، فالمتفقون منهم الذين يذهبون إلى معاهد العلم الغربية " يرجعون إلينا ومعهم العلم وأشياء أخرى ليس منها الاسلام ولا الشرقية، ومعهم أسماؤهم وليس معهم عقولهم ولا أفكارهم،

\* - انظر الثورة الثقافية من الفصل الرابع، ص 164.

وإن هذه لهي المصيبة الكبرى التي لا نبعد إذا سميناها مسخاً، وليتها كانت مسخاً للأفراد ولكنها مسخ للأمم ونسخ لمقوماتها"<sup>(1)</sup>، وإذا كانت هذه هي حال فئة من شبابنا المثقف فماذا يمكن أن نقول عن غيري المثقفين، إن لسان الحال في وصفهم أبلغ من لسان المقال. إن خسارة معركة بناء الرجال - دون تهويل أو تضخيم - يعني في جوهره خسارة على المستوى الثقافي والاخلاقي، خسارة على مستوى القيم التي كانت من المفروض أن نؤصلها في نفوس أبناء الشعب، ويكفي لمن يريد أن يلمس عن كثب هذه الخسارة أن يطالع جرائدنا فهي تنقل لنا يوميا فضائح بالجملة عن الاختلاسات بالمليارات (فضيحة سوناطراك)، والرشاوي والإدمان على المخدرات، والانحراف والجريمة، خسارة في البناء والاعداد للأجيال أوصلت أفراد المجتمع للعيش بنفسيتي الاغتراب أو الاستلاب إلا من رحم ربك.

-مؤاخذة أخرى يمكن تسجيلها على المرحلة الراهنة، إنها وإن لم تكن قد ألغت فكرة التخطيط كلياً من حسابها على اعتبار أن التخطيط من سمات الاقتصاد الاشتراكي، فهي على الأقل لم تعد تحفل به كثيراً، ومتى وجد فهو لا يعدوا إلا أن يكون مجموعة من الخطط الجزئية المتفرقة، والتي لا يمكن إدخالها في خطة واحدة متكاملة ومتناغمة تهدف إلى تحقيق النهضة في البلاد، فالحال اليوم في البلاد أن هناك اهتمام بالاستثمار

<sup>1</sup>-محمد البشير الابراهيمي: مرجع سابق، ج1، ص470.

والاستثمار فقط، دونما رؤية واضحة المعالم توضح مسار العملية وتحدد منتهاها، وكأن الأمر لا يعدوا إلا أن يكون تحريكا لعجلة التنمية ولو ظلت تراوح مكانها.

ولعله ليس من المبالغ سوق هذا المثال لتأكيد ما سبق ذكره، أي أن الهدف أضحى الحركة لذاتها دونما تفكير في الارتقاء وتحسين الأحوال، والمثال المقصود هنا مشروع تشغيل الشباب أو عقود ما قبل التشغيل، فحينما نسمع للأرقام التي تقدم للتدليل على التخفيف من عبء البطالة نسرّ نفرح، وعندما ننظر في جوهر التشغيل نجد تبديدا وهدرا للأموال، فمعظم هذه المناصب أصحابها لا يزاولون شغلا حقيقيا ولا يزورون أماكن عملهم إلا غرارا، فضلا عن أن بعض طرق تشغيل الشباب زادت في حدة أزمة البلاد، فقروض سيارات الـ "Hulux" مثلا معظم أصحابها على الحدود يشتغلون بالتهريب.. وليت الأمر توقف عند حدود هدر هذه الأموال-فالمال كما يقال مخلوف- فهذه القروض الموجهة للشباب بهذه الطرق أفسدت نظرهم لقيمة العمل وبذل الجهد، ووفق معادلة بن نبي " كل الأفواه يجب ان تأكل وكل السواعد يجب ان تشتغل" كان من المفروض أن كل من يأخذ فلسا من خزينة الدولة أن يقابله بجهد حقيقي يدفع عجلة التنمية في البلاد إلى الأمام.

إننا مطالبون اليوم بأن نقف مع ذواتنا وقفة جادة، وقفة تضاهي تلك الوقفة التي جمعت نخبة من أبناء الوطن في جوان 54، والتي أخذت على نفسها تصحيح مسارات الكفاح ضد المستعمر ووضعت بذلك قطار التحرير على سكتة الصحيحة.. ونحن كذلك

اليوم بحاجة إلى إعادة النظر في سياستنا التنموية وخاصة فكرة الإصلاحات التي شرعنا فيها، وإذا كانت قيادة البلاد قد توصلت إلى حقيقة مفادها أن الوصفات الإصلاحية التي قدمت لنا لم تحقق لنا مبتغانا وأن الخوصصة خيار خاطئ لم يوصلنا للجنة التي أردناها<sup>(\*)</sup>، فلم لا نوقف السير في هذا الطريق ثم ندعوا علماءنا وخبراءنا الاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين للتفكير في البديل المناسب الذي يتماشى وتطلعات شعبنا وامكانيات بلادنا.

لقد كان تراجعنا عن الاشتراكية غير مدروس دراسة علمية موضوعية، فهو في عمقه تراجع مأخوذ بما هو حاصل من تغيرات في العالم، وإن كان الظاهر هو الفشل في تحقيق الأهداف داخليا، ومالك بن نبي يؤكد على أن الاشتراكية إذا لم تحترم سائر شروطها سواء في مرحلة الصياغة أو مرحلة الانجاز أو إذا أرهقت بيروقراطية طفيلية فإن ذلك سوف يؤدي إلى شلل حركتها وهذا ما حدث بالفعل في بلادنا.

وإذا ما سلمنا جدلا بأنها قد فشلت كمنهج اقتصادي عملي، فماذا عن التوجه المقابل؟، توجه الاقتصاد الحر، فهل حقق العدالة والرفاهية لجميع أبناء مجتمعاته أم أنه راكم المال والثروة في أيدي فئات اقطاعية بوجه جديد؟، وهل ضمن للشعوب أمنهم الغذائي وأمانهم من خوف الفقر وتقلبات الدهر؟

\*-انظر الفصل الرابع، ص181.

إن الاجابة يعرفها الجميع، فالأزمات الاقتصادية والمالية التي عرفها العالم من 1929، 1987، 1989، ثم التسعينيات وانتهاء بأزمة 2008 والتي عدها البعض أزمة هيكلية كبرى للنظام الرأسمالي العالمي، وقال عنها الخبير الأمريكي مارتين وولف بأنها بداية تفكك للنظام الرأسمالي، ورأى البعض الآخر بأنها ستؤسس لانقلاب في موازن القوة في العالم، الأمر الذي دعا كثير من الخبراء الغربيين والساسة الليبراليين إلى التفكير بجدية في العودة الى رأسمالية الدولة التي اتهمت من قبل وهوربت، وبهذا تكون أحلام فوكوياما -المتنبئة بأسطورة نهاية التاريخ زعما منها بأن الليبرالية الغربية الراهنة تشكل قمة الاجتهاد البشري الذي لا يقبل بمعاشرة بدائل أخرى- تؤول إلى التلاشي والاندثار<sup>(1)</sup>.

كلمة أخيرة نقولها في هذا السياق، إذا كانت لدينا قناعة في بعض التوجهات، فلنقدم عليها ولنوفر لها شروط النجاح، فنحن مثلا اخترنا من خلال عملية الاصلاحات طريق الخصوصية وبعض ما تتطلبه هذه العملية هو حرية الأسواق المصرفية ولكن هذه الخطوة لم نقدم عليها، وبالتالي لم يكن للخصوصية فعالية لكونها حرمت إحدى عوامل فعاليتها ونجاحها، وابن نبي نبه لهذا الأمر حينما تحدث عن الدول التي تختار نهجا اشتراكيا من حيث الأهداف ثم تحدد طرق التنفيذ طبقا لمنهج رأسمالي من حيث الوسائل أو العكس.

<sup>1</sup> - حبيب راشدين: سقوط مدو للنظام الليبرالي وعودة لأحضان الدولة، جريدة الشروق اليومي، العدد 2424 الأربعاء 08 أكتوبر 2008 الموافق لـ 03 شوال 1429 هـ، الجزائر، ص23.

فملخص القراءة النقدية للسياسة التنموية في جزائر الاصلاحات من منظور بن نبي أنه ليست هناك رؤية واضحة لا في أهدافها ولا في وسائلها، وندلل على صحة هذا الرأي بمثال يكشف عن عمق ما يحصل في الجزائر اليوم..

فقد ذكر الدكتور سليم قلالة أنه التقى أحد كبار الاستشرفيين في فرنسا " ميشيل غوديه" فسأله هذا الأخير: ما الذي جعلكم لا تهتمون بالاستشراف الاستراتيجي مثلما كنتم عليه من قبل؟ ثم أخبره بأنه زار الجزائر مع وفد علمي بطلب من الرئيس هواري بومدين ليطلعوا المسؤولين الجزائريين حول إمكانية القيام بدراسة استشرافية عن الجزائر سنة 2000 أي أن الجزائر آنذاك كانت تفكر في مستقبلها بعد 25 سنة؟! ورغم أن إمكاناتها المالية وقدراتها العلمية في ذلك الحين لا تساوي شيئاً أمام ما نملكه اليوم، فما الذي جعل الحكومة الحالية تلغي كتابة الدولة ( كانت فيما قبل وزارة) كان يمكنها أن تكون إضافة نوعية للدولة الجزائرية؟.

فعلى ضوء أفكار بن نبي يمكن القول في ايجاز أن جزائر ما بعد الاستقلال كان لها رؤية واضحة وطموحات كبيرة شابتها لا محالة بعض النقائص، أما جزائر الاصلاحات فتبدو بلاء رؤية واضحة ولا خطة دقيقة، ولعل مرد هذا الى الازمة التي عصفت بالبلاد في التسعينات والتي افقدتها الكثير من توازنها وزاد من هذا الاضطراب في عدم وضوح الرؤية أزمات الربيع العربي حتى غدا هاجس الاستقرار هو الغاية والمنتهى لكل دولة تهون إلى جواره كل الغايات الأخرى وتصغر.

وكيف ما كانت الحال فالبلاد اليوم تعيش حالة شبيهة بحالة الطوارئ تستدعيها الى التفكير الجاد في خطة إنقاذ وطني، هذا التقييم لا ينكر الانجازات الحاصلة فعلا والتي قد يعبر عنها زيادة في مؤشرات النمو في هذا الجانب أو ذاك، ولكنها تبقى دون مستوى طموحات بلد يطمح إلى أن يتبوأ مرتبة مشرفة وإلى أن يكون في مصاف الدول الكبيرة، وأنه لخليق بأن يسود.

#### خامسا: مناقشة النتائج على ضوء النظريات

##### 1- بالنسبة للنظريات الغربية:

أ- فيما يخص نظرية التحديث وجملة الاتجاهات المنتظمة في سلوكها، فإلى جانب اغفالها للبعد التاريخي في فهم ظاهرتي (التخلف والتنمية) فقد سعت وعن قصد في تفسيرها من خلال ثنائية (التقليد والتجديد) لتوهم الدول المتخلفة (التقليدية) بأن سر تخلفها كامن في أنظمتها الاجتماعية والثقافية وأن سبيل خلاصها مما هي فيه يكون بتمثل النموذج الغربي قيما وثقافة.. هذا إجمالاً، وفيما يلي نحاول في إيجاز إبراز أوجه التلاقي أو الافتراق لتلك الاتجاهات مع طروحات بن نبي.

-بالنسبة للاتجاه الكلاسيكي وتحديداً مع فيبر، يبدو في المنطلق أن هناك توافقاً بين ما وضّحه فيبر وما دعا إليه بن نبي فكلاهما حاول البحث والكشف عن العلاقة الترابطية بين الظواهر الدينية والظواهر الاقتصادية، ولكننا حين نمعن النظر نجد أن هذه العلاقة

الترابطية قائمة مع إتجاه معين من الاتجاهات الدينية (البروتستانتية تحديداً) (\*)، وليس الدين في جملته، أما مالك بن نبي فهو يأخذ الإسلام بكليته في شموله كمركب أساس في العملية، ولكن يمكن أن نعد الدين في كليته (عند بن نبي) أو في جزئه (عند فيبر) كدافع مهم في تنشيط الظاهرة الاقتصادية.

وقريبا من هذا نجد الاتجاه السلوكي الذي ركز أصحابه على درجة الدافعية الفردية باعتبارها الدعامة الأساسية التي تنهض عليها العملية التنموية، ثم كانت الدعوة إلى تحديد الصفات السلوكية والنفسية للإنسان المتقدم والتي يجب تمثلها من قبل الإنسان المتخلف... ومالك بن نبي وإن وافق أصحاب هذا الاتجاه في التأكيد على أهمية الدافع إلا أنه لا يراه في تمثل القيم والصفات النفسية للإنسان الغربي وإنما في التقيب عن القيم المحلية... - وهي عندنا قيم الإسلامية-، كذلك فابن نبي لا يتحدث عن الدافع في إطار الإنسان الفرد وإنما ينظر إليه في إطار أوسع هو شبكة العلاقات الاجتماعية.

وبخصوص أصحاب إتجاه الأنماط المثالية وكذا إتجاه الانتشار الثقافي وهما يشتركان في اعتقادهما في مثالية القيم الغربية وادعاء أن سمة التخلف في المجتمعات الأخرى مردها إلى طبيعة الثقافة السائدة في تلك المجتمعات ونظمها الاجتماعية، ومالك بن نبي يرى في هذه الدعوى أنها تستهدف ربط مصير الدول المتخلفة بمصير الدول المتقدمة وجعلها تدور في فلكها من خلال التخلي عن القيم الثقافية الأصيلة وتمثل ثقافة

\* - انظر الفصل الأول، الفقرة الثانية، ص 43.



الأخر، كذلك نبه مالك بن نبي إلى مغالطة مفادها أن هذه الأنماط الثقافية المثالية التي يقدمها أصحاب هذا الاتجاه لا تعبر بصدق عن حقيقة المجتمعات الغربية ذات المرجعيات الاغريقية والرومانية(\*)، فهي من وجه آخر ثقافة قوة وسيطرة واستغلال وأناية، ومن هنا دعا بن نبي الى ضرورة اعداد المشروع الثقافي الانمائي المستوحى من القيم الأصيلة لمجتمعاتنا.

ملاحظة أخرى يمكن الإشارة لها بهذا الخصوص أن هذه الانماط الثقافية التي يعتقد أصحاب هذا الاتجاه في مثالياتها وصلاحيتها لأن تكون نموذجا يحتذى، حتى لو سلمنا جدلا بأنها النموذج المثال، إلا أن صحتها كما يقول بن نبي لا يجعل منها فكرة صالحة لكل بيئة او مرحلة، نظرا للفارق العمري بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة، وأصحاب هذا الاتجاه لا يجيبوننا عن الكيفية التي كانت عليها هذه الأنماط المثالية عندما كانت الشعوب المتقدمة متخلفة، وأنماط أي المجتمعات اكتسبوا حتى حققوا الانتقال من حال التخلف إلى حال التقدم.

أما بالنسبة لأصحاب الاتجاه التطوري المحدث الذين تحدثوا عن المراحل التي تسلكها المجتمعات على طريق النمو والتطور، فيمكن القول أن مالك بن نبي قد توافق مع طروحات بعض المفكرين الغربيين (فيكو وشبنجلر) الذين عالجوا موضوع الحضارة وحددوا الدورة التاريخية بثلاث مراحل، وبالتالي فحديث مالك بن نبي عن الدورات في

\* - فالثقافة الإغريقية في شقها الاسبرتي (Isparta) إضافة الى الثقافة الرومانية هما ثقافتا قوة وسيطرة، بعيدتان عن الأبعاد الانسانية النبيلة.

إطار أوسع من الذي عالجه أصحاب الاتجاه التطوري الذين تكلموا عن مراحل للنمو وتحقيق النهضة، وعموما فقد حدد مالك بن نبي دوراته بالمرحلة الدينية، أو الروحية (مرحلة الانطلاق) ثم المرحلة العقلية (وهي مرحلة التوسع والانتشار)، وأخيرا المرحلة الغريزية (بداية السقوط) وتجدر الإشارة إلى أن مالك بن نبي لا يعد الدين مرحلة يمكن تجاوزها كما هو الحال في الفكر الوضعي، ولكن الدين عنده هو ملازم للمرحلة الحضارية في أطوارها الثلاثة وكلما كان حضوره قويا كانت الحضارة متماسكة وكلما ضعف في النفوس بدأت الحضارة بالأفول.

ب- أما بالنسبة للاتجاه المادي التاريخي، فيمكن القول بأن أبرز مخالفة من بن نبي للفكر الماركسي الذي درس قوانين التطور الاجتماعي تتمثل في الطابع الاقتصادي الذي بنى ماركس عليه جل أفكاره- حيث حدد خمس مراحل لنمو المجتمعات وتطورها(\*) - والمخالفة هنا لا تعني الرفض المطلق للأفكار الماركسية فابن نبي "يعتقد: أن النظرية الماركسية ليست خاطئة، ولكنها ناقصة بالنسبة إلى العالم الإسلامي، ليست خاطئة لأنها تنبثق عن اتجاه في الفلسفة خاص بوسط اجتماعي بأكمله، وصادقه في تجربة الماركسي اليومية، ولكنها ناقصة وغير مفهومة وغير قابلة للتطبيق والتعميم عندنا في العالم الإسلامي" (1) .

\* - انظر الفصل الأول، ص51.

<sup>1</sup> - يوسف محمد حسين: موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث، ط1، دار الخلدونية للنشر، القبة، الجزائر، 1431هـ/ 2010م، ص 397.

إذن حسب بن نبي فالعامل الاقتصادي وحده لا يقدم لنا تفسيرات مقنعة للعملية التطورية في حدود مجتمعنا الإسلامي، ذلك أن شبكة العلاقات الاجتماعية القوية التي هي شرط من شروط الاقلاع الحضاري عند بن نبي أساسها ومحركها العامل الروحي أو الفكرة الدينية<sup>(\*)</sup>، ومع هذا التباين الجوهرى بين البنابية والماركسية إلا أنهما يتوافقا جزئيا في كون التنمية عملية تغيير ثوري وينأى بها بن نبي عن مفاهيم الصراع الطبقي الذي نادى به الماركسية.

وبالنسبة لطروحات الماركسية المحدثة فابن نبي يتوافق معها في ضرورة الكشف عن خطورة طروحات النظرية التحديثية وأبعادها الرأسمالية المضللة ولكنه يخالفهم في حصر المشكلة في العوامل التاريخية المتسببة عن الحالة الاستعمارية، ذلك أن العوامل الخارجية إذا لم تصادف عوامل داخلية مساعدة فإنها لن توفق كليا في إحداث تأثيراتها السلبية القاتلة ومن هنا يرى بن نبي بأن "نجاح أي منهج -سواء اتصل بنظرية في السياسة أم في الإصلاح- مرتبط بتناول المشكلة من جانبيها معا، فإذا نظرنا إلى جانب دون الآخر فقد غامرنا برؤية مشكلة مزيفة"<sup>(1)</sup>.

وإذن فالنتيجة العلمية المنطقية تقتضي منا -إذا ما شئنا الاحتراز المؤمن من مكائد الرأسمالية وحيلها- أن نتحصن بمضاد المعامل المقلل أو قابلية الاستلاب لها.

\* - في حين ترى الماركسية الدين أفيون الشعوب، وهذا يصدق على المجتمعات الكنسية في القرون الوسطى فحسب.

<sup>1</sup> - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 95.

## 2- النظريات الإسلامية:

أ- بالنسبة للمقاربات التقليدية فنلمس الاتفاق البين بين طروحات الماوردي وابن نبي، في جملة أمور منها ضرورة الكشف عن السنن التي تحكم سير التاريخ وحوادثه وتوظيفها لمعرفة أسباب صلاح الدنيا وفسادها ومواد عمرانها وخرابها، كما أن الماوردي جعل الدين في مقدمة العوامل التي بها يصلح حال الدنيا وهو ما أكد عليه بن نبي حينما جعل منه شرطا من شروط النهضة والاقلاع الحضاري.

وكما نجد الماوردي يؤكد على الاهتمام بما يصلح به حال الفرد<sup>(\*)</sup>، ثم يردفه بالحديث عن خصب الدار كعامل من عوامل صلاح الدنيا، نجد ابن نبي يجعل من "لقمة العيش لكل فم" أمرا ضروريا في معادلة التنمية والنهوض، ولكي نحقق هذا الأمن الغذائي للفرد والمجتمع على حد سواء علينا أن نأخذ بأسباب الحياة، سلاح العلم، وهو عين ما أشار له الماوردي وأكد ابن نبي.

وإذا ما جئنا لابن خلدون فنجد جملة نقاط للتوافق بينه وبين ابن نبي يأتي في مقدمتها الحديث عن السننية في التغيير، كونها تعبر عن إرادة الله التي تسيّر الكون وتحكمه وأن المسلم مطالب بنصوص القرآن أن يسير في الأرض فينظر ويتأمل ليكتشف

\*-انظر الفصل الأول، الفقرة الأولى، ص57، ونسجل هنا ملاحظة أن مقارنة الماوردي رغم كونها توصف بالتقليدية إلا أنها اهتمت بالبعد الانساني وهو خلاصة ما توصل له الفكر الحديث.

هذه السنن، والكون بأكمله مسخر لإرادة الانسان كذلك يتوافق بن نبي مع ابن خلدون على ضرورة الاعتبار بالتاريخ في فهم الظواهر الاجتماعية والسياسية والعمرانية.

فالتاريخ بحسب ابن نبي هو الذي يصنع المجتمع، وغايته أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية ألا وهي الحضارة، وللتذكير فقط فان كل مؤلفات ابن نبي لم تخل من ذكر لفظ التاريخ وبيان تأثيره في الحركية الاجتماعية والاممية فقد ورد لفظ التاريخ في مؤلفاته اكثر من (500) مرة.

ب-وبالنسبة للمقاربات الحديثة نجد أن أحمد صدقي الدجاني في مقاربة (عمران لا طغيان) يتوافق مع ابن نبي في المنظور الانساني للتنمية فتعمير الأرض بالصلاح لا يقتصر على أرض الاسلام، فالإسلام جاء بخيريته للبشرية جمعاء.

كذلك يتوافق بن نبي مع هاته المقاربة في كون العملية التنموية هي فعل تغير شامل في الاتجاه الايجابي، ذلك أن التغيير في غير هذا الاتجاه هو طغيان مفض للخراب(\*)، وأن التغيير غير الشامل كذلك هو خراب، لأن إعمار جزء وإغفال جزء آخر لا تتحقق به سعادة البشرية قاطبة.

أما المقاربة الثانية لعلي شريعتي، فهي أكثر المقاربات توافقا مع فكر ابن نبي ويأتي في مقدمة هذه التوافقات بين المفكرين أن كليهما رفض الوقوع في شرك الأجنبي

\* - وهذا بعض ما سعت وتسعى له أمريكا وقوى الاستكبار العالمي في اطار سياسة الفوضى الخلاقة واعادة رسم جغرافيات العالم.

باستيراد حلوله واعتماد مناهجه فالنهضة -حسبهما- لا تحصل إلا بالعودة الى الذات الواعية لحقيقتها، المبصرة لعيوبها والمدركة لجوانب القوة فيها فكلاهما تساءل: فالأول قال: إلى أي ذات نعود؟ والثاني قال: وحينما ندعوا للعودة للإسلام، فإلى أي إسلام ندعوا؟. وبالنهاية توافقا على الإجابة بأنهما يدعوان للإسلام الفاعل المتحرك، الإسلام الذي استطاع أن يستنهض سكون وجمود الصحراء غداة مجيئه، ويجعل منها مجتمعات نمل أو خلايا نحل دائبة الحركة.

ويتوافق المفكران كذلك في أن التنمية أو النهضة هي عملية بناء لا تكديس، لأن تكديس منتجات حضارة ما يجعلنا ملحقين بها على الدوام<sup>(\*)</sup>، وليته يكون الحاق قهر أو قصر ولكن الإلحاق الناتج عن ظاهرة التكديس هو إلحاق خضوع وخنوع، وعبثا نحاول أن نصنع من هذا التكديس نهضة أو حضارة فالمنتج لا يُكوّن المنتج؟

\* - وهذا بعض ما نشاهده خاصة في دول الخليج العربي حيث نرى مدن الأبراج العالية وهي هندسة وتخطيطا وتنفيذا وحتى تسبيرا غربيا صرفا، ومظاهر التكديس الكثيرة في كل الدول العربية يطول حصرها.

# الخاتمة

تختلف الدراسات والبحوث العلمية، وتتباين طرائقها ومناهجها وذلك حسب طبيعة كل منها، والدراسة التي بين أيدينا تدرج ضمن الدراسات الكيفية الكشافية التي تتعلق بدراسة الظواهر والأحداث والوقائع الحالية لتوصيفها، ومحاولة التعرف على جوانب القوة والضعف فيها، وبيان مدى صلاحية هذه الأوضاع أو مدى حاجتها إلى إحداث تغييرات جزئية أو كلية فيها.

لقد استهدفت الدراسة عرض التجارب التنموية في بعض دول العالم الإسلامي عامة، والجزائر على وجه الخصوص على الفكر التنموي عند الأستاذ مالك بن نبي، وهذا لن يتحقق إلا من خلال الإبحار في مؤلفات المفكر لاستخلاص مفاهيمه وتصوراته للتنمية الشاملة والتعرف على مقوماتها وأسسها وأبعادها.

وقد سبقت الإشارة - بشيء من التركيز في فصول وبادارات عابرة في أخرى- إلى أن التجارب التنموية التي اعتمدت في الدول العربية بعد استقلالها قد منيت بالفشل - مع اختلاف الدرجات بين هذه الدولة أو تلك- أو قل لم تحقق أغراضها في تحقيق السيادة الحقيقية لأوطاننا وتبوءها المكانة اللائقة بين جموع الدول المتقدمة.

وإذا أضفنا لهذا انهيار المعسكر الاشتراكي وفقدان نهجه الاقتصادي والاجتماعي للجاذبية التي كان يتمتع بها في أوائل عهده، وكذلك الأزمات المالية المتكررة التي هزت أركان البيت الاقتصادي الرأسمالي وأفقدته شيئاً من توازنه، كل هذا جعل أصوات الخبراء والباحثين في جميع أسقاع العالم ترتفع مناديه للبحث عن بدائل ومناهج جديدة تحسبا للانهايار الكبير الذي قد يطيح بالنظام الرأسمالي على غرار ما حدث للنظام الاشتراكي.

فإذا أخذنا كل هذه المتغيرات في الحسبان أصبح من اللازم علينا، أن نفكر لأنفسنا- بعد أن فكر الغير لنا وفشل- عن بدائل اجتماعية واقتصادية تتلاءم وطبيعتها النفسية والفكرية وتتماشى ومرحلتنا العمرية، بدائل تستنطق ما فوق التراب وتستخرج ما في باطنه، لتعيد تهيئة هذا التراب بما يناسبه ويلائمه.



بهذه المعاني العميقة أطل المفكر مالك بن نبي على وطنه الجزائر وعلى عموم أمته المسلمة ليحذرهما من انتحار الارتقاء في أحضان الفكر الاشتراكي والرأسمالي على حد سواء، ولقد تنبأ بن نبي بانهيار المعسكر الاشتراكي وهو في أوج قوته، وقد صدقت توقعاته فلم التلكؤ عن الأخذ بأرائه وتوجهاته في عموم النظم المستوردة.

جاءت أفكار بن نبي لتعلم الجزائريين خاصة والمسلمين عامة والدول المتخلفة بوجه أعم بأن التنمية المنشودة، ليست تلك التي تعمل لأجل التخفيف من وطأة الضغوط الاجتماعية، وتحسن نسبيا من الأوضاع الاقتصادية، فمثل هذه التنمية لا تعدوا أن تكون مجرد مسكنات ظرفية لا تستأصل الداء من جذوره، أما التنمية التي ينبهنا إليها بن نبي فهي التنمية الحضارية، التنمية التي تحقق للأمم سيادتها وتبني لها نهضتها وتعز شعوبها.

هذه التنمية لا يمكن لها إلا أن تكون فعلا ثوريا شاملا في إطار التقدم، والفعل الثوري هو عملية تغييرية جذرية، تعيد بناء الإنسان لتصنع منه رجلا حضاريا متشبعا بقيمه الأخلاقية والثقافية، رجلا عصيا على الاستيلاء للآخر، متحررا من كل أشكال العقد وفي مقدمتها عقدة القابلية للاستعمار، إن لم نقل القابلية للاستعمار.

مثل هذا الإنسان الذي يتنفس الحرية في عمقها وجوهرها لا في شكلها ومظهرها، لا يرتضي لنفسه الاتكال في شؤونه على الآخرين، فهو عصامي لا يعتمد على أحد، ومن ثم فهو يرفض كليا كل أشكال الاستيراد للأشياء والأفكار إلا ما كان منه ضرورة ملحة، تقتضيها الظروف الآنية دون أن تتحول إلى عادة أصيلة فيه، لأنه يؤمن بأن اليد السفلى ذليلة.

هذا الإنسان الذي يتنفس الحرية الحق، لا يكتفي برفض الاتكال على الغير، بل يتعدى ذلك إلى رفض التشبه بأعمالهم أو تقليد صنائعهم - إلا ما اقتضته طبيعة المرحلة العمرية- لأن المقلد لا ينتج في أحسن الأحوال إلا صورة مطابقة، والصورة تابعة حتما للأصل، فكيف تتحقق له الحرية وهو ما زال ظلا للآخر؟!!

وينبغي على هذا الانسان وهو يسعى لبناء نهضته بالعودة إلى ذاته والاعتماد على نفسه ألا يكون مثاليا تسيره الأحلام، بل عليه أن يكون واقعيا مدركا للصعوبات الجمة التي ستعرض طريقه، وأن عليه أن يتخطاها بنفسه فبتعثره ثم نهوضه يكتشف مكامن القوة فيه، فما ارتقى أحد مرتقى صعبا إلا بعد جراحات.

هذه التنمية التي تنطلق من مبدأ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ تؤمن بأن من يغير نفسه يصنع التاريخ، هي تنمية كما سلف الذكر ترفض الحلول المستوردة وتعتمد على نفسها لتحقيق شروط إقلاعها... هذه التنمية تقوم على جملة أسس قوية تدعم أركان بنياتها حتى يصمد في وجه كل أشكال الهزات والتقلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

-مثل هذه التنمية كما يراها بن نبي تقوم على فعل البناء لا التكديس، فهذا الأخير يعبر من جهة عن طفولة فكرية ومن جهة ثانية عن مراحل الانحطاط لا التقدم.

-تنمية تقوم على التخطيط الدقيق الذي بواسطته نتمكن من تحريك كامل طاقات البلاد ومواردها البشرية والمادية تحريكا يؤدي الى خلق دينامية اجتماعية.

-تنمية منطلقها وسر نجاحها الإمكان الاجتماعي لا الإمكان المالي، فالثاني ليس متيسر للكل والأول هو الذي صنع المعجزات وعليه قامت الحضارات.

-تنمية تعنى ببناء شبكة علاقات اجتماعية قوية و متماسكة، تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ، وكلما كانت شبكة العلاقات أوثق كان العمل فعالا مؤثرا.

-تنمية لا تقلب موازين القيم فنقدم الحقوق على الواجبات، فالمجتمع الذي يسعى نحو التقدم لا يسعه إلا أن يعطي قيم الواجبات فهي شرط الحقوق والحقوق مترتبة عنها.

-تنمية تأخذ في حسابها متغير الوقت، فالأمم في تسابق مستمر و قطار التقدم لا يتوقف إلا غرارا فمن أدركه ركب ومن تباطأ خلف مع من تأخر، فتذكرة الركوب في قطار التقدم هي الوقت، ومن لم يفتطعها لا يلومن إلا نفسه.

-تنمية تأخذ في الاعتبار كذلك المتغيرات الدولية، إذ لا مكان في عصرنا للضعفاء، ومن هنا تحتم الحاجة إلى ضرورة التكتل مع المثل والنقد لتحسين البيت من الأعاصير الموجهة.

-تنمية لا تعمل على منافسة الآخر فيما يجيده ويتقنه، وإنما تبحث على طريق جديد لتصدرها سواء كان هذا في مجال عالم الأشياء، أو فيما افتقدته البشرية في جانب القيم الخلقية والنفسية.

-تنمية لا تغفل عن العدو المتربص بها، لأنه هو ليس بغافل عنها، فهناك إرادة هيمنة تبسط نفوذها على العالم بأسره، لا ترتضي لبغات الطير أن يستنسر، تنمية تضع ضمن مخططاتها العوائق المدبرة من المستعمر وتفكر في كيفية تخطيها دونما استقواء.

-تنمية لا تدعي العصمة لخطتها، وعندها الشجاعة لتراجع نفسها وتقف على عيوبها، فتقوم وتصحح ثم تنطلق من جديد.

هذه التنمية كما تصورها بن نبي وحدد مقوماتها ووضع أسسها، ويعتقد جازما أن خططها وسياستها ليست صناعة لـ "البولتيك"، وإنما ينهض بها رجالها وخبرائها وهم ليسوا (مهندسي الاجتماع) -مع حفظ دورهم- وإنما هم (علماء الحياة في الاجتماع)، فهم الأقدر على فهم طبيعة البناء الفكري والثقافي لأفراد مجتمعاتنا، ومن ثم فهم الأقدر على تحريك الطاقات المعطلة بالكشف عن العوامل الدافعة الكامنة في نفوسهم وفي قيمهم الثقافية.

ويبقى لنا في ختام هذه الرحلة البحثية الشاقة أن نقول بأن الاستثمار الفعلي لأفكار المفكر مالك بن نبي لا يكون بمجرد عمليات اجترارية لا تزيد عن ترداد أفكاره ومقولاته في هذا المحفل الفكري أو ذلك الفضاء المعرفي -وهذا العمل له أهميته في حفظ ذاكرة الأمم- فابن نبي يرفض مثل هذه الأعمال إذا ما توقفت عند هذه الحدود، ولا يرى في الكلمة خيرا إلا إذا تحولت إلى مشروع عملي، فهو الذي كان يقول دوما إن الكلمة التي لا تحمل جنين نشاط معين فهي كلمة فارغة، كلمة ميتة وترجمة هذه الكلمة الخالدة إلى

نشاط هادئ وعمل مثمر لا يكون إلا بتوجيه الدعوة لمن بقي حيا من تلاميذ المفكر بن نبي، وإلى المهتمين بفكره من علماء الاجتماع - كما آمن هو - لعقد ملتقى علمي عملي حول المشروع الثقافي النهضوي (الانموي)، ترسم فيه خطة تنموية فاعلة -توضع بين أيدي قادة البلاد- وتأمل أن تسير نحو غد مشرق للجزائر، غد يكون في مستوى سمعة ملحمة الجزائر الثورية، لتقدم بعد ذلك كنموذج انمائي يحتذى في جموع دولنا العربية.

ولأن مالك بن نبي آمن بدور النخبة ومسؤوليتها في النهضة وأمن بدور الجامعة تحديدا فليس هناك أولى من الجامعة في احتضان ملتقى بن نبي للمشروع الثقافي النهضوي.

والله الموفق.

# قائمة المراجع

## قائمة المصادر والمراجع

الرقم	العنوان
أ-المصادر	
01	القرآن الكريم.
02	مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1408هـ / 1988م.
03	مالك بن نبي: تأملات، د ط، دار الفكر، دمشق سورية، 1406 هـ / 1986م.
04	مالك بن نبي: دور المسلم ورسالاته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط5، دار الفكر دمشق سورية 1430 هـ / 2009م.
05	مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصابور شاهين، ط2، دار الفكر، دمشق، 1406هـ/1986م.
06	مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط3، دار الفكر، دمشق، سورية، 1408هـ/1988م.
07	مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصابور شاهين، ط4، دار الفكر، الجزائر، 1407هـ / 1987م.
08	مالك بن نبي: الفكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر بانونغ، ط7 دار الفكر، دمشق سورية، 1430هـ / 2009م.
09	مالك بن نبي: فكرة كمنولث اسلامي، ط9، ترجمة الطيب الشريف، دار الفكر، دمشق، سورية، 1430هـ/2009م.
10	مالك بن نبي: في مهب المعركة، ط7، دار الفكر، دمشق، سورية، 1427هـ/2006م
11	مالك بن نبي: القضايا الكبرى، ط9، دار الفكر، دمشق ، سورية 1430 هـ / 2009م.

12	مالك بن نبي: مذكرات شاهد القرن، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1404هـ / 1984م.
13	مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الفكر، دمشق، سورية، 1407هـ / 1987م.
14	مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، ط9، دار الفكر، دمشق، سورية، 1430هـ / 2009م.
15	مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين، ط11، دار الفكر، دمشق، سورية، 1426هـ / 2005م.
16	مالك بن نبي: من أجل التعبير، ط5، دار الفكر، دمشق، 1427هـ / 2006م.
17	مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصابور شاهين، ط8، دار الفكر، دمشق، سورية، 1431هـ / 2010م.
18	مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصابور شاهين، ط5، دار الفكر، دمشق، سورية، 1406هـ / 1986م.
<b>ب-المراجع:</b>	
19	ابراهيم العيسوي: التنمية في عالم متغير، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2000م.
20	ابراهيم حسن: دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي، ط1، دار المعرفة، مصر، 1990م.
21	ابراهيم حسن العسل: التنمية في الفكر الإسلامي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، 2006م.
22	ابراهيم سعد الدين وآخرون: صورة المستقبل العربي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1989م.
23	ابراهيم مشورب: اشكالية التنمية في العالم الثالث، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 1427هـ / 2006م.

24	ابراهيم مشورب: التخلف والتنمية دراسات اقتصادية، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.
25	ابراهيم مشورب: قضايا التخلف والتنمية في العالم الثالث، ط1، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م.
26	ابن خلدون: المقدمة، ط7، دار القلم، بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م.
27	أبو الحسن عبد الموجود ابراهيم: التنمية الاجتماعية وحقوق الإنسان، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2009م.
28	أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، د س ن .
29	احسان حفصي: علم اجتماع التنمية، دط، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2006م.
30	أحمد بعلبكي: موضوعات وقضايا خلافية في تنمية الموارد العربية، الكتاب الأول، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان 2007م.
31	أحمد بن محمد القيومي: كتاب المصباح المنبر، دط، دار العلم ، بيروت لبنان، د س ن .
32	أحمد طالب الابراهيمى: المعضلة الجزائرية الأزمة والحل، ط4، دار الأمة برج الكيفان، الجزائر، 1999م.
33	أحمد محي الدين العجوز: منهاج الشريعة الإسلامية، ج3، دط، مكتبة المعارف، بيروت لبنان 1983م.
34	أحمد يوسف أحمد وآخرون: متطلبات الاصلاح في العالم العربي، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 2006م.
35	أسامة عبد الرحمن: تنمية التخلف وإدارة التنمية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2003م.
36	إسماعيل قبرة وعلي غربي: في سوسيولوجية التنمية، د ط. ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2001م.



35	الأكاديمية العربية للعلوم: الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث، ط1، مكتب اليونسكو الاقليمي، بيروت، 1428هـ/2007م.
36	السيد الحسيني: التنمية والتخلف دراسة تاريخية بنائية، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
37	السيد سابق: فقه السنة، ج3 ط3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1981م.
38	الماوردي: أدب الدنيا والدين، ط1، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م.
39	المنظمة العربية للتنمية الإدارية: إدارة سياسات التنمية، ط2، منشورات م ع ت د، القاهرة، 1999م.
40	الأكاديمية العربية للعلوم: الموسوعة العربية من أجل التنمية المستدامة، ط1، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م.
41	أونيس عبد المجيد أونيس: إدارة العلاقات الانسانية مدخل سلوكي تنظيمي، ط1، دار اليازروي العلمية، عمان، الأردن، 2011م.
42	بشير قلاتي: هكذا تكلم مالك بن نبي نحو منهج رشيد للتغيير الاجتماعي والبعث الحضاري، ط1، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2007م.
43	جبهة التحرير الوطني: الميثاق الوطني 76، ط1، المعهد الوطني التربوي، الجزائر، 1976م.
44	جميل جريسات: إدارة التنمية العربية في ظل السياسة اللامنهجية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1998م.
45	جيرار جيهامي وآخرون: مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر، ط1 مكتب لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2004م.
46	دلال ملحس استيتية: التغيير الاجتماعي والثقافي، ط2، دار وائل، عمان، الأردن، 2008م.
47	رابح كعياش: سوسيولوجيا التنمية، ط1، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2007م.

48	رشدي طعيمة: تحليل المحتوى في العلوم الانسانية، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1987م.
49	زغلول راغب النجار: قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، ط1، سلسلة كتاب الأمة، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، قطر، 1988م.
50	سامي محمد ملحم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط2، دار المسيرة، عمان، الأردن، 1423هـ/2002م.
51	سعيد حوى: جند الله ثقافة وأخلاق، دراسات منهجية هادفة في البناء، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.
52	سليمان الرياشي وآخرون: الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1999م.
53	سيد قطب: في ظلال القرآن، ط10، ج4، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م.
54	سيد قطب: معالم في الطريق، ط8، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1400هـ / 1980م.
55	سيد محمد خير الله وممدوح عبد المنعم الكتابي: سيكولوجية التعلم بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1996م.
56	سميرة كامل محمد: التنمية الاجتماعية، مفهومات أساسية رؤية واقعية، دط، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، مصر، 1988م.
57	طلال أبو غزالة وآخرون: النظام العربي والعولمة، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 2004م.
58	طلعت مصطفى السروجي: التنمية الاجتماعية من الحداثة إلى العولمة، دط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2009م.
59	عادل خليفة: اقتصاديات الدول العربية وتحديات التنمية، رؤية جديدة، ط1 دار المنهل اللبنانيي بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م.
60	عبد الحميد الغزالي: الإنسان أساس المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، ط1، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/1994م.

61	عبد الحميد دغبار: تسوية المنازعات الاقليمية العربية بالطرق السلمية، د ط، دار هومة، الجزائر، 2007م.
62	عبد الرحمان محمد العيسوي: سيكولوجية التنمية والانتاج، ط1، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، 2001م.
63	عبد الله محمد عبد الرحمن: دراسات في علم الاجتماع، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2000م.
64	عبد الهادي الجوهري وآخرون: دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل إسلامي، د ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 1986.
65	على القرشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1409هـ / 1989م.
66	علي جمعة محمد وآخرون: الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، مجلد2، ط1، دار السلام، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م.
67	علي خليفة الكواري: نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1986.
68	عمر مسقاوي: مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر، ط1، دار الفكر، دمشق، سورية، 1429، 2008.
69	فريدريك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، أكاديمية أنترناشيونال، بيروت، لبنان، 1998م.
70	فوزية غربي: الزراعة العربية وتحديات الأمن الغذائي حالة الجزائر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2010م.
71	مارلين نصر: التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1990م.
72	محمد البشير الابراهيمي: أثار الامام محمد البشير الابراهيمي، جمع وتقديم الدكتور احمد طالب الابراهيمي، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 1997م.
73	محمد باقر الصدر: اقتصادنا، ط2، مجمع الشهيد الصدر العلمي والثقافي، د ب ن، 1408هـ.

74	محمد بالرابح: آفاق التنمية في الجزائر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2007م.
75	محمد خاتمي: التنمية السياسية الاقتصادية والأمن، ترجمة سرمد الطائي، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 2004م.
76	محمد عبد الفتاح محمد عبد الله: تنمية المجتمعات المحلية، دط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006م.
77	محمد عبد المولى الدقس: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، ط2، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 1425هـ/2005م.
78	محمد منير حجاب: الإعلام والتنمية الشاملة، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة 2000م.
79	محمود عبد الفضيل: العرب والتجربة الآسيوية الدروس المستفادة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000م.
80	محمود محمد سفر: دراسات في البناء الحضاري، ط1، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، قطر 1409هـ.
81	مولاي الخليفة لمشيبي: مالك بن نبي، دراسة استقرائية مقارنة، ط1، دار النايا ودار محاكاة، دمشق، سورية 1433 هـ/2012م.
82	نادر فرحاني وآخرون: التنمية المستقلة في الوطن العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، جانفي 1987م.
83	ناصر يوسف: دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركبة، دراسة مقارنة بالجزائر وماليزيا، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2010م.
84	نور الدين زمام: القوى السياسية والتنمية، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.
85	وحيد الدين خان: الاسلام والعصر الحديث، ترجمة ظفر الاسلام خان، ط1، المختار الاسلامي للطباعة، القاهرة، مصر، 1396هـ / 1976م .
86	يوسف القرضاوي : الايمان والحياة، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1983م.

87	يوسف القرضاوي: <b>العبادة في الإسلام</b> ، ط2، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د س ن.
88	يوسف محمد حسين: <b>موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث</b> ، ط1، دار الخلد ونية للنشر، القبة، الجزائر، 1431هـ / 2010م.
<b>ج-المراجع باللغة الفرنسية:</b>	
89	Ahmed Ben Bitour : <b>Radioscopie de la Gouvernance Algérienne</b> , 2 <sup>eme</sup> Edition, les Editions Edif 2000, Alger, 2011.
90	André Louat : <b>Le sous-développement</b> , stratégies et résultats, ellipse éditions, paris,1999.
91	Djamel Guerid : <b>L’exception algérienne la modernisation à l’épreuve de la société</b> , casbah éditions, Alger, 2007 .
92	Jean Copains : <b>Sociologie du développement</b> , 2 <sup>eme</sup> édition, Armand colin Paris, 2010.
93	Malek Ben Nabi : <b>Mondialisme</b> , préfacés par : Abderrahman Bennamara dar el hodhara, Alger, 2004.
94	Maryse Brimant Mackowiok : <b>Le Développement local global et la participation des acteurs économiques et sociaux</b> , article, édition harmattans.fr Novembre 2010.
95	Michel Bialès et autre : <b>L’essentiel sur l’économie</b> , 4 <sup>eme</sup> édition, copyright Berti Editions Alger, 2007.
96	Mostefa Boutefnouchet : <b>La société algérienne en transition</b> , opu. Ben aknoun. Alger, 2004.
97	Norddine Grim : <b>l’économie algérienne otage de la politique</b> , éditions casbah. Alger, 2004.
98	Sid Ahmed Ghozali : <b>Question d’état</b> , Gashah Edition, Alger, 2009

د- القواميس والمعاجم	
99	إبراهيم أنيس وآخرون : <b>المعجم الوسيط ج2</b> ، معجم اللغة العربية، مطابع دار المعارف، ط2، مصر 1973.
100	أحمد بن محمد الفيومي: <b>كتاب المصباح المنير</b> ، دط، دار القلم، بيروت، لبنان، د س ن.
101	ابن منظور: <b>لسان العرب</b> ، ط1، ج 15 دار صيدا، بيروت، لبنان، 1410هـ / 1990م.
102	الزمخشري: <b>أساس البلاغة</b> ، تحقيق عبد الرحيم محمود، د ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1991 م.
103	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: <b>المعجم العربي الأساسي</b> ، ط1 ، توزيع لاروس، تونس، 1989.
104	الفيروز أبادي: <b>القاموس المحيط</b> ، دار المعرفة، د ط، بيروت، لبنان، د س ن.
105	جميل صليبا: <b>المعجم الفلسفي</b> ، د ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1982.
106	دينكن ميتشل: <b>معجم علم الاجتماع</b> ، ترجمة إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1986م.
107	محمد بن أبي بكر الرازي : <b>مختار الصحاح</b> ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1979.
108	<b>Dictionnaire de la langue française « Encyclopédie »</b> , 2 <sup>eme</sup> édition, imprimée en Italie 94 (Hachette 1980)
هـ- المجلات:	
109	أسامة قاضي: <b>إشكالية الديمقراطية والتنمية الاقتصادية في العالم الإسلامي</b> ، مجلة استراتيجية، العدد الثالث، شهر فيفري مركز البصيرة للبحوث، الجزائر 2007.

عبد الحميد خروف: سياسة التنمية في الجزائر، رؤية سوسيوولوجية، مجلة الفكر السياسي، المؤسسة العربية السورية، عدد 17، خريف شتاء 2002.	110
علي حيدر، التنمية الشاملة والتطوير الاستراتيجي للمفهوم، مجلة النبأ الالكترونية، عدد 72، تشرين الأول 2004.	111
و-الرسائل:	
موسى لحرش: اشكالية الحضارة وأزمة مجتمعات العالم الاسلامي من منظور مالك بن نبي، أطروحة دكتوراه جامعة باجي مختار، عناية السنة الجامعية 2000 / 2001.	112
عيسى مرزقة، القطاع الخاص والتنمية في الجزائر، دكتوراه الدولة في العلوم الاقتصادية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية 2006-2007.	113
ز-الجرائد:	
جريدة الخبر: السبت 20 مارس 1999 الموافق لـ: 03 ذو الحجة 1419هـ.	114
جريدة الخبر: عدد الاحد 27 جويلية 2008م الموافق لـ: 24 رجب 1429هـ، الجزائر.	115
جريدة الشروق اليومي: العدد 2424 الأربعاء 08 أكتوبر 2008 / 03 شوال 1429 هـ، الجزائر.	116
ح-مواقع الانترنت:	
باللغة العربية:	
أحمد زقاوة: هكذا تكلم بن نبي، موقع مالك بن نبي نقلا عن مجلة أفق الثقافة الإلكترونية 2011/12/23.	117
زكي الميلاد: مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي، النظرية والمنهج والتطور، موقع مالك بن نبي، 2011/12/23.	118

119	زينب مكي: خليل: فضيحة " سونطراك " هزت صورة الجزائر، الفن أون لاين 18-3-2010، الساعة: 12 و 30د.
120	صلاح الدين أبو الحسن: ماليزيا: نكهة مهاتيرية ومقاربة اسلامية، موقع المركز العربي للدراسات والأبحاث، نات، 25، 02، 2011، الساعة: 05 و 02د.
121	محمد الهادي الحسني: من أحمد بومنجل إلى مدلسي، الشروق أون لاين، 2012/07/19، الساعة: 16 و 30د.
122	ميساء الجردي وبراء الأحمد: نحو منهجية متكاملة لمؤشرات عربية للتنمية، مجلة المجتمع ، موقع جريدة الثورة السورية، 2008/11/19.
123	نصر عارف: مفهوم التنمية : "إعادة الاعتبار للانسان، موقع الإسلام أون لاين، 31 /01 /2010 .
124	نورة خالد السعد: مالك بن نبي تجاوز ابن خلدون، موقع الاسلام اليوم: 2011/10/04.
باللغة الفرنسية:	
125	Abderrahmane Ben Amara: <b>Actualité de Bennabi</b> , tunisitriwordpress.Com, 26 novembre 2011, à :13h50
126	Développement durable : <b>Article de Wikipédia</b> , l'encyclopédie libre, 2009.
127	Moez Fekih : <b>Confirme le bien fondé de nos choix de développement</b> , webmanagercenter.com,15/02/2010 ,à : 07h18



الملاحق

## مالك بن نبي في سطور

لم يعد مالك بن نبي (1905-1973) ذلك المفكر الذي يشكو الغربية في وطنه الصغير والكبير على حد سواء، المفكر الذي جنت عليه أفكاره المستتيرة حيناً من الدهر، إذ لم يستطع بعض معاصريه استيعابها وفقه مقاصدها وغاياتها ومراميها، فعدوه بسبب فكرة القابلية للاستعمار عميلاً يناصر العدو ويبرر أفعاله ( وهؤلاء هم الوطنيون والثائرون على المستعمر)، والبعض الآخر أدرك عمق أفكاره في بعديها العربي والإسلامي فعملوا بخبث ودهاء للحيلولة بين أفكاره وبين وصولها لعموم الشعب، حتى يبقوه (أي الشعب) في سباته العميق ( وهؤلاء هم الشيوعيون والفرانكفونيون ومن ولاهم).

أما الآن فقد عاد بن نبي وبقوة إلى أحضان أسرته الجزائرية ومجتمعه العربي وأمته الإسلامية، فهذه الندوات والملتقيات تعقد لدراسة فكره هنا وهناك من طنجة إلى جاكرتا.

ولذا ارتأيت في تقديم سيرته -وقد صار أشهر من نار على علم- أن أخرج عن المألوف في كتابة السير، لأقدمه إلى القراء على لسان نخبة من المفكرين والعلماء والباحثين:

قال فيه الدكتور: محمد بن موسى بابا عمي: "مالك بن نبي لو حاولت تصنيفه في خانة معينة لأدركتك الصعوبة قبل أن تدركها، ولاستحال عليك الصدق في فعلك هذا، فهل هو تراثي أم حدائي؟ وهل هو عقلي أم نصي؟ وهل هو فيلسوف أم عالم اجتماع، أم مفسر أم مؤرخ...؟ أم هو عالم انساني أم عالم طبيعي؟ وهل هو عالم مقتصر على دوائره القريبة أم هو عالمي النزعة والاهتمام والاثرة؟" (1).

وقال فيه الأستاذ: محمد المبارك: "انه عربي مسلم، ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء، وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سبباً في

<sup>1</sup>-محمد بن موسى بابا عمي: مشكلة المعرفة الإسلامية عند المفكر مالك بن نبي، موقع مالك بن نبي، 2011،

تحرره من نفوذها، ومعرفته لمصادرها ومواردها، لدوافعها الخفية وبواعثها العميقة، ولاسيما أنه جمع الى جانب الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء، عميقة الأغوار، كما تدل عليه آثاره ومؤلفاته العديدة...، إن مالكا يبدو في كتابه (وجهة العالم الإسلامي) وفي مجموع آثاره لا مفكرا كبيرا وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقه وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره" (1).

وقال فيه الدكتور: مصطفى السباعي: "يتميز الاستاذ مالك بن نبي في جميع مؤلفاته بعمق التفكير ومنطقيته وواقعيته، وقوة أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها.. وقد استطاع الاستاذ مالك بأسلوبه الذي تفرّد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية، ان يوجه اليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق الى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير" (2).

وقال فيه الدكتور: علي القرشي: "هو أول من كتب في العالمين العربي والإسلامي - عما يسمى اليوم بالتنمية، وأول من تناول بشكل منهجي مستقل مشكلة التراث والمعاصرة، فضلا عن كونه من القلائل الذين طرحوا -من منظور نقدي فعّال- مشكلة التراث والمعاصرة، ومن القلائل أيضا الذين حرصوا على تأكيد أن ثمت طريقا ثالثا للنهضة غير الطريقتين: الرأسمالي والاشتراكي" (3).

وقال فيه الدكتور: بوبكر جيلالي: "مالك بن نبي مفكر وفيلسوف وصاحب استراتيجية يهدف من خلالها الى انقاذ امته والامم المتخلفة من الانحطاط والضياع، ويدفعها نحو التحضر الذي يتحقق متى تحققت شروطه وأدواته في كل الظروف

---

<sup>1</sup>-محمد المبارك: مقدمة كتاب وجهة العالم الإسلامي، ط5، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986/1406.

<sup>2</sup>-أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، ط2، دار النفائس، بيروت لبنان، 1986/1406، ص21.

<sup>3</sup>-علي القرشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1989/1409.

والأحوال.. ويعد مالك بن نبي ممن تأملوا ودرسوا وانتقدوا تاريخ الأمة العربية والإسلامية وأوضاعها الحديثة والمعاصرة، وجددوا أمر فكرها وفلسفتها" (1).

وقال فيه الدكتور: محمد سعيد مولاي: "تميز مالك بقدرته الفائقة على التحليل العلمي في القضايا الاجتماعية النفسية والمسائل الفكرية والدينية، فتراه في معالجته لتلك القضايا كأنما يعالج مسائل فيزيائية أو رياضية، مثل ذلك تحليله لعناصر الحضارة مثل تحليل الكيماوي للماء" (2).

وقال فيه الدكتور: أبو القاسم سعد الله: "كان بن نبي رجلا يخشى منه لأنه مؤثر في نخبة من الشباب الملتف حوله بقطع النظر عن أوطانهم وميولهم، ربما بطريقة مشابهة لفعل جمال الدين الأفغاني قبله بنحو قرن من الزمان" (3).

وقالت عنه ابنته رحمة: "مالك بن نبي كان يقول قبل وفاته أنه سيعود بعد ثلاثين سنة وهذا ما حدث فعلا، فبعد ثلاثين سنة من رحيله نظم حول فكره ملتقى في 2003 بفندق الاوراسي، لكن الاهتمام بمالك بن نبي بدأ في التزايد في أواخر الثمانينات" (4).

وقال محمد شويش: بعد تعليق حول جملة الأحداث في عالمنا الإسلامي: " هذا الواقع يفرض العودة الى السؤال الحضاري.. سؤال الفاعلية.. سؤال النهضة.. لذلك فالزمان الآن زمانه" (5).

---

<sup>1</sup>-بوبكر جيلالي: استراتيجية البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ط1، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2011/1432. ص12.

<sup>2</sup>-محمد سعيد مولاي: محطات في حياة مالك بن نبي، موقع مالك بن نبي، 2011.

<sup>3</sup>-أبو القاسم سعد الله: مقدمة كتاب مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، لفوزية بريون، ط1، دار الفكر، دمشق، 2010/1431.

<sup>4</sup>-رحمة مالك بن نبي: حوار مع ج. شفيقة، موقع مالك بن نبي، 2011.

<sup>5</sup>-محمد شويش: مالك بن نبي والوضع الراهن، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2007/1428. ص83.

قائمة أسماء الأعلام بالعربية والأجنبية	
Hrkulaitts	هير قايطس
Guy Rocher	جي روشي
Arnold (1967)	أرنولد (1967)
Duncan Mitchell	دينكن ميتشل
Charles Darwin	تشارلز دارون
Julian Stewart	جوليان ستير اود
Claude lévi-strauss	كلود ليفي شتراوس
Karayev	كاريف
Max Weber	ماكس فيبر
Talcott Parsons	تالكوت بارسونز
Bert Hoselitz	برت هوسلتز
David Maclelland	دافيد ماكلياند
Everett Hager	افريت هيجن
Carl Marx	كارل ماركس
Paul Baran	بول باران

André gunder Frank	اندري جندر فرانك
Walt Rostow	والتر روستو
Brandt land	براندت لاند
Heginr	هيجنر
Alfred Sophie	الفريد صوفي
Deng sciao Peng	دينغ سياو بنغ
Adam Smith	آدم سميث
John Keynes	جون كينز
Mahathir Mohammed	مهاتير محمد
christian Fouchet	كريستيان فوشيه
Colin Wilson	كولين ولسون
Michel Godin	ميشيل غوديه

قائمة المصطلحات بالعربية والاجنبية	
Développement	التنمية
Croissance	النمو
Le changement social	التغير الاجتماعي
Evolution	التطور
Progression	التقدم
Sous-développement	التخلف
Développement pensée	الفكر التنموي
Dichotomy framework	الثنائيات
Développement global	التنمية الشاملة
Quantification	تقييس
Analyse thématique	تحليل غرضي
Complexe de Dépendance	مركب التبعية
Mondialisme	العالموية
Colonisabilité	القابلية الاستعمار
Ouvre Civilisatrice	عمل متحضر
L'économisme	الاقتصادانية
Catalyst	المركب
Condition de Décollage	شروط الاقلاع
Roboter Arbeit	التجنيد العام
Francophonie	الفرانكفونية
Francophile	الفرانكوفيلي

## التصنيف الأكاديمي لجامعات العالم:

من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

**التصنيف الأكاديمي لجامعات العالم:**<sup>[1]</sup> هو ترتيب صُنّف من قبل معهد التعليم العالي التابع لجامعة **شانغهاي جياو تونغ** ويضم كبرى مؤسسات التعليم العالي مُصنفة وفقاً لصيغة محددة تعتمد على عدة معايير لتصنيف أفضل الجامعات في العالم بشكل مستقل، وكان الهدف الأصلي لهذا التصنيف هو تحديد موقع الجامعات الصينية في مجال التعليم العالي ومحاولة تقليص الهوة بينها وبين أفضل الجامعات النخبوية في العالم كما يقول ليو تشنغ.<sup>[2]</sup>



### شعار جامعة شانغهاي:

المعايير الموضوعية التي يستند إليها هذا التصنيف جعلته يحتل أهمية عند الجامعات التي أخذت تتنافس لاحتلال موقع متميز فيه حتى تضمن سمعة علمية عالمية جيدة، ويقوم هذا التصنيف على فحص ألفي جامعة في العالم من أصل قرابة عشرة آلاف جامعة مسجلة في **اليونسكو** امتلكت المؤهلات الأولية للمنافسة. خلال الخطوة الثانية من الفحص، يتم تصنيف ألف جامعة منها وتخضع مرة أخرى للمنافسة على مركز في أفضل 500 جامعة يتم نشرها

### .المعايير:

المعايير المعتمدة لقياس كفاءة الجامعات وجودتها في هذا التصنيف هي أربعة :

- **جودة التعليم** وهو مؤشر لخريجي المؤسسة الذين حصلوا على **جوائز نوبل وأوسمة فيلدز** ويأخذ نسبة 10% من المجموع النهائي.
- **جودة هيئة التدريس** وهو مؤشر لأعضاء هيئة التدريس الذين حصلوا على جوائز نوبل وأوسمة فيلدز ويأخذ نسبة 20%، وأيضاً في هذا المعيار مؤشر للباحثين الأكثر استشهاداً بهم في 21 تخصصاً علمياً ويأخذ نسبة 20%.
- **مخرجات البحث** وهو مؤشر للمقالات المنشورة في الطبيعة والعلوم ويأخذ 20%، أيضاً المقالات الواردة في **دليل النشر العلمي الموسع ودليل النشر للعلوم الاجتماعية ودليل النشر للفنون والعلوم الإنسانية** وتأخذ نسبة 20%.
- **حجم المؤسسة** وهو مؤشر للإنجاز الأكاديمي نسبة إلى المعايير أعلاه ويأخذ نسبة 10%.

النسبة حسب كل معيار:

- جودة التعليم 10%،
- جودة هيئة التدريس 40%،



- مخرجات البحث 40%،
- حجم المؤسسة 10%.

المجموع 100% [3] [4]

### النتائج:

من بين النتائج اللافتة في تصنيف العام 2007 ما يلي:

- الولايات المتحدة الأمريكية حصلت على 166 جامعة من بين أفضل 500 جامعة في العالم و 17 جامعة من بين أفضل عشرين جامعة، بريطانيا 42 جامعة من بين أفضل 500 جامعة وجامعتين من بين أفضل عشرين جامعة، اليابان 33 جامعة واحدة منها من بين أفضل عشرين جامعة، إسرائيل 7 جامعات، تركيا جامعة واحدة، مصر جامعة واحدة، سنغافورة جامعتين، عشر جامعات لكل من البرازيل ونيوزلندا وأربع جامعات لجنوب أفريقيا.
- احتلال جامعة القاهرة المرتبة 509 نظراً لحصول بعض خريجيها على جوائز نوبل، إذ حصلت على درجة 24.3 في المؤشر الخاص بالخريجين الحاصلين على جوائز نوبل وميداليات فليدز، بينما حصلت على علامة صفر في المؤشرات الثلاثة المهمة الأخرى التي تعكس أساساً جودة هيئة التدريس وجودة مخرجات البحث العلمي والمؤشر الخاص بالباحثين الأكثر استشهادهم في واحد وعشرين تخصصاً علمياً ومؤشر المقالات المنشورة في الطبيعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية.
- الجامعة الصينية التي أشرفت على هذا التصنيف حصلت المرتبة 404. وقد ظهرت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في قائمة أفضل 3000 جامعة في العالم في مرتبة 2998.
- في تصنيف عام 2009، دخلت جامعة الملك سعود في العاصمة السعودية الرياض التصنيف كأول جامعة سعودية لتكون بين المرتبة 400 و 500 على مستوى جامعات العالم.
- وفي عام 2010، تقدمت جامعة الملك سعود لتكون في المرتبة 391 متصدرة بذلك الجامعات العربية، ودخلت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن التصنيف لأول مرة واحتلت المركز 480.





### الانتقاد:

التصنيف الأكاديمي لجامعات العالم يثير الجدل من مؤسسات عديدة من مدرء مؤسسات التعليم العالي في أمريكا الشمالية و ARWU أيضاً وفي عام 2007 نُشر في دورية سينتومتريك { Scientometrics } ذكرت أن النتائج التي وجدت في تصنيف شانغهاي ترتيب لا يمكن استساخها من البيانات الخام التي تُستخدم في صيغة التصنيف حسب ما ذكرها ليو تشنغ.<sup>[5]</sup>

















# Arab World

Ranking	<u>World Rank</u>	<u>University</u>	Country	<u>Presence Rank*</u>	<u>Impact Rank*</u>	<u>Openness Rank*</u>	<u>Excellence Rank*</u>
1	356	<u>King Saud University</u>		504	549	425	397
2	358	<u>Cairo University</u>		800	142	1361	633
3	711	<u>King Abdulaziz University</u>		146	1878	728	690
4	904	<u>American University in Cairo</u>		1410	544	1138	2214
5	911	<u>Mansoura University</u>		1136	853	2944	1047
6	915	<u>American University of Beirut</u>		1238	2129	517	882
7	918	<u>King Fahd University of Petroleum &amp; Minerals</u>		953	1843	1029	893
8	1033	<u>United Arab Emirates University</u>		1558	1494	2107	986
9	1223	<u>Alexandria University</u>		1382	2072	2502	996
10	1348	<u>University of Jordan</u>		850	3693	689	1405
11	1358	<u>King Abdullah University of Science &amp; Technology</u>		2306	3183	2038	766
12	1467	<u>An Najah National University</u>		836	1618	942	3213
13	1493	<u>Benha University</u>		1728	2004	1426	2259
14	1649	<u>Qatar University</u>		531	4009	2181	1653
15	1729	<u>Zagazig University</u>		2826	3826	1881	1377
16	1738	<u>Sultan Qaboos University</u>		2341	3499	2915	1292
17	1935	<u>Yarmouk University</u>		986	5029	1991	1702
18	1949	<u>King Khalid University</u>		3538	4905	6078	378
19	2030	<u>King Faisal University</u>		1164	3828	3465	1947
20	2070	<u>University of Khartoum</u>		97	5341	3012	2101
21	2077	<u>American University of Sharjah</u>		3179	3941	2619	1772
22	2171	<u>Umm Al Qura University</u>		940	2386	6173	2549
23	2195	<u>Assiut University</u>		3404	5911	2068	1283
24	2245	<u>Birzeit University</u>		2126	2697	3723	2802
25	2256	<u>Université Constantine 1 (Ex Université Mentouri)</u>		1986	6248	1014	2101
26	2258	<u>Lebanese American University</u>		2883	4420	1786	2403
27	2306	<u>Université Kasdi Merbah Ouargla</u>		2628	3453	685	3842
28	2325	<u>Université Abou Bekr Belkaid Tlemcen</u>		2310	6102	718	2484
29	2346	<u>Jordan University of Science &amp; Technology</u>		3469	4829	3797	1530
30	2470	<u>Hashemite University</u>		6503	5987	1548	1653
31	2505	<u>Université Saint Joseph de Bevrouth</u>		1910	4339	3079	2742
32	2511	<u>Université Djillali Liabes</u>		10355	2767	4195	1857
33	2575	<u>Minia University</u>		2130	8012	1738	1718

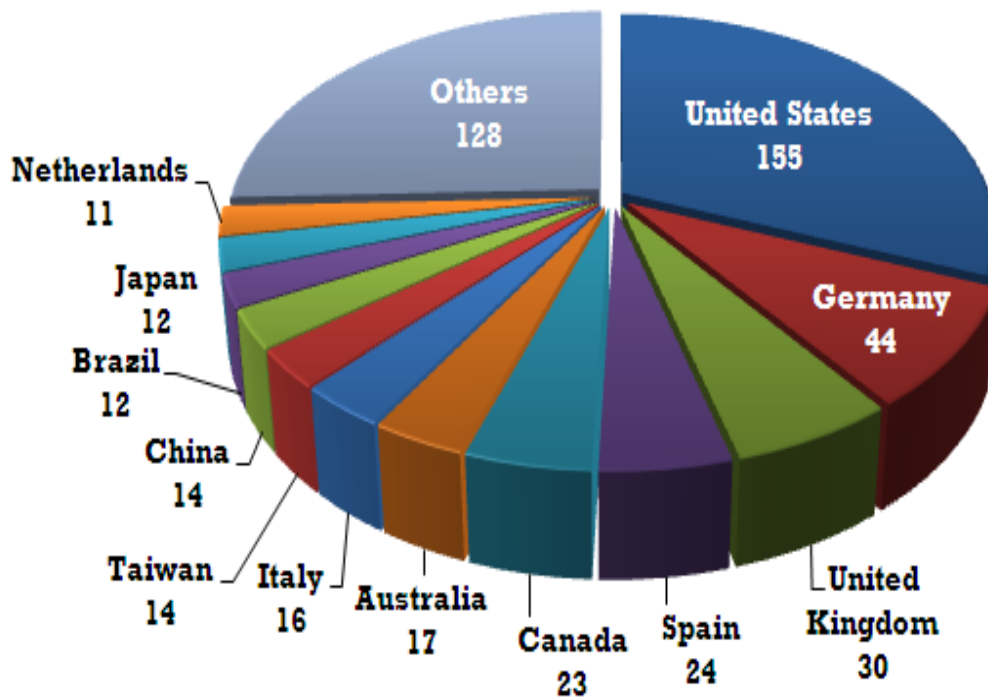
## الملحق رقم: 04

Ranking	World Rank ▲	University	Country	Presence Rank*	Impact Rank*	Openness Rank*	Excellence Rank*
34	2596	<u>Qassim University</u>		2942	5565	1971	2520
35	2651	<u>Taibah University</u>		3109	5012	3283	2340
36	2677	<u>Kuwait University</u>		3113	4981	8212	1108
37	2764	<u>Alfaisal University</u>		5110	3783	5476	2245
38	2769	<u>University of Petra</u>		715	2799	3319	4831
39	2801	<u>Islamic University of Gaza</u>		3639	4460	1764	3515
40	2828	<u>Université des Sciences et de la Technologie Houari Boumediene</u>		7315	6013	3138	1593
41	2924	<u>University of Baghdad</u>		4903	6752	1171	2706
42	2946	<u>Najran University</u>		1423	5443	3756	3095
43	2996	<u>University of Tanta</u>		3990	6840	5093	1530
44	3050	<u>Suez Canal University</u>		3707	9279	3456	1246
45	3076	<u>Higher Colleges of Technology</u>		2183	3470	2507	4831
46	3134	<u>Al Quds University Arab University in Jerusalem</u>		6743	3496	5495	2955
47	3150	<u>Helwan University</u>		5274	6067	4891	1980
48	3173	<u>Arab Academy for Science &amp; Technology and Maritime Transport</u>		1586	4952	6259	2993
49	3176	<u>Sudan University of Science &amp; Technology</u>		2486	7751	747	3611
50	3176	<u>Université Mohammed V Agdal</u>		5845	7831	4367	1392
51	3184	<u>Masdar Institute of Science and Technology</u>		2644	6208	6891	1933
52	3194	<u>Texas A&amp;M University at Qatar</u>		2647	8555	4250	1689
53	3253	<u>Université Mohammed V Souissi</u>		5332	7618	1902	2594
54	3292	<u>Minufiya University</u>		2833	7887	6146	1584
55	3302	<u>Université Cadi Ayyad Marrakech</u>		5249	10988	2180	1251
56	3457	<u>Favoum University</u>		4222	9064	3463	1911
57	3473	<u>Université de Batna</u>		4553	7536	2986	2638
58	3533	<u>Ain Shams University</u>		2104	12443	4844	851
59	3557	<u>Zayed University</u>		7885	5093	4471	2852
60	3569	<u>Université Mohamed Khider Biskra</u>		2934	9060	1236	3287
61	3623	<u>Université Hassiba Ben Bouali</u>		2060	9032	2945	2802
62	3628	<u>University of Bahrain</u>		7803	5763	3977	2802
63	3640	<u>Islamic University of Al Madinah</u>		1006	4220	3466	5442
64	3689	<u>Hebron University</u>		3073	2802	4555	5442
65	3698	<u>Al Balqa Applied University</u>		8211	7082	4912	1951
66	3750	<u>Université Mouloud Mammeri de Tizi Ouzou</u>		6494	8957	2303	2484
67	3754	<u>Université Libanaise</u>		8522	6455	5744	2017
68	3783	<u>Université Virtuelle de Tunis</u>		2452	4535	2386	5442
69	3815	<u>Philadelphia University at Jordan</u>		3285	2958	4691	5442
70	3821	<u>University of Sharjah</u>		7820	5288	8540	2115

## الملحق رقم: 04

Ranking	World Rank ▲	University	Country	Presence Rank*	Impact Rank*	Openness Rank*	Excellence Rank*
71	3825	<u>Kafrelsheikh University</u>		4385	10577	3531	1805
72	3857	<u>Libyan International Medical University</u>		7051	1699	6368	5442
73	3937	<u>Université Setif 1 Ferhat Abbas Setif</u>		5426	9434	3365	2316
74	3973	<u>German University in Cairo</u>		8325	6690	4714	2572
75	3980	<u>(1) Université Mohammed Premier Oujda</u>		4861	9429	7495	1325
76	3985	<u>South Valley University</u>		4614	8420	6301	2048
77	4010	<u>University of Mosul</u>		5096	8953	2461	2993
78	4021	<u>American University in Dubai</u>		9490	1888	8192	4442
79	4036	<u>Université d'Alger 1</u>		5873	7172	1403	4175
80	4043	<u>Université Hassan II Ain Chock</u>		1135	8695	12373	1561
81	4154	<u>Tabuk Universtiy</u>		1358	7926	7580	2852
82	4183	<u>University of Technology Iraq</u>		7672	9326	945	3439
83	4343	<u>King Saud bin Abdulaziz University for Health Sciences</u>		5208	7234	8570	2316
84	4352	<u>Université d'Oran</u>		10170	8313	3244	2572
85	4391	<u>Université Abdelhamid Ibn Badis Mostaganem</u>		4000	7810	6579	2802
86	4396	<u>Naif Arab University for Security Sciences</u>		1532	7445	1752	5442
87	4491	<u>Université de Bejaia</u>		6447	9133	5579	2316
88	4545	<u>Damascus University</u>		7033	7844	3133	3611
89	4578	<u>Babylon University</u>		3650	8965	1069	4831
90	4620	<u>British University in Egypt</u>		2429	9511	9308	2115
91	4654	<u>Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras</u>		8529	2090	12373	4442
92	4669	<u>Al Akhawayn University Ifrane</u>		4729	5295	6089	4442
93	4753	<u>Majmaah University</u>		1126	8292	2261	5442
94	4800	<u>Taif University</u>		8996	6227	12373	1980
95	4812	<u>Al Azhar University</u>		12606	6418	12373	1440
96	4954	<u>Université des Sciences et de la Technologie d'Oran Mohamed Boudiaf</u>		8481	9361	6186	2259
97	4997	<u>Petroleum Institute Abu Dhabi</u>		10567	9281	6574	1942
98	5027	<u>Al Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University</u>		3591	2624	12373	5442
99	5044	<u>Bethlehem University</u>		3604	5615	8925	4175
100	5065	<u>College of Technological Studies</u>		886	7555	12373	3439

## Top 500 Universities by Country



The distribution of the Universities by region (January 2012) is as follows:

Region	Top 100	Top 200	Top 500	Top 1000	Total
North America	79	99	178	398	3485
Europe	16	66	212	415	4975
Asia	3	20	66	104	6142
Latin America	2	9	19	39	3487
Oceania	1	6	20	35	149
Arab World	0	0	2	4	569
Africa	0	0	3	5	355
World					19161

The Webometrics Ranking is produced by the [Cybermetrics Lab](#), a unit of the [Spanish National Research Council](#) (CSIC), the main public research body in Spain. The Lab acts as an Observatory of the Science and Technology on the Web. Isidro F. Aguillo, [Hon.PhD](#), is the head of the Laboratory and the editor-in-chief of the Rankings.

13 أغسطس 2012

فريق عمل KOOORA



يقدم موقع KOOORA لزواره الكرام ترتيب الدول الحاصلة على ميداليات خلال دورة الألعاب الأولمبية المقامة حاليا في لندن 2012.

وفيما يلي ترتيب جميع الدول بعد انتهاء جميع منافسات الدورة أمس الأحد الثاني عشر من أغسطس.

وستقام الدورة القادمة في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية عقب 4 أعوام في 2016. جدير بالذكر ان الصين احتلت المركز الأول في ترتيب الدول الحائزة على ميداليات خلال دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت في 2008 في بكين، كما احتلت الصدارة معظم أوقات دورة لندن غير أن تفوق أمريكا في السباحة وألعاب القوى وكرة السلة منحها أفضلية بفارق 8 ميداليات ذهبية على الأقل.

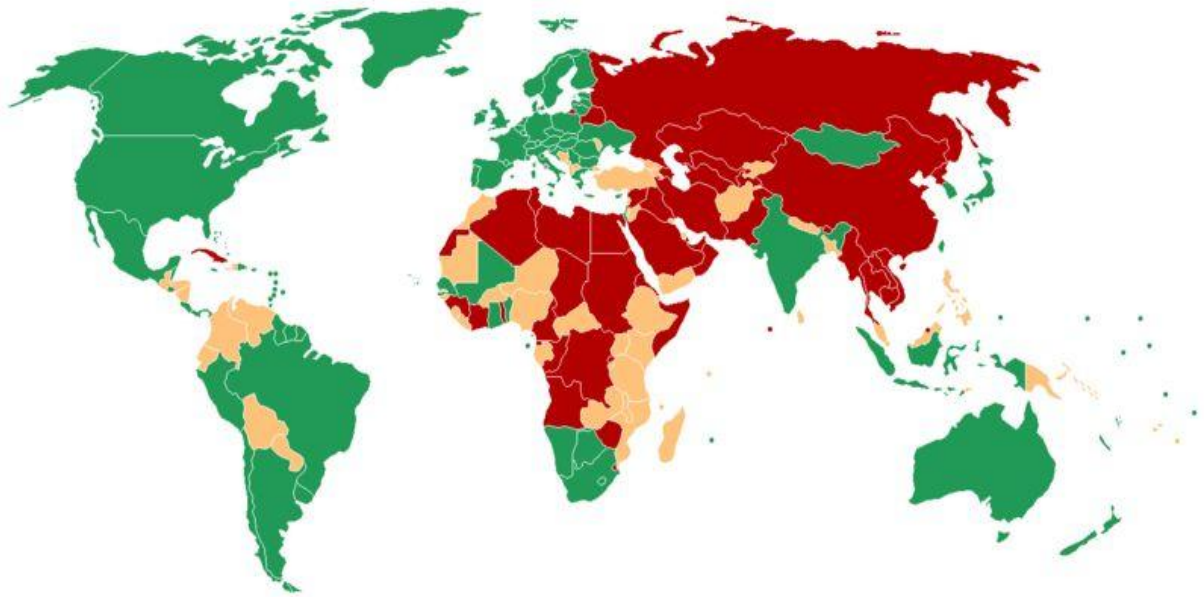
## الملحق رقم: 05

جدول ميداليات أولمبياد لندن					
#	الدولة	ذهبية	فضية	برونزية	الإجمالي
1	أمريكا	46	29	29	104
2	الصين	38	27	22	87
3	بريطانيا	29	17	19	65
4	روسيا	24	25	33	82
5	كوريا الجنوبية	13	8	7	28
6	ألمانيا	11	19	14	44
7	فرنسا	11	11	12	34
8	إيطاليا	8	9	11	28
9	المجر	8	4	5	17
10	استراليا	7	16	12	35
11	اليابان	7	14	17	38
12	كازاخستان	7	1	5	13
13	هولندا	6	6	8	20
14	أوكرانيا	6	5	9	20
15	كوبا	5	3	6	14
16	نيوزيلندا	5	3	5	13
17	إيران	4	5	3	12
18	جامايكا	4	4	4	12
19	التشيك	4	3	3	10
20	كوريا الشمالية	4	0	2	6
21	أسبانيا	3	10	4	17
22	البرازيل	3	5	9	17
23	بيلاروسيا	3	5	5	13
24	جنوب أفريقيا	3	2	1	6
25	أثيوبيا	3	1	3	7
26	كرواتيا	3	1	2	6
27	رومانيا	2	5	2	9
28	كينيا	2	4	5	11
29	الدانمارك	2	4	3	9
30	أذربيجان	2	2	6	10
31	بوندا	2	2	6	10
32	تركيا	2	2	1	5
33	سويسرا	2	2	0	4
34	ليتوانيا	2	1	2	5
35	النرويج	2	1	1	4
36	كندا	1	5	12	18
37	السويد	1	4	3	8
38	كولومبيا	1	3	4	8
39	جورجيا	1	3	3	7
40	المكسيك	1	3	3	7
41	أيرلندا	1	1	3	5
42	الأرجنتين	1	1	2	4

## الملحق رقم: 05

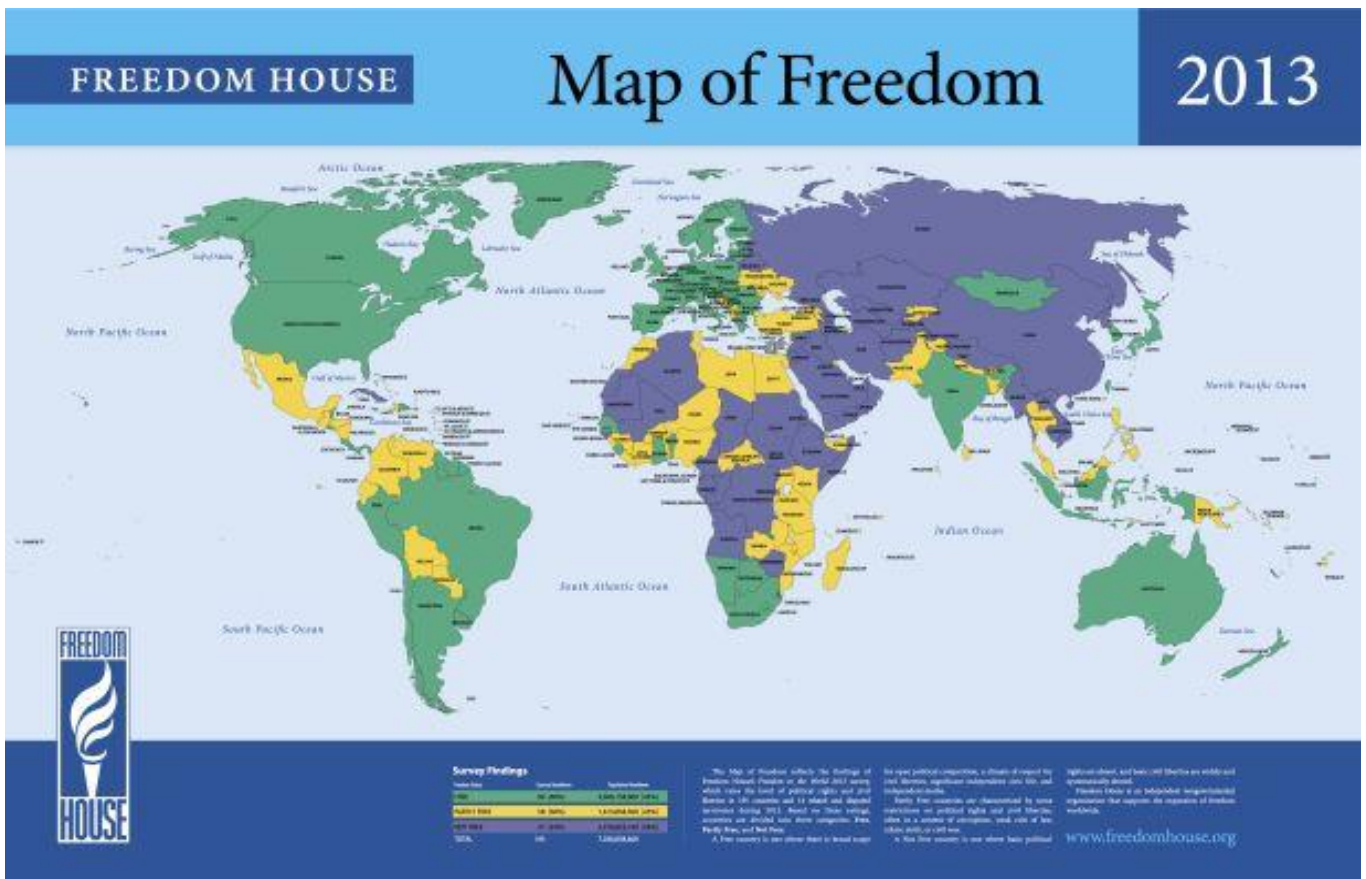
4	2	1	1	سلوفينيا	43
4	2	1	1	صربيا	44
3	1	1	1	تونس	45
2	0	1	1	الدومينيكان	46
4	3	0	1	ترينداد وتوباغو	47
4	3	0	1	أوزبكستان	48
2	1	0	1	لاتفيا	49
1	0	0	1	الجزائر	50
1	0	0	1	باهامز	51
1	0	0	1	جرينادا	52
1	0	0	1	أوغندا	53
1	0	0	1	فنزويلا	54
6	4	2	0	الهند	55
5	3	2	0	منغوليا	56
3	1	2	0	تايلاند	57
2	0	2	0	مصر	58
4	3	1	0	سلوفاكيا	59
3	2	1	0	أرمينيا	60
3	2	1	0	بلجيكا	61
3	2	1	0	فنلندا	62
2	1	1	0	بلغاريا	63
2	1	1	0	أستونيا	64
2	1	1	0	أندونيسيا	65
2	1	1	0	ماليزيا	66
2	1	1	0	بورتوريكو	67
2	1	1	0	تايبي	68
1	0	1	0	بتسوانا	69
1	0	1	0	قبرص	70
1	0	1	0	الجابون	71
1	0	1	0	جواتيمالا	72
1	0	1	0	مونتينيغرو	73
1	0	1	0	البرتغال	74
2	2	0	0	اليونان	75
2	2	0	0	مولدوفا	76
2	2	0	0	قطر	77
2	2	0	0	سنغافورة	78
1	1	0	0	أفغانستان	79
1	1	0	0	البحرين	80
1	1	0	0	هونج كونج	81
1	1	0	0	السعودية	82
1	1	0	0	الكويت	83
1	1	0	0	المغرب	84
1	1	0	0	طاجكستان	85





The map reflects the findings of Freedom House's survey *Freedom in the World 2007*. For each country, the survey provides a concise report on political and human rights developments, along with ratings of political rights and civil liberties. Based on these ratings, countries are divided into three categories: Free (green), Partly Free (orange), and Untouchable (red), as reflected in the map. Map based on BlankMap-World-v5.

- Free
- Partly Free
- Untouchable



## المخلص:

لقد سعت الدول العربية غداة الاستقلال بشكل انفرادي في معظمة ووحودي في مناطق محدودة، نحو تحقيق المشروع النهضوي في شكل تجربة انمائية شاملة، والقضاء على الآثار الكارثية التي ورثناها عن الحقبة الاستعمارية في جميع المجالات.

ومعلوم أن هذه الدول لم تسلك كلها نفس التوجهات ولم تتبن نفس السياسات الانمائية، فسلكت بعض الدول نهج اليسار وتوجهت الأخرى صوب اليمين، وكل يمني نفسه بتحسين أوضاع الأفراد والارتقاء بهم بعدما عانوا سنينا طوالا كل أشكال التجهيل والاذلال والحرمان.

ورغم اختلاف نسب ودرجات ما حققته هذه الدول من نمو على طريق الرقي، إلا أنها ظلت في معظمها بعيدة عن أهدافها المسطرة وطموحاتها المنشودة، فخابت بذلك أحلام الجماهير التي طالما وعدت بالعيش الرغيد والجنة الآمنة، ورغم كل محاولات الإصلاح إلا أن حلم الازدهار ظل سرايا يبصر ولا يدرك.

وبعد فاجعة - بالنسبة للاتباع- انهيار النظام الاشتراكي وعجزه عمليا عن الوفاء بوعوده لأنصاره، وجدت الدول المنخرطة في حلفه نفسها مضطرة لتغيير بوصلتها آملة أن تجد في الرأسمالية ما أخفقت في تحقيقه بسلوكها النهج الاشتراكي. وبعد عقود في ظل النهج الجديد (اقتصاد السوق) خابت الآمال من جديد فقد تكشف الأمر عن رأسمالية عاجزة تعيد إنتاج شروط التخلف.

في ظل هذا السياق التاريخي البائس لدول العالم الثالث عموماً والدول العربية خصوصاً، بدأت بعض الأصوات ترتفع هنا وهناك منادية بضرورة البحث عن خيارات وبدائل أخرى غير الاشتراكية والرأسمالية تكون كفيلة برسم طريق الخلاص لهذه الشعوب المقهورة.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة كمحاولة للبحث والتنقيب عن فكر تنموي جديد غير الذي عهدناه أو نعاشه حالياً، يتيح لأوطاننا تحسين أوضاعها والسعي بها نحو عالم الشهود الحضاري.

ومن أبرز المفكرين - في عالمنا- الذين اشتغلوا على هذا الموضوع، المفكر الجزائري الأستاذ مالك بن نبي الذي أصدر أعماله كلها تحت مسمى: " في البناء الحضاري"، ومن هنا سعت هذه الدراسة إلى معرفة:

-تصور مالك بن نبي للتنمية الشاملة في الدول العربية.

-مقومات التنمية الشاملة عند مالك بن نبي.

-الأبعاد السوسولوجية للتنمية في فكر مالك بن نبي.

-حدود التقاطع والاختلاف بين فكر مالك بن نبي والمشاريع التنموية في الجزائر.

وأهمية هذه الدراسة تكمن في جملة ما تمثله من أبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية وحضارية.

وتندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الكيفية الكشفية -الدراسات النوعية- التي

تتعلق بالوضع الراهن للتعرف على جوانب القوة والضعف فيه من أجل معرفة مدى

صلاحية هذا الوضع أو مدى حاجته إلى إحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه، ومثل هذه الدراسات تعتبر وسيلة ناجحة لقياس الواقع الحالي للجماعات من أجل وضع خطط التطوير والتحديث، وقصد التعرف على هذا الواقع التنموي في الدول العربية عموماً والجزائر خصوصاً قمنا بعملية مسح شامل للأوعية المعرفية المتمثلة في مجموع مؤلفات مالك بن نبي.

والدراسة بهذا المعنى تحليلية اعتمد فيها مقاربة منهجية تقوم بالأساس على التحليل الغرضي *Analyse thématique* والذي يتميز بكونه عملية تحليل مركبة خاضعة لترتيب يحدده الباحث حسب موضوع بحثه، وليس لترتيب أو تسلسل المواضيع الواردة في النص، وخلاصة ما توصلت إليه الدراسة:

- إن التنمية في مفهوم مالك بن نبي هي عملية تغيير شاملة، تأخذ طابعاً ثورياً ولكن في إطار التقدم..

- إن عملية التغيير الشاملة تستدعي في المقام الأول أن يغيّر المسلم نفسه ويغيّر محيطه لينقذ نفسه وينقذ الآخرين فهذا جوهر رسالته كمسلم ودوره المنتظر منه.

- ليغيّر أفراد المجتمع أنفسهم لأبد لهم من مشروع ثقافي نهضوي يعيد بناء الإنسان فيحرّره من القابلية للاستعمار ويعيد له ثقته بنفسه ويفجر طاقاته الكامنة.

- هذه التنمية ترفض استيراد الحلول والمناهج، فالتنمية مثلها مثل القيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية لا تستورد، فالاستيراد جهل وانتحار.

-تنمية تقوم بالاعتماد على الذات، ومنطلق هذا قطع كل أشكال الارتباط مع دول الاستكبار التي تريد لنا أن نبقي هوامش لها ندور في فلكها.

-تنمية من مقوماتها: البناء لا التكدس -التخطيط الدقيق - الاعتماد على رأس المال الاجتماعي لا المالي -تقديم الواجب على الحق -احترام الوقت - المشاركة والتكامل الاقتصادي -الفعالية - التفكير في التميز - الحذر من المستعمر -النقد الذاتي.

والتنمية في فكر مالك بن نبي ذات أبعاد كثيرة، فهي في المقام الأول ذات بعد إنساني، وفي عمقها وجوهرها ذات بعد ديني، وفي طابعها العام ذات بعد ثقافي.

أما بالنسبة لحدود التقاطع والاختلاف بين فكر بن نبي والتجربة التنموية في الجزائر، فيرى بن نبي ان المرحلة الاشتراكية كانت لها رؤية واستراتيجية ولكنها افتقدت للتخطيط الدقيق، أما مرحلة الاصلاحات ثم اقتصاد السوق، فيغلب عليها الطابع الاقتصادي، وهو اتجاه كلاسيكي اثبت عجزه عن تحقيق التنمية الشاملة في العالم بأسره.

وفي الختام يدعو بن نبي إلى اسناد مهمة وضع الخطط إلى علماء الاجتماع لا إلى علماء الاقتصاد لأن العملية التنموية ليست عملية آلية أو ميكانيكية، فهي ذات جوانب ثقافية واجتماعية، وفسية، وعليه فعلماء الاجتماع هم الأقدر على تحريك الطاقات الاجتماعية، وتبعاً لهذا يرى بن نبي ضرورة اشراك الجامعة في أي مشروع تنموي يهدف إلى النهوض بالبلاد والسير بها على طريق التقدم.

## Résumé

Au lendemain de leur indépendance, les pays arabes s'efforcent de réaliser le projet de renaissance comme une tentative de développement globale et l'éradication des effets néfastes du colonialisme dans tous les domaines.

Il est indéniable que ces pays n'ont pas suivi les mêmes parcours et n'ont pas adopté les mêmes politiques de développement. Certains ont préféré la gauche et d'autres ont favorisé la droite dans le but d'améliorer le mode de vie des individus après toutes ces années d'analphabétisme, d'humiliation et de privation.

Malgré les différentes réalisations de ces pays en voie de développement, elles demeurent très éloignées des objectifs et ambitions visés. Malgré les promesses d'une vie meilleure et les tentatives de réforme le désespoir et la déception se sont installés parmi les populations et le rêve de la prospérité n'est devenu qu'une chimère.

Après la calamité, pour les partisans bien entendu, de l'effondrement du régime socialiste, dû à son incapacité de tenir ses promesses, les pays arabes dits socialistes se sont sentis contraints de s'orienter vers le capitalisme dans le but d'y trouver refuge. Des décennies se sont écoulées au sein de l'économie du marché et encore une fois, il n'y a que le désabusement : un capitalisme incapable, incohérent et qui ne cesse de favoriser le sous-développement.

Dans cette optique historique intenable des pays du tiers monde et des pays arabes en particulier, certaines voix s'élèvent ici et là proclamant la nécessité d'autres alternatives susceptibles de déterminer le chemin du salut pour ces peuples soumis loin du socialisme et du capitalisme.

Sur cette base vient notre présente étude comme une tentative de prospection et de réflexion nouvelles, détachées de notre vécu et qui auront la possibilité d'améliorer la situation de nos pays et les mener vers un monde civilisateur meilleur.

Parmi les plus éminents intellectuels de notre époque qui se sont attelés à ce sujet, nous citons le penseur Algérien, Malek Bennabi, dont toutes les œuvres discutent la civilisation, la culture et l'idéologie. Notre étude tente de savoir :

- La vision de Malek Bennabi du développement global dans les pays arabes.
- Les aspects sociologiques du développement dans la pensée de Malk Bennabi.

- Les déterminants du développement global chez Malek Bennabi.
- Les limites de croisement et de différence entre les pensées de Malk Bennabi et les projets de développement en Algérie.

L'utilité de cette étude réside dans ses aspects sociologique, économique, culturel, politique et civilisateur. Elle s'inscrit parmi les études exploratoires dites qualitatives qui s'intéressent à la situation actuelle, ses points forts et ses faiblesses afin de provoquer des changements partiels ou fondamentaux. En outre, ces études semblent être un moyen efficace pour mesurer la situation actuelle des collectivités et proposer des projets de développement et de modernisation. Et dans le but d'identifier la réalité du développement dans les pays arabes en général et l'Algérie en particulier, nous avons mené une enquête sur les cheminements de connaissances exemplifiés dans la plupart des œuvres de Malek Bennabi.

Cette étude se veut beaucoup plus basée sur une approche méthodologique qui analyse la thématique du contenu loin de la logique quantitative. Ce type d'analyse est, en fait, soumise à un arrangement arrêté par le chercheur en fonction de la problématique et non un arrangement et une hiérarchie des thèmes figurant dans le texte.

Notre étude a abouti à ce qui suit :

- Le développement, selon Malek Bennabi, est un processus de changement exhaustif à caractère révolutionnaire mais dans la cadre du progrès.
- Ce processus de changement exhaustif invite le musulman à effectuer des changements, en premier lieu, en sa personne et puis son milieu pour le salut des autres et le sien aussi. Ceci est la pierre angulaire de sa mission en tant que musulman.
- La nécessité d'un projet culturel progressiste afin de libérer la personne arabe de ce que Malek Bennabi appelle la 'colonisabilité' et de ce fait restituer sa confiance en soi et revaloriser toutes ses énergies.
- Ce développement réfute toute importation de solutions et de méthodes car à l'instar des valeurs morales, sociales et culturelles, le développement ne peut, en aucun cas, être importé. Cette importation n'est qu'ignorance et suicide.
- Ce développement se repose sur l'autosuffisance pour couper court à toute forme de dépendance à l'égard des pays dominants.
- Les caractéristiques de ce développement se résument en la construction et non l'accumulation, la prééminence du capital sociologique sur le capital financier, la construction d'un réseau de relations sociales solides, le devoir sur le droit, le respect

du temps, la contribution économique, l'excellence, le dynamisme, l'autocritique et la méfiance envers le colonisateur.

Le développement chez Malek Bennabi est doté de plusieurs dimensions : en premier lieu, une dimension humaine ; dans son essence, une dimension religieuse ; et dans sa globalité, une dimension culturelle.

En ce qui concerne les frontières de convergence et de divergence entre l'expérience du développement en Algérie et les pensées de Malek Bennabi, ce dernier voit que l'étape socialiste en Algérie était dotée d'une vision et d'une stratégie mais manquait de planification et de minutie. Quant à l'étape des réformes et de l'économie du marché, elle a prouvé avec son caractère purement économique, son incapacité de réaliser le développement global à travers le monde entier.

Malek Bennabi invite les sociologues à la place des économistes à élaborer et proposer des plans car l'opération de développement n'est en aucun cas une opération mécanique mais dotée d'aspects culturels, sociologiques et psychologiques. Seuls les sociologues sont aptes à dynamiser les potentialités sociales.

En conséquence, Bennabi voit en la nécessité de faire participer l'université dans tout projet de développement dans le but d'aller au-devant du progrès de notre pays.



## Summary

Immediately after their independence, Arabic countries have been endeavoring a revival plan as an overall development attempt and to eradicate harmful effects of colonialism in every field.

It is obvious that these countries have followed neither the same path nor the same development policy. Some have been appealed to by the left and others favored the right wing for the purpose of improving people's life style after years of illiteracy, humiliation and deprivation.

Despite the various achievements performed by these developing countries, they remain very distant from the aimed objectives. Despite the promises of a better life and reform attempts, despair and disappointment have gradually taken a hold among the populations and the prosperity dream has become chimerical.

After the collapse of the socialist regime, a disaster for partisans, due to its incapacity to keep promises, the so-called socialist Arabic countries were forced to move towards capitalism as a refuge. Decades passed by in the midst of the market economy, but disillusionment was there with an incapable and inconsistent capitalism favoring underdevelopment.

From this unbearable historical point of view of Third-World countries and Arabic countries in particular, a few gruff voices are proclaiming the urge to find other alternatives likely to determine salvation for those submissive people a long way from socialism and capitalism.

The present research study is a prospecting attempt detached from our real-life experiences with the aim of improving the status of developing countries and leading them to a better civilizing world.

Among today's most eminent and learned intellectuals is Malek Bennabi. In his works, he dealt with civilization, culture and ideology. Hence, this study will study:

- Malek Bennabi's vision on overall development in Arabic countries.
- The sociological aspects of development in Malek Bennabi's thinking.
- The determining factors of global development in Bennabi's thinking.
- Convergent and divergent limits between Malek Bennabi's thoughts and development plans in Algeria.

The usefulness of the research lies in its sociological, economic, cultural, political and civilizing aspects. It ranks amongst the exploratory qualitative studies interested in the strong points and weaknesses of the current situation seeking partial and fundamental changes. Besides, studies seem to be an efficient means to measure the current situation of authorities and propose new plans of development and modernization. For the purpose of identifying the reality of development in Arabic countries and Algeria in particular, we have conducted a survey on the unfolding of knowledge in most of Malek Bennabi's works.

The present study claims to be based on a thematic analysis of the content a long way from any quantitative logic. Such type of analysis is, in fact, subject to an arrangement settled by the researcher in accordance with the issue and not with a hierarchy of themes found in the text.

- Development, according Malek Bennabi, is an exhaustive revolutionary process of change.
- Such process calls upon the Muslim to make some salutary changes on themselves and their milieu as well. It the cornerstone of their mission as a Muslim.
- The usefulness of the progressive cultural plan to free the Arabic individual from what Malek Bennabi referred to as "colonisability" and thereby regain self-confidence and upgrade their energies.
- Such development rejects any importing of solutions and methods following the example of moral, social and cultural values and beliefs. Any importing is nothing except ignorance and suicide.
- This development relies on self-sufficiency in order to curtail any form of dependence on dominating countries.
- The characteristics of such development come down to construction and not accumulation, the pre-eminence of the sociological capital upon the financial one, the construction of a solid social network, duty upon right, time respect, economic contribution, excellence, dynamism, self-criticism and mistrust of colonizers.

As far as convergence and divergence borderlines between development experience in Algeria and Malek Bennabi's thoughts, this latter deems that the socialist phase in Algeria was endowed with a vision as well as a strategy but lacked planning and thoroughness. As for

the reforms and market economy phase, it has proved its economic nature, its inability to achieve the overall development throughout the whole world.

Development in Bennabi's thinking is endowed with many dimensions – firstly a humanistic dimension, in its essence, a religious dimension and generally, a cultural dimension.

Malek Bennabi invites sociologists instead of economists to develop and offer plans because development operation is, under no circumstances, mechanical but endowed with cultural, sociological and psychological aspects. Only sociologists are qualified to invigorate social potentialities.

Consequently, Bennabi contends that it is necessary for the university to take part in every development plan for the purpose of going and meeting progress in our country.